

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وشؤون الثقافة والفكر

تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

العدد العاشر. السنة التاسعة عشرة. محرم 1399 / دجنبر 1978

شهرية
تعنى بالدراسات
الإسلامية وبشؤون
الثقافة والفكر

دعوة الحق

السنة التاسعة عشرة العدد العاشر
محرم 1399 / دجنبر 1978

تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

فهرس

بيانات إدارية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » - مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 - الرباط - المغرب
الهاتف : 10 - 632

• الاشتراك العادي عن سنة 65 درهماً للداخل، و 70 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• **لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر**

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوانب الفكرية من المخطط الثلاثي

الافتتاحية :

●● يمكن ان نتناول المخطط الثلاثي الانتقالي من جانبه الفكـري ، انطلاقا من الرأي القائل : ((ليس بالخبز وحده يحيا الانسان)) . ذلك أن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ، لمرحلة معينة ، يرتكز أساسا على قواعد فكرية ، وانسانية ، وينطلق من مفاهيم ثقافية وايديولوجية ، تشكـل فى مجموعها ، المحور الاساسي للنهضة المرتقبة ، والتنميـة المرجـوة ، والنجـاح المنتظـر .

واذا كان المخطط الثلاثي ، الذي تدارسته الامة ، ممثلة فى أعضاء البرلمان ، بعد ان قدم جلالة الملك نصره الله خطوطه العريضة ، وشرح ـ فى استفاضة ـ فلسفته ومدلوله ، يرمي فى مقدمة ما يرمي اليه مـن اهداف ، الى تحقيق الرخاء باحداث توازن اقتصادي ، والحـد مـن الاستيراد ، وتقليص الفوارق الطبقية بين افراد الشعب المغربي ، فان السمة البارزة لسياسة هذا المخطط ، فى آفاقه وابعـاده ومراميـه ، التحرر الكامل من التبعية الايديولوجية ، والاستقلال الفكري الشامل ، الذي يجعل منه مخططا مغربيا فى الصميم ، لا هو بالشرقي ، ولا بالغربي ، وانما هو ((وسط)) ، فلا افراط ولا تفريط ، ولا شطط ولا جنوح ، ولا هو الى اليمين أو اليسار أقرب . وتلك ميزته الاولى التي لا تنكر له .

ومن الواضح ان الفكر السياسي يلعب دورا خطيرا فى بلورة المفاهيم الاقتصادية التي تنعكس ظلالها على مسيرة التقدم ان سلبا او ايجابيا ، بحيث لا يمكن الفصل بين الفكر وبين الاقتصاد ، بين الايديولوجية وبين العقيدة ، بين التطبيق ، وبين الممارسة ، وانما هناك دائما تلازم ملحوظ ، يجعل من العنصرين عنصرا واحدا ، واتجاها واحدا ، وبالتالي سياسـة واحـــدة .

ومن بديهيات علم الاقتصاد ، الذي ندرسه لابنائنا في الجامعة ، ان اي منهب اقتصادي ، هو في التحليل النهائي ، فكرة وعقيدة ، ومذهب وتصور ، وايمان ووعي واقتناع . وعلى هذا الاساس ، فان التحرر الفكري يسبق الاستقلال الاقتصادي ، وبالتالي فان بناء المواطن الصالح المنتج الواعي المدرك لجسامة مسؤولية البناء والتعمير والتطور يأتي في الرتبة الاولى قبل الشروع في البناء الاقتصادي والتنموي . والا نكون كمن يدخل البيوت من غير أبوابها ، او كمن يستنبت البذور في الهواء .

وتلك مغامرة ومخاطرة لا تقدم عليهما الدول الرشيدة ، والانظمة الراسخة ، والشعوب الواعية ...

●● بناء الانسان المغربي — اولا — تلك هي القضية ...

والبناء في هذا المجال يبدأ اولا بالتحصين والوقاية من المؤثرات الخارجية ، لا باقفال الابواب والنوافذ ، فان من شان ذلك ان يخنق الجو ، ويضغط التنفس ، ويضر بالصحة ، ويعوق النمو المنشود ، ولكن بتصفية الهواء ، وتلطيفه ، واختيار الجهات التي يتسرب منها ، من جهة ، وترسيخ قواعد البيت ، وتقوية الاساس ، من جهة ثانية ، حتى اذا ما هبت الرياح — وهي دائمة الهبوب كما لا نحتاج ان نقول — لم تنل منا ، ولم تزعزعنا عن موضعنا ، ولم تخرب علينا البيت .

هذه صورة واضحة وضوحا كاملا ..

ان الحد من استيراد نوعيات خاصة من البضائع الاجنبية ينبغي ان يوازيه عمل مماثل في الميدان الفكري ، ضمانا للتوازن ، وحرصا على سلامة عقيدة الشعب ، وتثبيتا للاستقرار ، واستتبابا للامن ، وتحصينا للروح الوطنية المومنة ، والاصالة الاسلامية ، والذاتية العربية .

ولا يجوز فهم الموضوع فهما مبسطا كان توضع قائمة بالممنوعات والمحظورات ، فاذا كان هذا يجوز في البضائع ، والمواد الغذائية ، والادوات ، وسائر اصناف المنتوجات الصناعية ، فانه يستحيل في الفكر والثقافة ، والفن والادب ، ومن ثم وجب الاعتماد الكلي على مراقبة ما يلقن لابنائنا وبناتنا ، وما تقدمه اجهزة الاعلام والسينما والمسرح ، باسلوب متحضر ، بعيد عن اي نوع من انواع الارهاب والقمع . لان ضرر هذا الاسلوب اكثر من نفعه . ونحن امة الوسط ، والحكمة ، والموعظة الحسنة، والدعوة الى الخير بالتي هي احسن واقوم وأعدل ...

● اننا نستطيع أن نحدث تغييرا وطنيا في مجالات الفكر والثقافة والتعليم والاعلام اذا اتبعنا — باخلاص ، ووعي ، وتبصر — التوجيهات السديدة ، والنصائح الغالية ، التي ما فتىء جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يغذي بها مسيرتنا ، ويطعم بلقاحها شبيبتنا ، وينير لنا بها سبل الرشاد والفلاح .

●● وغني عن القول ان الخير كل الخير فى اتباع منهج الاسلام فى هذا الصدد . فان الاسلام يدعو الى القدوة الحسنة . فاذا الزم كل مواطن مسؤول نفسه بحكم الاسلام ، ورضي به صراطا ومنهجا ودستورا ، وراعى الله فى سكناته وحركاته ، وحرص على أن يكون القدوة الحسنة المجسمة بأفعاله واقواله وسلوكه وتصرفاته ، ضمنا لانفسنا أسباب التفوق ، وحققنا للبلاد الخير والازدهار والرخاء ، لا ذلك الرخاء الموهوم المزعوم الكاذب الموقت ، ولكن الرخاء المدعم بالعلم ، والانتاج ، والشورى ، والعدالة الاجتماعية ، والوحدة الوطنية ، والحماس الشعبي المتدفق ، الذي يدفع بالمواطنين الى ان لا يكتفوا بالانتاج فحسب ، بل التنافس فى الانتاج ، واجادته ، واتقانه ، وتحسينه ..

● هـذا قدرنـا ..

نتتج ، ونبني ، دون تفريط فى المقومات ، والقيم ، والمقدسات ، ونخوض معركة التنمية الاقتصادية على جبهة واحدة مع معركة التنمية الفكرية .. والتنقية الفكرية .. والتصفية الفكرية ..

دعوة الحق

خطاب جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في افتتاح الدورة الحالية لمجلس النواب

●● فى هذا الخطاب الذي افتتح به جلالة الملك الدورة الجديدة لمجلس النواب لهذه السنة نقف على توجيهات ملكية سديدة مستمدة من روح التشريع الاسلامي ومنهج الحكم فى الاسلام على نحو يمكن ان نقول عنه انه درس فى السلوك السياسي الاسلامي دونه كل درس .

لقد بدا المغرب مرحلة جديدة من الحياة الديمقراطية والشورى والعدالة الاجتماعية قوامها التعبئة والتكافل والتآخي والوحدة الوطنية والاجماع العام على الدفاع حتى آخر رمق عن حقوقنا المكتسبة وسيادتنا الوطنية وصحرائنا المحررة ...

فى هذا الخطاب الملكي السامي ـ على قصره ـ يجد القارىء مفاتيح لفهم الاسلوب المغربي فى العمل السياسي بعيدا عن الديماغوجية والهراء والمزايدة واستثمار معاناة الشعب . وهو أسلوب ناخذ به جميعا ، ونعض عليه بالنواجذ ، ولا نرضى بغيره بديلا .

ويسرنا أن ننشر النص الكامل للخطاب الملكي الهام :

حضرة الرئيس .. حضرات السادة النواب ..

فى السنة الماضية اقتبست خطابي من آية قرآنية . وقد حاولت اليوم أن اقتبسه مرة ثانية من الآية القرآنية .

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

وانني لاعتبر هذه الآية وكانها انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لتكون لكم نبراسا وتكون لكم من معالم الطريق التي عليكم أن تسلكوها . فانتم المنتخبون مهمتكم المراقبة . ولكن يا ترى من سيراقب المراقبين ؟ : الله ورسوله والمؤمنون . فمراقبة الله لكم سبحانه وتعالى هي مراقبة الضمير حينما يرجع كل واحد منكم الى بيته ، وحينما

يتساءل هل اديت الامانة ؟ وهل قمت بالواجب ؟ وهل كنت في مستوى الثقة الموضوعة في ؟ بل هل كنت امينا عندما شرحت او بينت أو فسرت مطالب الذين انتخبوني واختاروني ؟ هذه مراقبة الله بمعنى مراقبة الضمير ، فسيرى الله عملكم ورسوله أو خليفة رسوله صلى الله عليه وسلم ، الا وهو المسؤول الاعلى في قمة المسؤوليات في البلاد . وهكذا يتحقق ما قلت لكم دائما كجهاز تشريعي او تنفيذي . ان فصل السلط ضروري وواجب ، ولكن لا يجب ان يفهم في المستوى الاعلى للمسؤولية .

فمراقبة من استخلفه الله في الارض ليكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة لا على السلطة التنفيذية ولا على السطة التشريعية .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » المؤمنون هم الجماعة التي شخصت مشاكلها ضيقة كانت أم كبيرة ، محلية كانت او شمولية ، خاصة كانت او عامة . مسؤولية الذين وضعوا ثقتهم ووضعوا آمالهم ووضعوا مسؤولية النصح بين أيديكم .

وهكذا نرى ان في كتاب الله العزيز ، ان كل من قلده الله مسؤولية تشريعية كانت أم تنفيذية ، لا بد ان يخضع الى مراقبة . مراقبة الله ، ثم مراقبة من ولاه الله على امور المسلمين ، ثم مراقبة المنتخبين، وهذه المراقبة لا يمكن ان تكون ذات جدوى الا اذا كان موضوعها معروفا وملموسا ، مراقبة اي شيء ، مراقبة اي انجاز ، مراقبة اي هدف .

ان المشكل الاساسي لكل دولة اليوم ، ونحن في منعطف الطرق ، سواء كانت دولة نامية او في طريق النمو هو أن تختار بكل علم وتمحيص ومعرفة بالعناصر ، ان تختار مجتمعها ، وماذا تريد ان يكون من مجتمعها ، في المستقبل .

انا ولا اخفي عليكم ، اذا بقينا سائرين على ما نحن سرنا عليه ، سوف نرى مجتمعنا متفككا بين ضعيف كل الضعف وبين غني وقوي كل الغنى والقوة . وذلك التفكك سيخلق فجوة ثم تصبح الفجوة هوة ، ثم ينقلب الامر الى ميز طبقي لم تكن بلادنا لتعرفه لا في الماضي البعيد ولا في الماضي القريب . مجتمعنا كلما زدنا سنة او سنتين نرى ان اسفله يزيد ابتعادا عن أعلاه ، وذلك لاننا حينما نضع القوانين تكون نياتنا صافية . ولكن حينما نريد ان نطبق تلك القوانين نخضع لرغبة فلان وتدخل فلان وللمحسوبية وللحزبية ولعدة عناصر ما جعل الله منها عنصرا حيا وجديا في كل دولة أرادت أن تبني مستقبلها بكيفية عادلة حتى تصبح سعيدة .

يرمينا البعض اننا نعيش في مجتمع استهلاك ، وكانه بذلك يجعلنا في ضفة ويجعل آخرين في ضفة اخرى . اظن ان هذا كله غلط وتغليط . فحتى الدول الاشتراكية اذا كانت مخلصة مع نفسها ، واذا كانت تخطيطاتها قيمة وصحيحة ، واذا كان انجاز تلك التخطيطات يسير حسب المبتغى ، لا بد أن تصل بمجتمعها الى مجتمع استهلاك . فاما تخون شعوبها ، وذلك باحتكار الرفاهية على طائفة من شعوبها دون طائفة فلا تصبح لا ديمقراطية ولا اشتراكية ، ولكن تصبح فاشيستية ، حيث انها تكدس كل ما كسبت وكل ما انجزت لفائدة الحاكمين دون المحكومين . واما ان تريد ان تذر خير منجزاتها ومخططاتها على جميع السكان وستصبح بذلك بعد عشرين سنة أو ثلاثين سنة او مائة سنة ، - فالزمن هنا ليست له قيمة - ستصبح يوما ما هي نفسها مجتمعا استهلاكيا.

فاذن اذا نحن وضعنا من جهة ان وسائل الانجاز اصبحت اقوى من ذي قبل ، وان وسائل الفلاحة سواء بالآلات او بالاسمدة اصبحت تجعل الارض تعطي اضعاف ما كانت تعطي ، واذا نحن زدنا على هذا على انه باقل من خمس ساعات في اليوم من العمل يمكن للبشر ان ينتج الطاقة الفعالة المنشئة الخلاقة ، وجدنا ان كل مجتمع اراد ان ينهض وكل مجتمع أراد أن ينهض بجد دون غش ودون احتكار الخيرات لطائفة دون طائفة عليه ان يعلم انه سيصبح في مجتمع استهلاك . ومجتمع الاستهلاك اذا كان مجتمعا يكرم الشخص البشري ويشخص ما وصل اليه بنو الانسان من العلم والمعرفة ، اذا كان مجتمع الاستهلاك يظهر آية من آيات الله في خلقه ، وذلك باعطائه من سلطان العلم بارادة الله لينتجوا ما ينتجون ويتقنوا ما هم اتقنوا ، عليهم ان يعلموا في آن واحد المخاطر التي تحدق بذلك المجتمع وبتلك المنجزات وبذلك التقدم .

واظن اننا اذا اردنا ان ننظر يمينا وشمالا وبحثنا ، جديا في الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية

ولا اقول الاقتصادية والاجتماعية بل اربطها ، الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية التي تحيط بنا في الدول العظمى وفى القارات المتقدمة ، نرى ان الولايات المتحدة هي التي تضرب الرقم القياسي في ذلك الفرق بين الغني والفقير ، فلا أقرب فى اية دولة اخرى من غني وفقير الا فى الولايات المتحدة . فدخل الفقير منهم ودخل المتوسط أو الغني كأنهم توأمان . ونرى في دول أخرى ان الفرق بين الغني والفقير كأنهما ضفتان لا ضفتا نهر بل ضفتان تلك الضفتان اللتان تحيطان بالمحيط الاطلسي .

اذن النتيجة من هذا كله هو ان التقدم الاقتصادي والعدالة الاقتصادية لا يمكن ان يكونا موجودين الا فى عالم تسوده الحرية وتهيمن عليه الديموقراطية ، لان الحرية تمكن كل واحد من اختيار احسن الطرق ، والديموقراطية تعطي حتى للقليل الضعيف حق التعبير وحق تصوير مشاكله وعرضها على المسؤولين ، ومن جملة المسؤولين انتم حضرات السادة المنتخبين . انتم الذين تحت مراقبة الله ورسوله ومراقبة المؤمنين .

لذا سنعرض عليكم قريبا خطتنا الثلاثية ولن يمضي عليها بضعة أيام حتى نعرض عليكم القانون المالي للسنة المقبلة .

وضعنا هذا التخطيط ووضعنا هذا القانون وحاولنا ان نعطي لكل واحد منهما الصبغة الفنية التقنية صبغة الارقام التي سوف تسهل عليكم الاختيارات . ولكن الصيغة النهائية . الصيغة التي ستطبع فى الجريدة الرسمية ، الصيغة التي سيقراها القارئون ويحللها المحللون فى العالم اجمع ليروا ويفهموا من خلال القانون المالي ما هي فلسفتنا ؟ وما هي اهدافنا ؟ . وما هي الاخطار الطبقية ؟ . وأؤكد على هذه الاخطار الطبقية التي نريد ان نتجنبها ، تلك الصيغة هي بيدكم فحاولوا اذن ان تكونوا كما قلت لكم فى السنة الماضية ـ امة وسطا ـ حاولوا ان تجمعوا بين الضرورة والفضيلة ، وحاولوا ان تجعلوا الامل يتساكن مع الممكن .

حاولوا ان تجعلوا من الحاجيات ومن المؤملات توامين يعيشان فى سلم اجتماعية واقتصادية ، وقبل كل شيء فكرية وسياسية ، ولا سيما انني وفى هذا اليوم ، يوم الجمعة ، ولو كان فى الامكان ان يسمي او يعطي اسم ليوم افتاح البرلمان لسميته « عيد الوعي والمسؤولية » . ففي هذا اليوم الذي هو فى نفسي وفى قرارة نفسي ووجداني أحس به احساسا وشعورا عميقا بانه عيد المسؤولية وعيد الوعي ، يسرني ان اقول لكم ان الله سبحانه وتعالى حينما وضع امامنا اختيارات وبالتالي مشاكل ـ وهنا نرى جلاله ـ وضع امامنا آمالا حقيقية محسوسة علمية . وهذا هو جماله ، من انه سبحانه وتعالى في الاشهر الثلاثة من السنة المقبلة سيدفق علينا خيراته المعدنية من النفط وغيرها .

وهكذا يمكنني ان اقول لكم : ان يوم ثالث مارس المقبل ان شاء الله يوم عيد العرش ـ سنكون بعد باسم الله الرحمن الرحيم ، سنكون قد وضعنا اول معول في الارض وسنكون قد استخرجنا منها ما اعطانا الله كميات نفطية اقل ما يمكن ان يقال عنها ، والاقل وبالتشاؤم الاكبر ، انها سوف تسد ولا شك حاجياتنا وحاجيات الاستهلاك الداخلي .

اما فيما اذا نحن اكتشفنا اكثر فانني ارجو منكم ان تحلموا معي شيئا ما ، وفى بعض الميادين الحلم واجب ، فلنفرض اننا وجدنا من الكميات ما يكفينا وما سيمكننا من التسويق فانظروا الى الخريطة فيمكننا ان نقول ان المغرب حر ونفطه حر سيكون نفطا حرا من الناحية الستراتيجية والجغرافية ، حر بالنسبة للتسويق ، اما لاوروبا او لامريكا .

فعليكم حضرات السادة ان تتصوروا هذه الصورة وتخيلوها فاذا لم تقع فسنكون قد قضينا مدة سعيدة مع خيال سعيد وان هي حقيقة اصبحت سوف لا نفاجأ بوسائل كبيرة وتفكير قصير ، لذا حضرات السادة اريد ان تروا مستقبل المغرب وبالاخص ان تنظروا الى هذه السنة بالنظرة الآتية :

حملة فلاحية تقنية وعلمية حتى نتمكن من استغلال أرضنا استغلالا كاملا كانت امطار كافية ام لا ، وهذا فى الامكان اذا نحن استعملنا ما يسمى « دراي فارمر » وانظروا بعد ذلك الى شهر مارس وانتظروا ما سياتي به الله فاذا نحن جندنا انفسنا للعمل الحقيقي ووطدنا عزائمنا لاستقبال ما سنستقبل من الوسائل ولكن كل وسيلة هي فى الحقيقة عبء ، فلا يعني ان الوسائل او الارزاق هي بمثابة لعبة الارزاق والغنى عبء وخطر فى ان واحد ، عبء لان علينا ان نعرف كيف نصرف خيراتنا ، وخطر لان

الحساد كثيرون ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((اللهم كثر حسادنا)) .

اظن انه من الاطناب او الحشو ان اخاطبكم في مشكل سيادتنا وحرمة ترابنا وقداسة حدودنا فاني اعلم انه لا يوجد اي مغربي مغربي كيف ما كان لا يعطي لهذه القضية أهميتها القصوى وخطورتها المستمرة لان الخطورة ، خطورة حدود المغرب سوف تكون خطورة مستمرة نظرا لموقعه الجغرافي ، نظرا لبوغاز طارق نظرا لطول شواطئه ، نظرا لخيراته، نظرا لتنوع طاقاته : بترول او برانيوم من الفسفاط .

لا تنسوا ان مسقلة ربما اصبحت اكثر من خريبكة من ناحية كمية الفوسفاط ، لا تنسوا ان مدخراتنا لاستخراج 25 مليون طن سنويا ستمكننا من ان نستخرج الفوسفاط فوق الالف و 600 سنة لا تنسوا ان ذلك الفوسفاط يعطي اليورانيوم في آخر التفاعلات ، لا تنسوا ان الفوسفاط في آن واحد يقر الخير في الارض ويخرج اليورانيوم ، لا تنسوا ان النفط سينقضي وان الفوسفاط سيبقى .

هذه كلها عناصر تفسر ما قلته لكم من ان المسؤولية جسيمة والخطورة مستمرة ، فاذن ماذا هو عملكم وعملنا جميعا ؟

عملكم وعملنا جميعا ان نكون في تفكيرنا وسلوكنا مع اصدقائنا مع الجماهير مع ابنائنا مع اسرنا بمثابة الاستاذ الملقن الذي يلقن الدرس ، درس الحذر درس اليقظة ، درس الروح المجندة صباح مساء ومساء صباح .

ان الارض يوما ما سوف تضيق على الناس بما رحبت وسوف ترجع البشرية او بنو الانسان الى ذلك التفاعل البيولوجي الذي يجعل من الحروب ضرورة من الضروريات العالمية ، فعلى المغرب في ذلك الحين ان يبقى تلك القلعة ، القلعة الفلسفية قلعة التمدن ، قلعة المدنية ، قلعة المدرسة المحمدية النبوية ، تلك التي تعلمنا فيها ، ((ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم)). تلك القلعة التي في الشكليات تكون متمدنة اكثر ما يمكن ولكن حينما تصل الامور الى العمق والى الكيان والى الكنه لا تتراجع ولا تعرف النكسة ولا تعرف التنكر لمبادئها ..

ونصيحتي لكم في هذا الباب جميعا ، اذا انتم وجدتم شيئا ما من الوقت ان تقرأوا كيف كانت مفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية ، وما تحمله من الشكليات دون ان يخل ولو بنقير قطمير بما كان على عاتقه من مسؤوليات وواجبات .

فاذا انتم طالعتموها وتشبعتم بها سوف اجد فيكم كلكم وزيرا للخارجية يعمل في حزبه وفي شعبته وفي الحقل الدولي وفي أصدقائه في الخارج .

حضرات السادة : ربما اطلت عليكم ولكن حاولت أن أجعل من حديثي هذا حديثا مبنيا على اخلاق ، اخلاق معاملات ، وعلى حقائق وارقام وعلى آمال وعلى مخاوف .

حاولت اذن ان اجمع في كلمتي العالم الذي نعيشه : الحقائق ، المعاملات ، الاحلام ، الحقائق ، المخاوف . هذا عالمنا منذ ان خلق الله البشرية .

املي في الله سبحانه وتعالى ان يجعل منكم اولئك الابناء البررة الذين اذا هم وقفوا امام مواطنيهم المؤمنين او امام خليفة رسولهم او امام ربهم ان يكونوا فرحين سعداء بما عملوا وبما رآه الله ورسوله والمومنون والسلام عليكم ورحمة الله .

> العدالة الاجتماعية لن تقوم الا في عالم تسوده الحرية وتهيمن عليه الديمقراطية

20 سنة من الجهاد الصحافي

●● بهذا العدد تنهي مجلة دعوة الحق تسع عشرة سنة من عمرها،لا من حيث التقويم الزمني فان عمرها الآن احدى وعشرين سنة ونصف السنة ، ولكن من حيث التقويم العددي ، على أساس ان سنة المجلة عشرة أعداد، ما عدا ، السنوات الاولى ، فى أواخر فترة الخمسينات ، حينما كان يصدر منها فى السنة الواحدة اثنا عشر عددا .

العدد الاول من هذه المجلة صدر فى يوليوز 1957 . ومضت منذ ذلك الحين تشق طريقها فى الساحة الصحافية ، وتنافس أرقى المجلات العربية والاسلامية ، وتستقطب حولها نخبة ممتازة من خيـرة الكتـاب ، وأفاضل العلماء وصفوة الباحثين ، واستطاعت دعوة الحق ان ترفع اسم المغرب ، وتعلي من قدر الثقافة العربية والاسلامية فى هـذا البلـد ، وتنشيء مدرسة راقية للصحافة الاسلامية والادبية أسهمت ــ ولا تزال وستبقى باذن الله تعالى ــ فى تطوير واثراء الفكر والثقافـة والدعـوة الاسلامية والادب والبحث العلمي على الصعيديـن الوطنـي والعربـي الاسلامـي .

ان أقوى تحد يواجهنا فى هذه المجلة التوفيق بين اتجاهين اثنين : المحافظة على الخط الرزين ، والرصين ، الهادىء ، الـذي امتـازت به المجلة ولله الحمد ، باعتباره جزءا من ارثنا الفكري والحضاري من جهة ، ومسايرة التطور الصحافي الحديث شكلا واخراجا وتبويبا ، وملاحقـة آخر الاساليب الاعلامية فى طرح القضايا ، والمناقشة والعرض ، والتحليل من جهـة اخـرى .

وهذه احدى مهمات الاعلام الاسلامي . ونحسب اننا وفقنـا ولـم نفقد الامل فى المزيد من التوفيق والسداد .

وان لهذه المجلة رسالة هي جزء لا يتجزأ من رسالة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، القيام بها من صميم العمل الاسلامي ، والامانة الفكرية، والمسؤولية الحضارية لهذه المملكة العتيدة المحروسة بعين الله .

وتبقى كلمة نوجهها للسادة الافاضل كتاب هذه المجلة ان يدعموها ويعززوها . فهذا منبرهم ، قوامه الاسلام والعروبة فى ظـل العـرش العلـوي المجاهـد المجيـد .

والى اللقاء ــ باذن الله ــ مع أعداد السنة العشرين .

عبد القادر الادريسي

الردّ القرآني

على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

-14-

للأستاذ عبد الله كنون

لا ، لا يجب الاعتقاد بالقرءان !

واخيرا ، وبعد ما افرغ رحماتوف جعبته مما فيها من الطعن والسباب للقرءان والاسلام وسائر الاديان ظن انه قد حقق الهدف من حملته المسعورة ، فعنون فصله الاخير بهذا العنوان السخيف .

وقد استهله بهذا السؤال : ما ذا يعلم القرءان ؟ واجاب بأن علماء الاسلام يقولون ان القرءان يجب ان يكون فى القلب ولا يبتعد عن الضمير ، وان يشغل المكان الاول فى الفكر والشعور ويعتبر المثل الاعلى للحياة .

ويعقب على ذلك بكلام لكارل ماركس قاله فى نقد فلسفة هيجل ونظره فى الاصلاح اللوثوري وملخصه ان لوثر عوض خضوع العبادة بعبودية العقيدة وحول الراهب الى لا ديني واللاديني الى راهب اي انه حرر الانسان من التدين ظاهرا وجعله متدينا باطنا . ثم قال : ان كلام كارل ماركس هذا يمكن تطبيقه على علماء المسلمين الذين حرفوا القرءان فجعلوا كل ما هو خارج عن الجماعة الاسلامية مجموعة من المجرمين .

ان كلام هذا الكاتب متهافت من تلقاء نفسه ، فهو اولا يقول عن علماء المسلمين ان القرءان يجب ان يكون فى القلب وتعاليمه هي المثل الاعلى للمسلم ، وهذا صحيح ، وثانيا يعقب عليه بكلام عن نظر الفيلسوف هيجل فى حركة لوثر مؤسس المذهب البروتستاني فى المسيحية ، وعلى ما فى هذا الكلام من مآخذ فان بين البروتستانية والاسلام بونا شاسعا وكيف يلتقي المذهب البروتستاني مع الاسلام الذي جاء لاصلاح المسيحية وما دخلها من التحريف وخصوصا فى العقيدة ؟ فالمسيحية دين التثليث والاسلام دين التوحيد ، وعقيدة الصلب والفداء فى المسيحية تقابلها فى الاسلام مقابلة التضاد آية (ولا تزر وازرة وزر اخرى) والغاء العبادات البدنية فى البروتستانية على زعم هيجل اكتفاء بالايمان الباطني يقابله فى الاسلام الاركان الخمسة التي لا يتحقق اسلام احد الا بها وهي الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج ، الى آخر القائمة فأين التشابه بين البروتستانية وما زعمه هذا المؤلف من انطباق قول كارل ماركس فيها على ما عمله علماء الاسلام فى القرءان من تغيير بزعمه ! ...

ثم أن القرءان لم يحرف بحرف قط ، وهو محفوظ فى الصدور وفى الصحف بشهادة العدو والصديق ، والله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظه فى قوله (انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون) وهذه الآية يقرأها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ويتحققون من معناها ، ولو كان احد تسور على القرءان وحرف منه ولو حرفا واحدا لما بقي لهذه الآية قيمة ولبطل القرءان فى جملته وتفصيله ، ولكان اعداء الاسلام من

المبشرين المسيحيين والملحدين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم اول من يعلن ذلك ويطيروا به فرحا وتشنيعا على الاسلام وكتابه المقدس ! . .

ويتابع المؤلف أوهامه عن تحريف القرءان من طرف علماء المسلمين وهو يتمثل ما يعتقده الشيوعيون ولا سيما الرسميون منهم فيمن ليسوا على مذهبهم ، فيزعم ان غير المسلمين فى نظر علماء الاسلام انما هم مجموعة من المجرمين وهذا تقول على هذه الطائفة من افاضل المسلمين الذين هذب الاسلام اخلاقهم وجعلهم فى مستوى من الشعور الانساني لا يرقى اليه تصور صعلوك من صعالكة الشيوعية مثل المؤلف . فان علماء المسلمين من اخص آدابهم التي يلقنونها للجماهير المسلمة ان لا يحتقروا احدا من الخلق وان لا يروا لانفسهم فضلا على غيرهم كائنا من كان . لان الخاتمة مغيبة على علم الانسان وانما الاعمال بالخواتم . وقد جاء فى شعر لبعض كبار المربين منهم :

ولا ترين فى الارض دونك مومنا
ولا كافرا حتى تغيب فى القبر

فان شهود الامر عنك مغيب
ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

والاصل فى ذلك قول الله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم) ، ومن المقرر فى علم التوحيد ان النبي محمدا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة وان الخلق بالنسبة اليه هم ما بين امة دعوة وامة استجابة، فاما الاستجابة هي التي آمنت به ودخلت فى ملته ، وامة الدعوة ما عداها وهي فى كل وقت مدعوة الى الايمان به والدخول فى دينه فكيف يعتبرها العلماء مجموعة من المجرمين ، وفى القرءان خطاب للجماعة الاسلامية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، ان تبروهم وتقسطوا اليهم . ان الله يحب المقسطين) وقال علماؤنا فى تفسير الحديث الشريف (لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) المراد بالاخ هنا الاخ فى الانسانية ، والمطلوب ان يحب له النجاة بالدخول فى الاسلام كما يحبها لنفسه ، فهل بعد هذا السمو فى الشعور الانساني يقال ان علماء المسلمين يرون فى غير المسلمين مجموعة من المجرمين ؟ ان هذا كما قلت تمثل لراي الشيوعيين فى غيرهم !

ثم يقول رحماتوف بعد ذلك : كل ما يهم الناس من الامور وكل رغباتهم فى الحياة ولو كانت شيئا حسنا هي شيء باطل او لا اهمية له حسب تعليمات الفقهاء التي يلقنونها للناس . وهذا كذب محض فالفقهاء انفسهم يشتغلون بما يهمهم من امر الدنيا كما يشتغلون بامر الآخرة ، وعموم المسلمين كذلك ، وما اسس الفقهاء علم الفقه والاحكام الا لضبط مصالح الناس وتحصين حقوقهم ، ومثالا على ذلك الملكية الشخصية التي يصادرها القانون الشيوعي ، ويحميها الفقهاء بمقتضى التشريعات الاسلامية الصريحة . وحرية الفرد وحرمة البيت وحق التنقل والاجتماع والتعبير عن الراي مما يحرم الحكم الشيوعي منه الناس ، هي اشياء يبيحها الشرع الاسلامي ويقف الفقهاء موقف الدفاع عنها ضد كل متسور عليه .

ولا ادل على ذلك من هجرة العديد من الشيوعيين ولجوئهم الى بلاد العالم الحر ، ولم نر من هاجر من هذا العالم فأحرى من بلاد الاسلام الى البلاد الشيوعية .

ويزيد هذا المؤلف قائلا : بدراسة القرءان نستخلص ان الحياة الحقيقية للانسان ليست هي وجوده فى هذه الدنيا . ولا نضاله من اجل سعادته ورفاهيته ، ان الحياة الدنيوية مؤقتة ، وافراحها خداعة والقرءان يؤكد ان الله يراقب مصير كل احد ، وان الانسان حقير وذليل امام الله .

والرد على مثل هذه التقولات قد تقدم فى الفصول السابقة . ولا سيما الفصل الخاص بالتعريف بالقرءان ومع ذلك فاننا نعيد الى الاذهان ان القرءان كما يدعو الى العمل للآخرة كذلك يحض على اصلاح امر الدنيا فالله تعالى خلقنا من الارض وجعلنا عمارا لها لا مخربين ولا مهملين ، فالآية الكريمة تقول (هو خلقكم من الارض واستعمركم فيها) وهذا خطاب للانسانية بصفة عامة ، وتقول (وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو خطاب للفرد فى نطاق الجماعة . واما كون الحياة الدنيا مؤقتة فهو امر مشاهد والتذكير به حافز على التيقظ والمسارعة الى عمل الصالحات وما خلا كتاب حكمة ولا دعوة لنبي من التنبيه على ذلك . وكونه تعالى رقيبا على مصائر الخلق هو عقيدة ثابتة فى جميع

الاديان ، ولا ندري ما ينقد المؤلف منها الا أن يكون مراده تخلي الله عن مراقبة خلقه للمراقبة الشيوعية التي تحصي الانفاس على الناس وتأخذهم بالظنـة وتعاقبهم بالتوهم . وبالجملة فالنظر الصحيح للدنيا هو ما تضمنه القرءان الكريم مما اشرنا اليه باختصار، وتجمله الآية الكريمة القائلة (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) فهي لم تزهد فيها بل جعلتها وارثة للعاملين المصلحين ، وكفى بذلك ترغيبا فى السعي والجد وعدم التواني والكسل . ولا نعلق على آخر كلمة فى جملته السابقة الا بأن الخير كل الخير أن يكون المـرء ذليـلا لله خاضعا له فذلك اولى وافضل من أن يكون ذليـلا خاضعا لزبانية الحكم الديكتاتوري والشيوعي بالاخص الذي اهدر قيمة الفرد وجعله مسخرا بمثابة الآلـة الصماء لا ارادة له ولا اختيار .

ويستدرك هذا المؤلف على القرءان بزعمه فيما نسبه اليه زورا وبهتانا فيقول : « لكن الانسان ليس شيئا لا اهمية له ، ليس دودة حقيرة ، ليس حفنة من تراب كما يقول القرءان ، ان الانسان معجزة على هذه الارض وكل معجزات العالم نتيجة لقدرته الخلاقـة وعقله وتفكيره كما يقول مكسيم جوركي » .

لم يقل القرءان ان الانسان مخلوق لا اهمية له، ولا انه دودة حقيرة ، فهذا من تخرصـات الكاتـب واجترائه على اعظم كتاب ديني يعرفه العالم كلـه . وليس من المعقول ان يخلق الله الانسان ويجعلـه خليفة له فى الارض كما يقول القرءان حقا : (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الارض خليفة) يعنـي الانسـان ، نقول ليس من المعقول ان يكون الانسـان بهذه المثابة عند الله ويخبرنا القرءان بذلك ثم يزعم انه لا اهمية له ، وينسب ذلك الى القرءان . ان هذا القائل متأثر بالمذهب الشيوعي الذي يلغي قيمة الفرد ولا يعتبره شيئا الا فى ضمن الجماعة ، وبحكم كفره بالاديان كلها وكتبها وخاصة القرءان ، اراد أن يدلس على مواطنيه من الروسيين فالصق ما يلقونه مـن المهانة والاحتقار بالقرءان ليوهمهم ولا سيما المسلمين منهم ان ذلك من الاسلام وليس من الشيوعية .

واما احترام القرءان للانسان وما له فيه مـن الاعتبار الخاص فتنبىء عنه عدة آيات كريمة مـن اوضحها دلالة على ذلك قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وقضيـة اسجاد الملائكة لآدم كافية وحدها فى تفضيلـه على الملائكة انفسهم ، قال تعالى (واذ قلنـا للملائكـة اسجدوا لآدم فسجدوا) وكان امتنـاع ابليس من السجود له سببا فى لعنه وطرده وكتابـة الشقاوة عليه ، مدى الابد ، واستنبط علماء الاسلام من هذا ان الانسان على العموم افضل من الملائكة ثم فصلوا ذلك بأن خواص البشر كالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام افضل من خواص الملائكة ، وخواص الملائكة افضل من عوام البشر ، ولا شيء فـوق هذا مـن الاعتبـار والتكريـم .

وكون الانسان قبضة من تراب هو واقع خلقه ، فان انشاءه كان من التراب والى التراب يعود الى أن يبعث وهذا شيء ثابت بالعلم وليس على القرءان فيه درك . نعم ما نقله المؤلف عن الكاتب مكسيم جوركي مستدلا به على القيمة العظمى للانسان هو وان كان خيال كاتب لا يصح به الاستشهاد فى هذا المقام الا اننا نعلق عليه بما يوضحه للقارىء العادي ولا يدع فيه شبهة لاحد . فاما كون الانسـان معجزة فهو حق ولكنها معجزة الخالق عز وجل الذي ابدعه وخلقه فى أحسن تقويم فهل يعتقد هذا العبيط أن جوركي اراد ما يفهمه هو من ان الانسان معجزة وجدت بطريق الصدفة ولا صانع لها ؟ واما ان كل معجزات العالم هي من صنع الانسان فيقال عليه ان من هذه المعجزات السماوات والارض وسائر الكواكب والحيوان والنبات وغير ذلك من المخلوقات ، فان كان الانسان فى نظره هو مبدعها وخالقها فكيف واين ومتى ؟ ؟ ؟ ليخبرنا حضرته بذلك وليعطنا الدليل عليه ، فالعلم والفلسفة حائران امام هذا الوجود وكم تكون فرحة البشرية عموما بعلمائها وجهالها عظيمة حين يطلعها هذا المؤلف العبقري على سر الخلق وعلة التكوين ! ...

ولا يلبث المؤلف ان ينقض كلامه بنفسه حين يقول ان عقل الانسان الذي اخترع فى الماضي معبودا غير طبيعي وسماه الله ، يحطم اليوم هذه العبادة ، وهو مستندا الى العلم فينبذ معتقـدات القـرءان ويعمل لسعادة الانسان على هذه الارض ... فاذا كان عقل الانسان وارادته الخلاقة هي التـي أوجـدت المعجزات التي على الارض فى الماضي فكيف هفـا هذا العقل وأوجد معبودا لا حقيقة لـه ، وعاد الآن يحطمه وينكر الاعتقاد به ؟ اليس من الجائز بل المؤكد

انه مخطىء فى الحاضر كما كان مخطئا فى الماضي ؟ وهذا كما لا نحتاج أن نقول على سبيل التنازل واعتبار ما يعتقده طغمة الملاحدة بحق الله عز وجل . والا فان تناقض هذا الكاتب والهراء الذي يتضمنه كلامــه لا يستحق أن يسمع ما دامت الدنيا ، كل الدنيا ، تومن بوجود الالاه وتخزي المارقين .

ويعيب الكاتب على القرءان تقسيم الناس الى مومن وكافر ويمجد الشيوعية والاتحاد السوفياتــي اللذين يناضلان من اجل ان يعيش الناس كاسرة واحدة لا يفرق بينهم جنس ولا لون ولا لغة ولا ديــن ... وهذه دعوة القرءان منذ أربعة عشر قرنا حين قال : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكــم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وهي دعوة لم تطبق قط فى مجتمع كما طبقت فى المجتمع الاسلامي على ما تقدم تقريره فى الفصول السابقة ، أما ما ادعاه الكاتــب للشيوعية والاتحاد السوفياتي فهو كلام لا حقيقة له ودعوى ليس لها واقع ، وكفى ما يعانيه العالم مــن اخطار التفرقة بين المعسكرين الشرقي والغربــي دليلا على عدم صحة ما زعمه وبطلان ما ادعاه .

ويعود فيكرر كلامه الممجوج من ان القــرءان يحط من قيمة الانسان ويستعبده لقــوة لا تــرى ، ويشيد بقدر الانسان مستشهدا بقول (لوبا تشفسكي) ان الانسان هو السيد الغازي والمالك للطبيعــة . واذا كان هذا فقط فهو ما يثبت قيمة الانسان عند الماديين ، فان القرءان قد عبر عن ذلك بابلغ عبارة فى عدة آيات منها قوله (الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) فجعل كل ما فى الكون مسخرا للانسان ولم يخص الطبيعة بل عمها وغيرها ، وقال فى آية اخرى (الله الذي خلق السماوات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكــم الفلك لتجري فى البحر بأمره ، وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سالتموه) الى غير ذلك من الآيات القرآنية فى هذا الصدد فايهما ادل على كرامة الانسان واعلاء شانه كلمة لوبا تشفسكي أم هــذه الآيات البينات التي تعد مقارنتها بتلك الكلمة كمقارنة البلور بالزجاج ؛ على أن لها نظائر عديدة يطول بنــا

الامر اذا جلبناها ، ويكفي فى الاعتبار ان توجه النظر الى التعبير فيها بالتسخير مما يلمــح الى تطويــع الطبيعة للانســان ، وبذلك كانت مجال فتوحات علميه له تشمل حتى الفضاء ، الم تقل الآية (وسخر لكــم الشمس والقمر ؟) على ان اعظم من هذا هو خلافة الله فى الارض وقد سبق الالماع لها ! ...

والعجيب ان يحتج هذا المؤلف بكلمة عابــرة لشخص من آخر القرون على كتــاب يشتمــل على العشرات من الكلمات التي هي ابلغ منها فى الموضوع ، وهو كتاب يرجع تاريخ نزوله الى اربعة عشر قرنــا سابقة ! ...

ويحجج المؤلف كما فعل مرارا بان الانســان ادرك بعقله الجبار جميع اسرار الطبيعة وكشف عن حقائقها الا اشياء قليلة هو بصدد معرفتها ولا يمــر زمن قصير حتى يهتك ستارها ويحيط بكنهها ، وقد رددنا عليه في هذا الادعاء سابقا بما يناسب ، وهنــا نقول له اذا كان الامر كما تقول فما هو هذا العقــل الذي جعله بهذه المثابة من العلم بكل شــيء ؟ ان الانســان لحد الآن وسيبقى كما هو الان على مــدى الزمان يقر بالعجز عن معرفة ماهية العقل الذي وهبه اياه واهب القوى والقدر وخالقها والمنفرد بمعرفة حقيقتها وكنهها والمنزل منها بقدر ما يشاء . كما تقول الآية القرآنية الكريمة (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) فأين هذا المدعي مــن خزائن ما عند الله مما يعجز عنه الانسان ويلقي باليد امامه ، ولا ينفعه معــه الا التسليــم والاعتــراف بالقصــور ؟

ثم يخوض فى مسالة القضاء والقدر مما سبق له ان تورط فيه ولم يخلص منه الا بما يدل على جهله وعدم تصوره للمسالة كما بينا ذلك عند نقض كلامــه فيها ، لكنه فى هذه المرة يحكي عمن سماه المفتش عباس انه مكث حقبة طويلة من عمره يدرس القرءان ويفسره ، واخيرا وقف عند هذه المسالة واستنكرها وفقد ثقته فى القرءان وارتد على عقبه ، فلعله يعني نفسه لان اسمه رحماتوف يدل على انه كان مسلما ، واذا صح هذا التقدير فاننا نقول ان المعرفة التــي يتوفر عليها حضرته بالقرءان . وهي كما راينا معرفة ناقصة وسطحية وغير صحيحة ، لا عجب أن تؤدي

به الى هذه النهاية المؤسفة وهي الردة والعياذ بالله، وهذا امر اخبر به الرسول (ص) في حديثه القائل : « من قال في القرءان بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » وسواء كان هذا المفتش المسمى بعباس شخصا حقيقيا او كان هو المؤلف نفسه تستر باسمه، فمن العباطة ان يجعله حجة على نبذ القرءان وعدم الايمان به ، ويكون ما قصه من أمره هو النتيجة التي انتهى اليها من كتيبه هذا وعنون بها فصله الاخير . فما اسخف عقله وابلد حسه ! واحر بالقضية التي يدافع عنها مثله أن تكون قضية خاسرة . فليأخذ رؤساء الحزب الشيوعي درسا من عمل هذا المؤلف الذي جعلوه داعية لمذهبهم فكان ضداً عليه .

ونختم هذا الرد بقوله عز وجل حاكيا عن نبيه موسى عليه السلام مخاطبا لمن أرسل اليهم : (وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) .

صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين .

(انتهى)

طنجة : عبد الله كنون

اللقاء 14 للندوة العالمية للشباب الاسلامي

● يعقد في مارس القادم في الرياض بالمملكة العربية السعودية اللقاء الرابع عشر للندوة العالمية للشباب الاسلامي ، وسيكون موضوع اللقاء : « الحضارة الاسلامية ودور الشباب المسلم » ، ويهدف الى ابراز الجوانب المختلفة للحضارة الاسلامية ، والى توثيق الصلات بين الندوة والمنظمات الاسلامية في العالم ، لتوحيد الجهود في خدمة الدعوة الاسلامية في داخل البلاد الاسلامية وخارجها .

والمعروف ان الندوة قد انشئت منذ سبع سنوات وتضم نحو 150 منظمة ، وهي بجانب عقد الندوات تقوم بنشر الكتب الاسلامية بمختلف اللغات ، كما تقوم بنشر ترجمة معاني القرءان الكريم والحديث الشريف ●

لله كانت الهجرة

للأستاذ عبد الواحد أخريف

ليل تناجت فى الفضاء كواكبه   وتسامرت أنواره وغياهبه

وتهامس الملكوت فى عليائه   وتتابعت أسراره وعجائبه

البدر عانق نوره من شوقه   والكوكب الساري ترنح جانبه

حرست ملائكة الوجود دروبه   والجند فاضت فى المدار ركائبه

الله قد نشر الامان ضمانة   لنبيه ، والله ينصر صاحبه

هذا « أبو بكر » وذاك « محمد »   قد هاجرا ليلا كستها سحائبه

نوران فى جنح الظلام تسترا   والله يحرس نوره ويراقبه

مكر العدا مكرا لو ان خطوطه   تمت لحلت بالوجود مصائبه

راموا اغتيال « محمد » و « محمد »   فوق التآمر لم تنله معاطبه

واذا العناية حصنت احبابها   فالسوء عادت للعدو عواقبه

جاؤوا لباب الوحي فى كنف الدجى   والشر لاحت فى الظلام مخالبه

وقفوا به وسيوفهم مسلولة   والخوف أرعشهم سريعا غالبه

وقلوبهم خفقانها متلاحق   وحديثهم همس تباعد غائبه

وعيونهم جحظت عساها أن ترى   وهل العمى نور تلألأ ثاقبه ؟!

حاشا يرون الحق وهو « محمد »   حاشا تحقق للضلال مآربه

وبدا الرسول وفى يديه حفنة   أغشى بها من فى الحياة يحاربه

من تربها شاهت وجوه شانها   لون الهزيمة اذ كساها عائبه

طلع النهار عليهم فى خيبة   والغيظ فى الاحشاء ينهب ناهبه

واذا « علي » فى الفراش تحوطه ... قوى العناية ، واليقين يصاحبه

يا ايها الفادي فدتك نفوسنا ... فلكم وقفت مع الحبيب تواكبه

من لم يحبك يا علي فانه ... خصم الرسول نهينه ونجانبه

انا فى هواي مع الامام تشوقني ... اخلاقه وجهاده ومناقبه

واذا تشيع فى ضلوعي خافق ... فابي علي ثم آلي اقاربه

يا غار « ثور » قد ضممت « محمدا » ... و « رفيقه » فاختال فخرا جانبه

خشي الرفيق على الرفيق وذاك من ... حب واخلاص تروى شاربه

لا تحزنن فان ربك قائم ... معنا ، وانس الله ينعم طالبه

خرجا « ليثرب » يقطعان مفاوزا ... حتى يفوز محمد ومذاهبه

لله لا للنفس كانت هجرة ... ولدينه ضحى النبي وصاحبه

لو كان مطمحه الغنى فى « مكة » ... او ملكها لاتت اليه جوالبه

لكن اراد هداية الدنيا الى ... سبل الهدى فارتاح للامر واجبه

خرجت مدينته الى استقباله ... ودموعها سيل تدفق ساكبه

فرحا به وبدينه ورفيقه ... وبمن يهاجر بعده ويصاحبه

تتلو اهازيج السرور وتنتشي ... بجمال وجه لا جمال يقاربه

ومضى الرسول بعزمه متجددا ... والنصر يفرح كل يوم كاسبه

يضع الملاحم للعلا منسوجة ... بشعاع نور لن تزول مواهبه

وبنى لامته العظيمة مركزا ... يعنو الوجود له ويعجز كاتبه

صلى الله عليه ما دام الحجا ... يدعو الى نهج تميز لاحبه

والآل والصحب الكرام جميعهم ... ما دام نور الله يشرق ثاقبه

ومليكنا « الحسن » الذي يحمي الحمى ... والدين ، تسمو فى يديه مراتبه

يعلي بدين الله امة « احمد » ... سيان شرق فى الهدى ومغاربه

المسلمون لديه اخوان وان ... نأت الديار ، فلا بعاد يغالبه

افراحهم فرح له وبكاؤهم ... لا ينثني حتى تزول مصائبه

حفظا له ولآله وبلاده ... وولي عهد تصطفيه تجاربه

تطوان : عبد الواحد اخريف

من أوصاف قضاة الأندلس من خلال كتاب :

المرقبة الكبرى

للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

يبدو اننا لسنا بحاجة الى التاكيد على الاهمية التي تكتسيها اليوم خطة القضاء في البلاد الاسلامية عامة أو ما كانت تمتاز به هذه الخطة بالخصوص في بلاد الاندلس طيلة المدة التي كان الامر فيها بيد المسلمين ؛ وسبب ذلك ان الاحكام التي تصدر عن القضاة تعتبر بحق من العوامل التي تغذي حياة الانسان المسلم وتوجه المجتمع الاسلامي المنظم الى السير فى طريق الاستقرار والاستمرار .

وبالامكان ان نلتمس الدليل على الاهمية الكبرى التي يكتسيها القضاء في الاسلام والحظوة التي كان يتمتع بها قضاة المسلمين في الاندلس خاصة بما نقراه في كتاب « تاريخ قضاة الاندلس » لصاحبه الشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الاندلسي (1) .

* * *

ويشتمل هذا الكتاب على قسمين : قسم يستغرق اقل من ثلث الكتاب ويبحث في القضاء عامة وفي المسائل التي تتعلق به ؛ وقسم آخر وهو أوفر من الاول هو عبارة عن مجموعة من التراجم يتصل اكثرها بمشاهير قضاة الاندلس ؛ وهذا القسم الثاني هو الذي يعطي قيمة حقيقية للكتاب .

و « تاريخ قضاة الاندلس » على وجه العموم غني بالمعلومات التي تتعلق بحياة القضاة وسيرتهم ونوع اتصالهم بقصور الخلفاء وعلاقاتهم بعموم المواطنين كما يفيض هذا الكتاب الممتاز عن الحديث عما كان يتصف به القضاة من اخلاق سامية رفعتهم في كثير من الاحيان الى أعلى درجة عند أمراء الاندلس وخلفائها ؛ يضاف الى ذلك انه يوجد فى الكتاب المذكور بيانات وتحقيقات متنوعة حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تطبع المجتمع الاندلسي أيام الخلفاء وتحت ملوك الطوائف وملوك بني نصر من بعدهم ، كما نستفيد من هذا الكتاب أشياء كثيرة عن الوضعية السياسية التي كانت تعاني منها مدن الاندلس كلما اشتد عليها الضغط وضيق النصارى عليها الخناق .

---

(1) يعتبر ابو الحسن النباهي من اعلام الاندلس في ميدان العلم والادب ؛ كان يعيش بغرناطة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) في أيام مملكة بن نصر ؛ وقد عرف باتصاله الوثيق بشيخ ادباء الاندلس وأمام الكتاب الاندلسيين . أما عن كتابه حول قضاة الاندلس فانه يحمل العنوان التالي : « كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا » ، وقد قدم له المستشرق ا. لفي بروفنصال ، وتم طبعه على يد المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت سنة 1948 .

هذا وقبل ان نتعرض لتعداد الاوصاف التي كان ينفرد بها قضاة الاندلس وعلماؤها يتعين علينا بادىءذي بدءأن نعرف بالطريقة التي تتم بمقتضاها ولاية القضاء ؛ فعلم من كتاب ابي الحسن النباهي ان خطة القضاء كانت تسند لصاحبها من طرف الامير او الخليفة ؛ وهذا ما يعطي الدليل عن جلال المهمة وعلو منزلة القضاة عند ملوك الاندلس ؛ وكان القاضي يتقلدها اما كمطلق قاضي معين على احدى الكور والاقاليم ، او باعتباره قاضيا للجماعة او قاضي القضاة . وكان القاضي يستعين بعدد من المستشارين من ذوي الخبرة والاخلاص لتبصرته عند الحاجة وتوضيح الادلة التي من الممكن ان يعتدها قبل حكمه في كل قضية طرحت عليه ؛ وكانوا يسمونهم فقهاء مشاورين ؛ ونظرا لما كانوا يتصفون به من الكفاءة والاقتدار فقد كان القضاة يسمحون لهم بتوضيح بعض النوازل في شكل فتاو يصدرونها حول عدد من المسائل التي كانت تطرح على القضاة ، اما من طرف المسؤولين بقصر الخليفة أو من طرف المواطنين انفسهم ؛ وهذه النوازل تتعلق بمختلف الابواب التي يتصل اثرها بالمجتمع الاسلامي كالحدود وشفعى الضرر والغائب والمريض والسفيه والمديان المفلس والسمسار والهبات والصدقات الى غير ذلك من القضايا التي تطرح يوميا على انظار القضاة .

وهذه الفتاوي هي التي يمكن اعتبارها مرآة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في ذلك العصر ، كما انها تساعدنا على ان نتعرف على مختلف الطبقات التي كان يتكون منها المجتمع الاسلامي في الاندلس ، كما تفيدنا ايضا بمعرفة نوع العلاقات التي كانت سائدة اذذاك بين مختلف الطبقات .

* * *

ورد عن كتاب « تاريخ قضاة الاندلس » لابي الحسن النباهي وعن غيره من الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع ان القضاة في الاندلس كانوا اذا جلسوا للنظر في اقضية الناس يسمحون للمتقاضين باحضار وكلاء عنهم ؛ وكان المتقاضي معفيا من نفقات القضاء كما ان القضاة كانوا يعجلون باصدار الاحكام تجنبا لتراكم القضايا وخدمة لمصالح المواطنين .

وقد يتفق للخليفة الذي كان يتتبع امور القضاء باهتمام في عاصمة ملكه على الاقل ان يستدعي مجلسا أعلى بين يديه بحضور عدد من القضاة للنظر في جملة من القضايا التي يستعصى حلها على قاضي احدى الكور . هذا وبالاضافة الى مهامه الرئيسية فقد كان القاضي يتولى النظر في شؤون الاوقاف ويسهر على تنميتها وانفاق مستخلصاتها في وجوه البر والاحسان؛ ولم يكن احد غيره يستطيع ان يتصرف في موارد الاملاك الوقفية او ينفقها في غير ما حبست من أجله سوى اذا كان الامر يتعلق بالدفاع عن حوزة الوطن .

وكان القضاة يتولون كذلك صلاة الجمعة وصلاة العيدين كما كانوا يدعون عند الحاجة لاقامة صلاة الاستسقاء ، وتكون الصلاة اذذاك بحضور الخليفة او الامراء وكبار الشخصيات .

وكثيرا ما كان القاضي يضيف الى مهمته الدينية القيام بالتدريس في المسجد الجامع او في احد المساجد الكبرى بالاقاليم لما كانوا عليه من قدرة على رواية الحديث والدراية بالاحكام والاستطاعة على التفنن في القول .

وبالقاضي ايضا كانت تناط مهمة ارتقاب الاهلة من لوائل رمضان وفي آخر شهر الصوم .

هذا ولم يقتصر نشاط القضاة على النظر في القضايا المعروضة عليهم داخل المحاكم او القيام بخطة التدريس في المساجد ، بل ارتقت احوالهم في ايام الحكم الثاني على الاخص الى رتبة وزير او مستشار للملك مما مكنهم من المساهمة في النشاط الحكومي العام والقيام بدور سياسي له قيمته واعتباره داخل اطر الدولة ؛ وقد ادركوا من الحظوة والامتياز خلال القرن العاشر الميلادي وما بعده ما جعل الخليفة لا يقدم على ابرام أمر ذي اهمية الا بحضور شخصيات ثلاث في مقدمتهم قائد الجيش الذي كان يرابط في الثغور العليا حول مدينة سرقسطة وامير البحر الذي يوجد مقر قيادته بمدينة المرية وقاضي القضاة بحضرة غرناطة .

هذا وقبل ان نتعرض في شي من التفصيل الى ذكر الاوصاف التي كان يتمتع بها القضاة في الاندلس والمزايا الخلقية التي كانت تطبع سلوكهم بصفة عامة وجب ان نعيد الى الاذهان حقيقة الاوضاع الاجتماعية التي كان يعيشها المسلمون في ذلك الزمان وما كانوا يعانونه من المصائب والاهوال في بلد احاطت به النصرانية من كل جانب حتى اصبحت تهددهم في كل وقت بالطرد من ممتلكات افنوا اعمارهم في تمدينها

وتعميرها .. والذين يتبعون تاريخ تلك الفترة العصيبة من حياة المسلمين بالاندلس يدركون لا محالة مقدار تمسك المسلمين اذذاك بتعاليمهم الاسلامية كما انهم يقتفون بحرص ملوكهم على تطبيق القوانين الشرعية تطبيقا دقيقا واقامة الحدود طبقا للمذهب المالكي حتى يبعدوا عنهم خطر النصرانية المتربص بهم شرا في كل مكان ؛ والشاهد على ما قدمنا ما رواه الشيخ ابو الحسن النباهي على لسان احد امرائها حيث قال متوجها بالحديث الى جموع المسلمين بالاندلس : « انا معشر بني مروان ، لا تأخذنا في الله لومة لائم . وما نرى ان الله رفع ملكنا ، وجمع بهذه الجزيرة فلنا واعلى فيها ذكرنا حتى صرنا فيها شجن في حلق عدونا ، الا باقامة حدوده واعزاز دينه وجهاد عدوه مع مجانبة الاهواء المضلة والبدع الردية (2) .

ومن هنا يفهم حرص الخلفاء الشديد على الا يولوا خطة القضاء الا من كان يستطيع القيام بها على أحسن وجه وارضاه ؛ والدليل على ذلك ما قاله المنصور للقاضي عبد المنعم بن الفرس حينما قلده قضاء غرناطة ، فاثبت في صك التعيين ما خاطبه به قائلا : « اقول لك ما قاله موسى — عليه السلام — لاخيه هارون « اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » (3) . فلا غرابة اذا اقتدى القضاة بنصائح الملوك والامراء وأظهروا تشددا في الاحكام على أهل العتو والفساد .

اجل ، كان خلفاء الاندلس وامراؤها يقدرون خطة القضاء حق قدرها باعتبارها عاملا من عوامل تقويم المجتمع الاسلامي ؛ ولذلك كانوا يختارون لها من أهل الرئاسة في العلم والبراعة من انفسهم من كان اقدرهم على تطبيق الشريعة الاسلامية وان اضطرته الحال الى ان يذهب في سبيل اقامة الحدود كل مذهب ؛ من ذلك ان علي بن يوسف بن تاشفين لما عزم على تعيين قاض على مدينة غرناطة اختار لها واحدا من الفقهاء المرموقين وثقاة الرواة المشهورين هو الشيخ ابو عمران موسى بن حماد ، وكتب له مرسوما بالتعيين جاء فيه : « وبعد ، فانا فرغناك برهة من الدهر لشانك ، وارسلنا على جهة الشرقية زماما من عنانك ؛ وحين علمنا انك قد اخذت لحظك من الاجماع ، ودار بتودعك ورافتك دور الايام ، خيرناك لخطة القضاء ثانية بزمامك ، واعدناك الى سيرتك الاولى من لزامك ، وقلدناك بعد استخارة القضاء بين اهل غرناطة واعمالها — امنهم الله وحرسها ! — للثقة المكينة بايمانك ، والمعرفة الشافية بمكانك ؛ فتقلد معانا مسددا ما قلدناك ، وانهض نهوض مستقل بما حملناك ، وتلق ذلك بانشراح من صدرك ، وانبساط من نفسك وفكرك ، وقم في الخطبة مقام مثلك ممن استحكمت منه ورجح حلمه ، وكفه عن التهافت ورعه وعلمه ؛ وليس هذه بأول ولايتك لها ، فنبتدىء بوصيتك ونعيد ، ونأخذ بالقيام بحقها العهد الموثق السديد ؛ بل ، قد سلفت فيها ايامك ، وشكر فيها مقامك ، واستمرت على سنن الهدى احكامك ؛ فذلك الشرط عليك مكتوب ، وانت بمثله من اقامة الحق مطلوب ؛ وانا على ما نعلمه من جميل نظرك ، واعتدال سيرك ، لم نر أن نقفل توصيتك بحكام الانظار القاصية عنك ، والقريبة منك ؛ فلا تنصر فيها الا من كثر الثناء عليه ، واشير بالثقة اليه . ولتكن قريبا على أعمالهم ، وسائلا عن احوالهم : فمن بطىء به سعيه ، وساء فيما تولاه نظره ورايه ، اظهرت سخطته ، واعلنت في الناس جرحته . فذلك يعدل جانب سواه ، ويثريه النصيحة فيما تولاه ! » (4) .

وتاريخ هذا المكتوب اوائل شهر رمضان المعظم الذي من عام 524 هـ .

وكانت رسوم الولاية تقرا في المساجد على العادة بحضور وجوه البلد وعلية القوم من المدينة .

ومن اوصاف القضاة في الاندلس انهم كانوا يحافظون على حسن هيآتهم في الصورة والملبس والمركب ؛ وكان القاضي كريم النفس ، سخيا ، يبادر الى اغاثة البؤساء واطعام المحتاجين والفقراء ؛ ومن هنا اشترط بعض الفقهاء من حق القضاة ان يكونوا ميسورين غير محتاجين حتى يضمنوا لانفسهم الاستقلال في الراى عند النظر في اقضية الناس ويتمكنوا بالتالي من اداء مهمتهم بكل نزاهة ، متمسكين بتعاليم الدين الحنيف ، لا يحيدون عنها

---

(2) تاريخ قضاة الاندلس ، ص 55 .
(3) نفس المصدر ، ص 110 .
(4) تاريخ قضاة الاندلس ، ص 98 .

قيد انملة ؛ وكان هذا التشدد يؤدي بهم أحيانا الى اتخاذ مواقف صلبة قوية حتى بالنسبة لزملائهم وشركائهم في الخطة ؛ ونذكر كشاهد على ما نقول ما حدث بين القاضي يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الاشعري والقاضي ابن الوليد بن ابي القاسم بن رشد من المنافرة والمهاجرة بسبب انكار الاخذ بالعلوم القديمة والركون الى مذاهب الفلاسفة (5) .

ومما يعطي الدليل على ورع القضاة وخشيتهم من الله عز وجل سرا وعلانية في اقوالهم واعمالهم ما نقله القاضي ابو الحسن النباهي عن ابن بشكوال في صلته فيما يرجع لاخبار القاضي ابي الوليد يونس ابن مغيث قال : « كان ابن مغيث بليغا في خطبته ، كثير الخشوع فيها ، لا يتمالك من سمعه من البكاء... كنت ، اذا ذاكرته شيئا من امور الآخرة ارى وجهه يصفر ويدافع البكاء ما استطاع وربما غلبه ، فلا يقدر ان يمسكه » (6) .

ويشهد كذلك على ورع القضاة وتمسكهم بالايمان الراسخ القوي ما ثبت عن القاضي محمد بن محمد اللخمي القرطبي من انه كان اذا اتى المسجد للحكم فيه بين الناس يتركع ويتضرع الى الله تعالى ... واذا فرغ من الحكم يسأله العفو والمغفرة مما عسى ان يكون صدر عنه ، مما تلحقه تبعة في الاخرة (7) ؛ وكان رحمه الله واحد قطره وفريد زمانه عدالة وصلاحا وفضلا ؛ ولم يكن مع ذلك ياخذ من المتقاضين اجرا ، بل علم عنه قبل توليته القضاء انه اشترط ، ككثير من القضاة النزهاء ان تكون جرايته من بيت المال ؛ وفيما يتعلق على وجه الخصوص بباب النزاهة التي كانت حلية لجمهور القضاة بالاندلس خوفا من الله وابتعادا عن ملامة الناس ما جاء على لسان ابي حيان حيث قال في موضوع نزاهة القضاة في ذلك الزمان : « سمعت المشيخة يقولون انه لما ولي القضاء محمد بن يبقى بن زرب احتبس خواص اصحابه المشاورين وقد جاءوا عنده مهنئين؛ بامر غلامه ، فكشف عن مال عظيم صامت في صندوق به وقال : « يا اصحابنا ، قد عرفتم ما نحن به من تولي القضاء قديما من سوء الظنة ؛ وهذا حاصلي و من العين كذا ؛ وفي مخازني ما بقي بقيمته ، وحظي من التجارة ما علمتم ؛ فان فشيء من مالي ما يناسب هذا فلا لوم ، وان تباعد عن ذلك وجب مقتي ، واسأل الله تخليصي مما تنشبت فيه » . فدعوا له ؛ وكان رحمه الله مع سعة حاله وعلمه مجتهدا ، ورعا ، كثير الصلاة والتلاوة حتى قيل انه كان يختم القرآن كل ليلة .

(يتبع)

---

(5) انظر تاريخ قضاة الاندلس ، ص 124 .
(6) نفس المصدر ، ص 96.
(7) نفس المصدر ، ص 134 .

« انه لا يوجد سبب على وجه الاطلاق يبرز الزعم بان العرب والمسلمين فقدوا الصفات التي مكنت اجدادهم من ان يقيموا حضارتهم العظيمة ، لا يزالون يملكون تلك الرجولة والمروءة وذلك الاستطلاع العقلي الحاد وذلك الخيال المبدع ، ولا يستطيع انسان ان يعيش بينهم دون ان يتأثر بانسانيتهم التي تغمر القلوب » .

روم لاندو

• أعلام الاندلس

القاضي أبو بكر بن العربي (468 - 543 هـ)

- 15 -

للاستاذ سعيد أعراب

(ز) ـ في اللغــة والادب :

والى جانب كون ابن العربي مقرئـا مفسرا ، وفقيها محدثا ، واصوليا جدليا ، ومتكلما فيلسوفا ، ومربيا معلما ؛ ـ كان نحويا لغويا ، واديبا شاعرا (1):

وليس على اللـه بمستنكـر
ان يجمع العالم في واحـد

ومن رجالات اللغة والادب الذين اخذ عنهـم بالمشرق ، الامام ابو زكرياء التبريزي تلميذ ابي العلاء المعري ، سمع عليه دواوين اللغة والشعر ، كان يحضر عنده ببغداد وهي تقرأ عليه (2) .

وابن العربي كان ميالا للادب منذ حداثة سنه ، يحفظ الشعر ، ويدرك مراميه وحكمه ؛ ـ حدث ان تكسر بهم المركب ـ وهم في طريقهم الى المشرق ـ على مقربة من برقة ، فرمى بهم البحر الى بيوتات بني كعب بن سليم ـ على ساحل ليبيا (3) ، فالفوا الامير وصحبه في لعبة الشطرنج ؛ وكان للفتي (ابن العربي) حذاقة في هذا الفن ، فقربوه اليهم ، واعجبوا به ؛ وقد انشد ابن عم الامير ـ وهو يدير بيادقه ـ قول المتنبـي :

واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو ـ الدهر ـ يرجو ويتقي

وقال : لعن الله ابا الطيب ، او يشك الـرب ؟ فانبرى له الفتى وقال : ليس كما ظن صاحبك ـ أيها الامير ، انما اراد بالرب ـ هنا ـ الصاحب ، يقول : الذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال ، وبلـوغ الغرض من الآمال ، ـ على ريب ، فهو في كلـه على رجاء لما يؤمله ، وتقاة لما يقطع به ؛ ـ كما يقول :

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى
فاين حلاوات الرسائل والكتـب (4) ؟

67 ـ ومن مؤلفات ابن العربي في هذا البابـ حواشي (5) على شرح ابن السيد لديوان ابي العـلاء (سقط الزند) ، ولعلها اول ما كتب ابن العربي ؛ وقد

(1) انظر المطمح ص 72 ، والمغرب 255/1 ، والفكر السامي 56/4 .
(2) انظر فهرسة ابن خير ص 415 ـ 416 .
(3) انظر تاريخ ابن خلدون 144/6 .
(4) انظر قانون التأويل (مخطوط خاص) ، والنفح 32/2 ، وازهار الرياض 90/3 .
(5) انظر فهرسة ابن خير ص 419 .

انتقد فيها ابن السيد ؛ وصحح اخطاء وقع فيهـــا ، منها ما يرجع الى الرواية الصحيحة فى شعر ابـــي العلاء ، وقد اعتمد ابن العربي رواية التبريزي الامام الحجة . ومنها ما يرجع الى الوزن ، وقـــد جاءت ابيات مكسورة لا يستقيم لها وزن . ومنها ما اوغل فيه من مذاهب الفلاسفة والمتكلمين ــ وما كان أغناه عن ذلك ! الى جانب ما شان النسخة من تحريـــف افـــد المعنى فى كثير من الابيات .

وقد رد ابن السيد هذه المآخذ كلها ــ فى رسالة اسماها « الانتصار » جاء فى مقدمتها : (.. وقـــد وجد (ابن العربي) فى الشرح ابياتا قد افسدهـــا ناسخ الديوان ، بالزيادة والنقصان ، ونبت العين عما كان فيها من الشين ؛ فنبه عليها فى طرر الكتـــاب ، وبين فيها وجه الصواب ، وكذلك وجد لحنا مـــن الناسخ فى بعض الاحرف ، فظنه من قبل المؤلـــف المصنف ؛ كما وجد بعض خلاف فى الالفاظ ، ورواية الابيات ، فأثبته فى هامش الكتاب كذلك . . .) (6) .

فابن السيد ــ كما ترى ــ يحاول ان يرجع اكثر ما وجه اليه من نقد الى تحريف الناسخ ، او اختلاف فى أوجه الروايات ؛ لكن احد تلاميذ ابن العربـــي ــ وهو ابو عبد الله بن خلصة تصدى له ، والف رسالة فى الرد عليه ــ منتصرا لاستاذه ابن العربي ؛ قال ابن الابار : وهي من اجود الرسائل ، وقد حملت عنه (7) .

68 ــ اختصار اصلاح المنطق ــ لابن السكيت ، ومر آنفا ان ابن العربي سمع على التبريزي ــ بعض دواوين اللغة ، منها اصلاح المنطق بشرح التبريزي نفســـه (8) .

69 ــ « ملجئة المتفقهين ، الى معرفة غوامض النحويين » (9) .

70 ــ « الجاء الفقهاء ، الى معرفة غوامـــض الادبـــاء » (10) .

71 ــ « لمحة البارق ، فى تقريظ لواحـــظ السابق » ــ وهي رسالة عارض بها رسالة « الساجع والغريب » ــ لابي القاسم الكلاعي ، وهي من نـــوع الموري ، وهو اسلوب من اساليب النثر الفني ، يكون ظاهره خلاف باطنه (11) .

82 ــ اخبار سابق البربري (12) .

83 ــ كتاب شعراء الاندلس (13) .

ــ اما عن شاعرية ابن العربي ، فهو معدود من الشعراء المجيدين ، وشعره مبثوث فى كتـــب السير والتراجم ؛ ولنقتصر فى هذا العرض المقتضب على نماذج منه :

ــ يحدثنا ابن العربي عن بعض محاوراته مع ادباء عصره فيقول : دخل علي الاديب ابن صارة ــ وبين يدي نار علاها رماد ، فقلت له : قل فى هذه ، فقـــال :

شابت نواصي النار بعد سوادها
وتسترت عنـــا بثوب رمـــاد

ثم قـــال : اجز ، فقلت :

شابت كما شبنا وزال شبابنا
فكأنما كنا على ميعـــاد (14)

ومن شعره ــ وقد ركب مع احد امراء الملثمين ، وكان ذلك الامير صغيرا ، فهز عليه رمحا كان فى يده مداعبـــا :

---

(6) انظر مقدمة كتاب « الانتصار » بتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ، والحركة اللغوية فى الاندلس ــ للبير حبيب مطلق ص 286 .
(7) انظـــر التكملـــة ص 160 .
(8) انظر فهرسة ابن خير ص 415 ــ 416 .
(9) انظر العارضة 47/2 ، والاحكام 67/1 ، 91 ، 227 ، 236 ، 250 ، 276 ، 284 ، وج 67/2 .
(10) انظـــر الاحكـــام 317/2 .
(11) انظر احكام صنعة الكلام ص 190 ــ تحقيق رضوان دايـــة .
(12) انظر فهرسة ابن خير ص 407 .
(13) انظر الاعلام لعباس بن ابراهيم 97/4 ــ نشر المطبعة الملكية .
(14) ازهار الرياض 83/3 ، والفتح 31/2 ، وانظر الحلة السيراء 6/1 ــ 7 .

يهز على الرمح ظبي مهفهف
لعوب بالباب البرية عابث

ولو كان رمحا واحدا لاتقيته
ولكنه رمح وثان وثالث (15)

قال المقري : وقد اختلف حذاق الاندلس من اهل الادب فى معنى الرمح الثاني والثالث ، فقيل : القد واللحظ ، وقيل غير ذلك (16) .

ومن الطف ما قال — وقد كتب كتابا فاشار عليه بعض من حضر ان يتربه ، فاجابه فى الحين (مرتجلا) — :

لا تشنه بما تذر عليه
فكفاه هبوب هذا الهواء

فكأن الذي يذر عليه
جذري فى وجنة حسناء (17)

— وله — وهو معنى بديع :

انتني تؤنبني بالبكا
فاهلا بها وبتأنيبها

تقول — وفى نفسها حسرة
اتبكي بعين تراني بها

فقلت : اذا استحسنت غيركم
امرت جفوني بتعذيبها (18)

وقال فى الصديق الوفي :

من لي بمن يثق الفؤاد بوده
واذا ترحل لم يزغ عن عهده (19)

— ومن قصيدة له مطولة يخاطب بها اخوانه ببغداد:

صبرت وصبري فى الملمات اعجب
وللصبر فى ظهر النوائب مركب

ذكرت اصطباري فى الملمات عدة
وملجأ من فات الطبيب التطبب

الى ان يقول :

سلام على بغداد فى كل منزل
وحق لها مني السلام المطيب

فو الله ما فارقتها عن قلى لها
وكيف ولي فيها مجال ومرحب

وكانت كحب كنت اهوى وصاله
وانصافه يدنو به ويقرب

ولكنها الاقدار يوما الى الفتى
بما ظل يهواه ويوما تنكب (20)

وقال من قصيدة اخرى :

امنك سرى والليل يخدع بالفجر
خيال حبيب قد حوى قصب الفخر

جلا ظلم الظلماء مشرق نوره
ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهر

ولم يرض بالارض البسيطة مسحبا
فسار على الجوزا الى فلك يجري

وحث مطايا قد مطاها بعزه
فأوطاها قسرا على قنة النسر

فصارت ثقالا بالجلالة فوقها
وسارت عجالا تتقى الم الزجر

وجرت على ذيل المجرة ذيلها
فمن ثم يبدو ما هناك لمن يسري

ومرت على الجرباء توضع فوقها
فآثار ما مرت به كلف البدر

---

(15) المغرب 255/1 .
(16) انظر أزهار الرياض 89/3 .
(17) المغرب 255/1 ، وانظر الابتهاج للبلغيثي 256/1 .
(18) انظر ازهار الرياض 88/3 ، والنفح 30/2 .
(19) انظر الاحكام 116/2 ، والفكر السامي 56/4.
(20) انظر بقية الملتمس ص 84 .

حتى يقول :

سقى الله مصراً والعراق واهلها
وبغداد والشامين منهمل القطر (21)

وله في المسجد الاقصى :

اما والمسجد الاقصى
وما يتلى به نصا

لقد رقصت بنات الشو
ق بين جوانبي رقصا (22)

وقال من قصيدة له في معارضة ابن حزم الظاهري :

قالوا الظواهر اصل لا يجوز لنا
عنه العدول الى راي ولا نظر

قالت اخسئوا فمقام الدين ليس لكم
هذي العظائم فاستحيوا من الوتر(23) الخ

— ومن شعره الالهي :

اليك اله الخلق قاموا تعبدا
وذلوا خضوعا يرفعون لك اليدا

باخلاص قلب وانتصاب جوارح
يخرون للاذقان يبكون سجدا

نهارهم صوم ، وليلهم دعا
واخراهم رعي ، ودنياهم سدى (24)

— وقال من قصيدة اخرى :

كن للاله كما كان لك
ولا تبتهل بمدار الفلك (25)

— ومن ذلك ما نسبه اليه الشيخ ابو حيان :

ليت شعري هل دروا
اي قلب ملكوا

وفؤادي لو درى
اي شعب سلكوا

اتراهم سلموا
ام تراهم هلكوا

حار ارباب الهوى
في الهوى وارتبكوا (26)

والصواب انها من نظم الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي ، وهي ثابتة في ديوانه (ترجمان الاشواق) (27) .

هذا ، ونثر القاضي ابي بكر بن العربي — الفني — لا يقل عن شعره ، فهو في المستوى الرفيع ؛ ومر آنفا — في جملة مؤلفاته — « لمحة البارق ، في تقريظ لواحظ السابق » — وقد جاء فيها قوله : (... وقد كان بالمشرق باخره ، من جعل هذا الفن مفخره ، فلله — اخي — صابره فاقبره؛ فان ذلك اقتصر على المسألة والجواب ، وهذا تفنن في جمل من الابواب ، وأكثر فما عدم السداد والصواب ..) (28) .

وذكر له صاحب « احكام صنعة الكلام » — خطبة من نوع السجع المشكل — وهو ما ياتي متفق اللفظ ، مختلف المعنى ، وربما اشكل ؛ وقد افتتحها بقوله : « الحمد لله مودع الاشياء بين الكاف والنون،

(21) انظر المطمح ص 72 — 3 ، والنفح 34/2 ، والازهار 93/3 .
(22) انظر النفح 338/5 .
(23) انظر العارضة 114/10 .
(24) انظر بغية الملتمس ص 86 — 87 ، والتكملة 565/2 — طبع مجريط .
(25) انظر العواصم من القواصم ص 92 — 93 .
(26) انظر النفح 43/2 .
(27) انظر ص 11 .
(28) انظر احكام صنعة الكلام — لابي القاسم الكلاعي ص 190 .

المسبحة له البحار والنون (29) ؛ الواحـد الذي لا لا تجد له ضريبا ، والمنزل مـن خـلال المـزن ضريبا (30) ؛ الذي كشف الخطوب الكامنة وابان ، واوضح لاوليائه طريق الهداية وابـان ، وسبحـت بحمده هضبات متالع وابان (31) ؛ احمده ما لاح فى الافق وفرقـد ، ورتـع ظليـم على البسيطـة وفرقـد ...) (32) .

وهي طويلة نكتفي منها بهذا القدر (33) .

على اننا نجد فى ثنايا كتبه الوانا مـن النثـر المسجوع ، ولا سيما فى مقام التذكير :

(... فكيف تكون داعيا ، وانت فى المعاصي ساعيا ؛ أم كيف تكون مضطرا ، وانت للمخالفـات ، وهتك الحرمات ـ مختارا ؛ أم كيف تدعوه مظلومـا وانت ظلمت ، فان اجبت فى غيرك ، اجيب فيـك غيـرك ...) (34) .

وادب ابن العربي فى حاجة الى دراسة خاصة ، وارجو أن تتاح لي الفرصة للعودة الى الموضوع مرة اخـرى .

تطـوان : سعيد اعـراب

---

(29) النـون الثانيـة : الحـوت .

(30) ضريب الثانية : الثلج .

(31) وابان الاخيرة : جبل اسود .

(32) فرقد الاولى : النجم ، والثانية : البقرة او الوحشي منهـا .

(33) انظر احكام صنعة الكلام ص 247 .

(34) انظـر العارضـة 120/3 .

● وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى مؤتمـر اسطامبول حول رؤية ـ الاهلة ـ اقرا تقريـرا فى العدد القادم بقلم الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

العلامة المحدث المفتي
أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني

بقلم الأستاذ التهامي العلوي

عائلتـــــه :

ينتمي ابو مالك عبد الواحد بن احمد بن محمد ابن الحسن بن محمد بن علي الشريف الى دوحـــة الاشراف المحمديين العلويين ابناء محمد بفتح الميم ابن مولانا علي الشريف دفين تافلالت . والجد الاعلى لاسرة العلويين المشهورين بالمغرب . وتنتشر امكنه المحمديين بتافلالت وبوادي زيز بالبلاغمة ونواحي الراشدية : بتازوكة وقصور اولاد مولاي امحمد وبفاس ومكناس ومراكش وجبال ءايت اومالو : بالقبـــاب والمعرى وتاسكارت وغير ذلك من المواقع التـــي اقطعتها لهم الدولة الدلائية التي كانت تتعاطف معهم . قال الزكي بن محمد الهاشمي العلوي فى شجـــرة الشماء : وفى سنة 1257 ارتحل بعضهم من الجبال المذكورة واستوطنوا بنواحي وادي مكس على نصف مرحلة غرب مدينة فاس ، باذن من السلطان المقدس المولى عبد الرحمن بن هشام (1) .

والمحمديون يشكلون فرقة صغيرة من العلويين بالنسبة لابناء عمومتهم اليوسفيين .

وقد عرف بيت المحمديين بالشهامة والنباهة والصيت الذائع فى عصر السعديين ، وفى عصـــر اباء عمهم اهل دار مولاي الشريف بن علي . وذلـــك بصلاحيتهم للقيام بالوظائف السامية وانواع الخدمات التي كانت تسند اليهم من افتاء وقضاء وعدالة وامامة وخطابة وكتابة فى دواوين الدولة وبالاخص فى عصر الدولة السعدية التي كانت تخصهم بمزيد من التقدير والشفوف والاحترام . لما لمسته فيهم من الجدية والاستقامة والاخلاص فى قيامهم بالمأمورية التـــي كانـــت تسنـــد اليهـــم (2) .

ميـــــــلاده :

فى هذا الاطار السلالي ولد مفخرة الاســـرة واحد اعمدة البيت المحمدي فى وقت يحدده التاريخ بيوم الاربعاء الثاني عشر من رمضان سنة 933 هـ (3) وهذا التدقيق فى الزمان يقابله غموض كبيـــر فى مسقط الراس . وكل ما نستطيع ان نسجله فى ذلك . هو انه ولد بالجنوب المغربي : اما بتافلالت التي هي مسكن آبائه واجداده منذ دخول الحسن الداخل الى ارض المغرب . واما بمراكش التي عرفـــت بها فى ظروف ميلاده بعض الاسر من ابناء عمه كانوا يسكنون بحومة المواسين بدرب الشرفـــاء . واما بدرعـــة بالزاوية المهدوية بمقاطعة ترناتة ناحية زاكورة التـــي سيقضي بها طفولته كلها وجزءا كبيرا من شبابه ان لم نقل كلـــه .

---

(1) الانوار السنية ص 57 والدرر البهيـــة ج. 1 ص. 122 .
(2) الدرر البهيـــة ج. 1 ص. 103 .
(3) لقط الدرر ص. 291 . درة الحجال ص. 384

البيئة التي ولد بها :

حينما خرج صاحب الترجمة الى هاته الدنيا وابصر النور فيها وجد نفسه مولودا في بحبوحة العلم والمعرفة . ومحاطا ببيئة ثقافية رفيعة تضمن له ان يتلقى تعليما جيدا يليق بعائلته . فاصوله وفصوله وابناء العمومة كلهم ضربوا او سيضربون بقسط وافر من الخدمة في ميدان العلم والمعرفة . او ليس والده المولى احمد ؟ هو الذي ذهب الى مدينة فاس ودرس على علامة زمانه الشيخ عبد الرحمن بن علي السفياني القصري الشهير بسنين الف اصمى المتوفى 956 . وقد اخذ عنه الاجازة العلمية لنفسه ولابنائه ومن بينهم صاحب الترجمة الذي لم يكن هو الابن الاكبر اذ ذاك لوالده . وكانت سن هذا الولد حينئذ اثنتين وعشرين سنة . وهو ما يزال بعد يتابع دراسته وتربيته في حوزة الشيخ بن مهدي الجراري بدرعة . وفي نفس الظروف ونفس المدينة لقي المولى احمد الشريف ابا الفضل خروف التونسي المتوفى سنة 966 فدرس عليه وطلب منه الاجازة لنفسه ولابنائه كذلك . فلبى هذا طلبه وناوله اجازة تامة جاء في آخرها ... وبمثل الاجازة المذكورة اجزت اولاده ساداتنا الطلبة النجباء أبو عبد الله محمد الاكبر واخوه عبد الواحد واخوهما عبد الله واخوهم عبد الرحمن ومن يتزايد لهم من الاولاد واولاد الاولاد (4) .

والى جانب هذا فصاحب الترجمة يمت بصلة القربى الى العلامة النحوي المشارك الخطيب البليغ المدرس النفاعة محمد بن محمد بن ابي القاسم الشريف الحسني تلميذ المنجور والمساري . وشيخ ابي مهدي عيسى السكتاني وخطيب جامع المواسين 988 هـ وقد كانت احدى امنيات أبي مالك الغالية ان يكون هو كذلك خطيبا بنفس المسجد ونفس الفصاحة والبلاغة والتأثير في النفوس (5) كما وجد نفسه في رفقة ابني عمته محمد واحمد ابني علي الرادسيين يقرءون القرآن جميعا بالزاوية المهدوية . وحينما ذهب الاول منهما لاداء فريضة الحج اجتمع في المشرق بفطاحل العلماء من تلاميذة ابن حجر والسيوطي وتلاميذة تلاميذتهما فسمع الحديث منهم واجازه مع شيخه بن مهدي الجراري وجماعة من تلاميذته وفي مقدمتهم ابن خالد صاحب الترجمة . اما فصوله التي سيسهر هو بنفسه على تكوينها فستعرف قيمتها العلمية حينما نتعرف عليها فيما بعد (6) .

المراحل الاولى لدراسته :

نشأ صاحب الترجمة منذ نعومة اظفاره الى ان بلغ مبلغ الرجال بزاوية الولي الصالح الشيخ محمد ابن مهدي الجراري نسبا الدرعي وطنا 902 — 979 الذي الزم نفسه بنشر العلم وارشاد المخلوقات على ضفاف وادي درعة ، وكان المنهاج الذي يسير عليه هذا الشيخ الوقور في نشر العلم والمعرفة وفي وظيفة التدريس والاقراء للطلبة الذين يتواردون على زاويته ، هو تصحيح المتن وحل المشكل وايضاح المقفل . وكان يرى ان ما زاد على ذلك ضرره أكثر من نفعه . ولعمري انها لمنهاجية مثلى مدحت من جانب اهل الخبرة وجهابذة العلماء الكبار قديما وحديثا مثل ابن عرفة الورغي حسبما نقل عنه وأبي علي اليوسي في قانونه وردد صداها شيخنا السابح في عبقرياته . وقد تأثر صاحب الترجمة بهذا الاستاذ المربي والشيخ القدوة أيما تأثير في العلم والاخلاق والسلوك وانتفع به انتفاعا يجمل بنا ان نفسح المجال لقلمه السيال كي يحكي لنا قصة ذلك بنفسه حيث يقول :

نشأت والحمد لله وانا ابن سنة ونصف تحت مطارح نظره . فاغناني خبرة عن خبره . فواليت وانا في خدر الصفا في حلق دروسه الغدو بالرواح . وواصلت فيه الاغتباق بالاصطباح . فقرب رحمه الله وانا في زمان الشبيبة بقسط من اعتنائه . ويتحفني على الدوام بصالح دعائه . وعدني رحمه الله في أواخر الامر من خلصائه . وادرجني في ديوان اصفيائه ...

---

(4) فهرسة المؤلف المسماة بالالمام بمن لقيته من شيوخ الاسلام وهي مخطوط خاص اعطانا معلومات قيمة واشارة دقيقة منقطعة النظير خصوصا في كتابة ترجمة المؤلف .

(5) جلوة الاقتباس ص. 207 . صفوة من انتشر ص. 42 .

(6) روضة الاسد للمقري ص. 192 — 202 والاعلام للتعارجي ج. 2 ص. 44 — 208 .

وقرات عليه رحمه الله ونفع به بلفظي وسماعا بقراءة غيري من الكتب العلمية في الفقه والتصوف والعقائد والفرائض والحساب والحديث والنحو والتصريف والعروض . ما أرجو من الله عموم النفع به . في الحال والمآل . وسببا موصلا من مرضات الله نيل الامال (7) .

وفي هاته الحضرة الربانية والدائرة الروحانية، التي تشع بأنوار العلم والمعرفة ، وتنبض بالجدية والصرامة ، وتلتزم بأنواع العبادة والاستقامة عثر المولى احمد الشريف على استاذ مثالي يتوفر على كفاءة عالية للسهر على تربية ولده ، وتنشئة فلذة كبده عبد الواحد . ويتعلق الامر بنابغة تلاميذ ابن مهدي السيد سعيد بن علي الهوزالي السوسي 918 – 1001 الذي جمعته مع التلميذ الصغير حوزة الشيخ محمد بن مهدي الجراري . قال صاحب الترجمة : فضمني والدي رحمه الله ضما خاصا الى قهر تأديبه ورمى بي الى ثقاف تدريبه . وجعل يده على تأديبي مبسوطة،واسترسل في ذكر أوصافه الجميلة، وسرد مزاياه الجليلة الى ان يقول فيه فمن تأمل حاله وما طبع عليه ذكره بسلفنا الصالح ... له نية صالحة في التعليم ، فلو أمكنه ان يلقي للتعلم كل ما عنده في لحظة واحدة لفعل فهو كما قيل :

ففي شربة لو كان علمي سقيتكم
ولم اخف عنكم ذاك العلم بالدخر

ويصف حالة التلقي على هذا الشيخ قائلا : وما زال شكر الله صنعه يحدو بي وياخذ بزمامي وانا في سن الشبيبة . ويغريني على العلم وتحصيله حتى بلغت أوان التكليف ، وانا اتردد بين حلقه وحلق الشيخ سيدي أبا عبد الله فأجني ثمار روضها ؛ وارتوي من زلال حوضها .

قرات عليه رضي الله عنه ونفع به القرءان ثلاث ختمات بحرف ورش عن نافع وأخذ بي خلال ذلك واثناءه في قراءة العربية نحوا وصرفا والفقه والحساب ... فنفع الله به غاية وفوق الغاية .. ونفع الله به النفع الذي لا ننكر فضل الله علينا فيه .

وما زالت فوائده ابقاه الله تنهال علي ، وعقائله تساق الي ، حتى تضلعت من جريانها وتملأت من زلالها .. فانا غرس يده ، والمقوم بثقاف أدبه . لا يشكر الله من لا يشكر الناس (8) .

وحينما بلغ صاحب الترجمة السنة الثالثة والعشرين من عمره صوب القدر سهامه التي لا تخطىء الى هذا الجمع الملتحم فرماه بالتصدع واصيبت الاخوة الطاهرة والالفة الصادقة بالفرقة والتباعد . فالتحق هذا الاستاذ الذي يعز نظيره بمسقط رأسه، تاركا تلميذه الابر يتلظى من لواعج الفراق على أحر من الجمر . فسجل في ذلك فقرات مؤثرة لم نر له مثلها او ما يقاربها في فراق احد من اقربائه . ولا عجب في ذلك اذا علمنا ان رابطة الروح اقوى وأمتن من رابطة المسادة .

وفي ذلك يقول : فتجرعت من نواه كاسا مرة المذاق ، ولعبت بنا اليه والى فوائده لواعج الاشواق.

صارت مشرقة وصرت مغربا شتان ما بين مشرق ومغرب .

المراحل النهائية لدراسته :

وبتوديع ابي مالك لاستاذه الهوزالي يكون قد ودع مراحل التعليم الاولية وبدأ يتطلع الى المراحل النهائية التي سيضطلع بتنجيزها أساتذة حضريون بفاس ومراكش حيث يحلقون به في آفاق أخرى رحبة وفسيحة كي يتمكن من انقاع غلته واطفاء ظمئه بكؤوس كوثر علوم الاحاديث سندا ومتنا . والانتشاء من رحيق العلوم العقلية التي تفتح الاكنة عن القلوب. وتزيح الغشاوة عن الابصار ، وتربط العلل بمعلولاتها. والاسباب بمسبباتها . هذا مع عدم الانقطاع عن ارشادات الشيخ ابن مهدي الجراري وتوجيهاته النيرة التي سيلازمه طابعها مدة حياته .

ويوجد على رأس القائمة لاساتذة الدراسة الجديدة العالم العلامة ، والحبر الفهامة ، وحيد العصر ، وشيخ الجماعة ، أبو العباس احمد بن علي المنجور الفاسي المتوفى قبل الالف بخمس سنين . أحد العلماء الراسخين في جميع العلوم معقولها ومنقولها . والذي قيل فيه ان فهمه لا يقبل الخطأ .

---

(7) فهرسة المؤلف المسماة الالمام بمن لقيته من شيوخ الاسلام مخطوط خاص .

(8) المصدر السابق نقلناه من نسخة الاخ مولاي ابرهيم الكتاني رعاه الله .

وقد كانت دراسته على حد قول صاحب الترجمة دراسة بحث وتدقيق . وتفهم وتحقيق . فقد أخذ المترجم عنه زيادة على العلوم التي الفها في بلاد درعة علوم البلاغة والبيان واصول الدين وعلم الكلام والعقائد والمنطق والوضع والحساب والتاريخ والادب وغير ذلك ، وانتفع به انتفاعا أعرب عن قيمته هو بنفسه بتعبيره الشيق فقال في ذلك : فلقد افادنا ابقاه الله فوائد جمة . وفتح بصائرنا . وسمعنا منه علوما غزيرة ، وطالت ملازمتنا له بفاس ومراكش . ولقد حصل لنا على يده من النفع ما ارجو الله ان يثيبه عليه في معاده . ويلهمنا الشكر عليه (9) . ومن باب الانصاف في هذه المناسبة ان نجد المنجور نفسه يسرد في فهرسته اسماء جماعة العلماء الذين ذاكرهم واستفاد كل منهما من صاحبه . ويدرج في ذلك صاحب الترجمة وابن عمه فيقول وكالفقيهين النجيبين العلامتين الخطيبين المرحوم ابي عبد الله محمد بن قاسم الشريف وابن عمه المفتي ابي محمد عبد الواحد بن احمد الشريف (10) .

واخذ ابو مالك بمدينة فاس ايضا عن شيخ الجماعة محمد بن أحمد بن مجبر المساري 911 ـ 992 نحوي زمانه الحافظ العلامة دفين مقبرة باب الجيسة من مدينة فاس ، اخذ عنه النحو والعروض والفرائض والقراءات . ودرس عليه الفية ابن مالك ، وقد وصف حالة تدريسه لها وصفا بديعا فقال في ذلك : ينقل كلام المرادي وغيره من شراحها مستحضرا لابحاثها ذاكرا لاشكالها . بضرب اولها باخرها . ويستخرج الاحكام من مفاهيمها واشارتها. فلا تسأل عن حسن تقريره لذلك وبيانه ، ترتفع في مجلسه للابحاث النحوية سوق نافقة . وتنهال عليه آراء نجباء الطلبة واسئلتها المختلفة والمتوافقة ، ما شئت من ايراد تهتز النفوس الادمية لسماعه، واشكال تحار الافكار في حسنه وابداعه . وهو يحسن الاصغاء الى تلك الايرادات والانصات . ويعطي كلاحقه من النظر والالتفات ، ثم يكر على ذلك بزوال جلابيب الخفاء والالباس . ويوفي كل سائل واجبه من الرعاية والايناس . ويتحف المتعلمين بتقايده وفوائده ، ويمدهم بغرائبه وفرائده ، فترى الاقلام في ايدي الطلبة في مجلس درسه راكعة في المحابر وساجدة . وبصلاته على الكاتبين بها عائدة ... ويختم هاته الجمل الساحرة والنابعة من صميم الفؤاد ، والتي رفرفت بنا على جناح الخيال الى حلقة المساري بقوله نور الله ضريحه . قد استفدنا منه ما اسأل الله الانتفاع به في مواقف الآخرة بمنه وكرمه (11) . ولم ينس المؤلف ان يشير اشارة مقتضبة في ختام هذا التنوع من الدراسة الى انه اجتمع بفاس بعدد غير قليل من العلماء وحضر مجالسهم وانتفع برؤيتهم ولكنه لم يقض له بالاخذ عنهم ...

هذه بعض الصور والنماذج من الدراسات التي اعتاد المؤلف ان يسميها بدراسة البحث والتفهيم أو دراسة التدقيق والتحقيق ، ويمكن ان نطلق عليها دراسة الدراية . وتاتي بعدها دراسة من نوع آخر يمكن لنا ان نسميها بدراسة الرواية التي هي اسناد رواية الاحاديث النبوية ومصنفات المتن الفقهية بطريق الرواية الى جامعيها ومؤلفيها ، وهذا هو ما يسمى بالاجازة وقد أطلعنا المؤلف على ما عنده في ذلك في فهرسته التي ننوي ان نضعها في ايدي القراء عما قريب بعون الله .

هذا وقد اشار الحضيكي 1189 لدى ترجمته للمؤلف الى اجازة الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري المصري للمترجم ، وقد كتبها له بتاريخ ربيع الثاني سنة 978 مع ان المترجمين للشيخ المذكور يجعلون وفاته سنة 955 . وقد اجاز البكري المذكور ايضا ولد صاحب الترجمة محمد وولد ولده امحمد بن عبد الواحد (12) . وهذا شيء غريب ايضا . وليست الغرابة في كون هذه الاجازة لم يرد لها ذكر في الفهرسة فقط بل هناك شيء آخر وهو ان المترجمين للمؤلف مجمعون على ان نسله قد انقطع بموت ولديه احمد ومحمد اللهم الا اذا كان هذا الحفيد قد مات قبل موت الوالد .

اجازاتــــه :

اما اجازاته التي جاءت في فهرسته فسنتطرق الى القاء نظرة موجزة عليها بعد تعرفنا على حقيقة

---

(9) المصدر السابق
(10) فهرسة المنجور ص. 80 .
(11) فهرسة المؤلف المسماة بالالمام بمن لقيته من شيوخ الاسلام مخطوط خاص نقلناه من نسخة الاخ مولاي ابراهيم الكتاني .

الاجازة وطبيعتها . وهي مصدر لاجاز .. ومعنى هذه اللفظة لقد قطع المسافة . واجازه ايضا اعطاه الاجازة . وهي في اصطلاح المحدثين تعني اعطاء الاذن في الرواية لفظا او كتابة . وتحتل الاجازة في تزكية العلماء وغيرهم مكانة مرموقة وبذلك صارت امنية محببة لدى جميع طبقات الشعب من علماء وامراء ورحالة وغيرهم ، وهذا ما جعل الامراء والملوك يلحون في طلب الحصول عليها . ويوفدون الوفود الى الاقطار البعيدة للحصول عليها (13) . وقد كان الناس يرغبون في جمع ما امكن لهم من الاجازات لانفسهم بل ولابنائهم وحفدتهم واصدقائهم . ومن جهة اخرى راينا من الشيوخ من توسع في هاته الاجازة الفخرية ومنحها لاكثر عدد ممكن . حتى ان بعضهم اعطى الاجازة لكل من ادرك عصره كما فعل ابن جابر الهواري الاندلسي (14) وغيره ولهذا لا نستغرب ما نجده في هذه الفهرسة وامثالها من هاته النماذج والصور التي ذكرنا .

وتنقسم الاجازات التي حصل عليها المؤلف وجمعها في فهرسته الى قسمين اثنين : اولهما القسم الذي توصل اليه بمجهوداته ودراسته الخاصة وتحمل في سبيله مشقة السفر الى مدينة فاس للحصول على مضمونه بنفسه مباشرة من الشيخ الصالح الذي وقع الاتفاق على ولايته السيد رضوان بن عبد الله الجنوي وقد علق المؤلف على هذا القسم اهمية كبرى ونوه به تنويها رفيعا وعلل ذلك بقوله : لانه هو الاساس لما بعد والمبنى . والمدار الذي يرجع اليه في تصحيح ما يتصل به والمعنى . وثانيهما القسم الذي تادى اليه بواسطة الغير . ويحتل معظم الفهرسة لتنوع شيوخه وتعددهم واختلاف ازمنتهم ومشاربهم واذواقهم .

وهكذا يبتدىء مؤلفنا ثبته باجازة رضوان بن عبد الله الجنوي المتضمنة لحديث الرحمة المسلسل بالاولية .. وللاجازة بالمصنفات الآتية وهي موطا الامام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي ولاء المصمودي نسبا . وصحيح ابي عبد الله الامام البخاري وصحيح الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري وسنن الامام ابي داود السجستاني والجامع الصحيح للامام ابي عيسى الترميذي والسنن الصغرى للامام النسائي والاربعون حديثا النواوية . وجزء الامام اسماعيل بن نجيد ورسالة ابي محمد بن ابي زيد القيرواني ومشارق الانوار لابي الفضل القاضي عياض والمصافحة المتسلسلة من طريق انس بن مالك . ومن طريق الخضر ايضا هذا الشخص الروحي الذي تضاربت الاراء في وجوده وعدمه . وبهذا ينتهي القسم الذي يسميه بالعجالة ثم يتبع ذلك بالقسم الذي يسميه بالذيل وهو ما وقف عليه مكتوبا او ناله اياه رضوان بن عبد الله الجنوي من اجازات سقين له . مما صرح فيه بالعموم او قيده بالخصوص ونقل ذلك بقول المؤلف من خط سقين .

ومن ضمن ذلك الحديث المسلسل بالاولية من عدة طرق . فقد رواه سقين عن القلقشندي والسخاوي وابن فهد وزكرياء الانصاري .

ثم اجازة سقين للجنوي ايضا برسالة ابن ابي زيد وبالاربعين حديثا وبجزء الامام ابن نجيد .

ويردف ذلك باجازة السخاوي واجازة ابن غازي لسقين . وقد تادت هاتان الاجازتان الاخيرتان للمؤلف بواسطة والده المولى احمد الذي اخذ عن سقين بفاس سنة ستة وخمسين وتسعمائة كما اخذ في نفس الظروف ونفس المدينة عن خروف التونسي الذي اجازه واجاز ابناءه كما اشرنا الى ذلك .

وكل ما تقدم من الاجازات التي اشرنا اليها سابقا سواء كان المؤلف قد حصل عليها بنفسه او تادت اليه بواسطة الغير يمكن لنا أن نسميها بالاجازات المغربية واليها يشير بقوله : هي غاية ما تحصل لي بهذا القطر المغربي وذلك بغض النظر عما اخذه على طريق الدراية عن عدة مشايخ بهذا القطر وبعد ذلكلم يخف تاسفه على ما آلت اليه حالة الرواية في هذا القطر كما لم يستطع اخفاء شعوره بالمرارة نحو ابناء وطنه على اعراضهم عن هذا النوع من العلم، فقد اندرس رسمها وانمحى فيما بينهم اسمها ولا ريب لها فيما بينهم راية ولا وقع بها اهتمام ولا عناية

---

(12) مناقب الحضيكي ج. 2 ص. 278 .

(13) نزهة الحادي ط. هوداس ص. 131 .

(14) بغية الوعاة للسيوطي ص. 14.

وهل هي الا حادثة جل مصابها واستحلى فيما بينهم علقمها وصابها (15) .

بعد هذه الوقفة القصيرة التي صرح بها بما يجيش به صدره من التحسر على عدم اهتمام ابناء قطره برواية علوم الحديث تابع كلامه في سرد الاجازات التي وصلت اليه من بلاد المشرق . فذكر اجازة موسى النشاي لمحمد بن علي الدادسي وللمؤلف واخويه وغيرهما ، واجازة محمد بن ابراهيم المقدسي للدادسي المذكور وللمؤلف واخويه وغيرهما ، واجازة العلقمي لمحمد بن محمد بن علي الدرعي الجزولي وللمؤلف وغيره ، واجازة الغيشي المالكي للدرعي الجزولي المذكور وللمؤلف وغيره .

والى هنا ينتهي ما جمعه المؤلف من الاجازات لغاية وقت تاليف الفهرسة وهو ستة وثمانين وتسعمائة . وبعد ذلك ترجم لاشياخه المغاربة الذين اخذ عنهم بطريق الدراية وهم محمد بن مهدي الجراري وسعيد بن علي الهوزالي ومحمد بن علي المنجور الفاسي ومحمد بن مجبر المساري ، وبذلك ينتهي الذيل بتاريخ أواسط القعدة الحرام عام اثنين وثمانين بمدينة مراكش .

وبعد الفراغ من العجالة وذيلها فى التاريخ المذكور جاءت اجازة ابن فهد الهاشمي الشافعي لعبد الرحمن التواتي وللمؤلف نفسه وبنته صفية . مؤرخة بيوم الخميس الثامن عشر من شهر شعبان عام ثمانية وثمانين وتسعمائة ، فألحقها بالفهرسة كما الحق بها ما اخذه وانتفع من تلميذه ابن القاضي المكناسي فقد اخذ عنه قراءة الفاتحة بسندها الجني عن شمهروش ! بتاريخ يوم الجمعة ثامن وعشري شوال عام اثنين وتسعين وتسعمائة .

بعد هذا التلخيص لفهرسة صاحب الترجمة وما تضمنه من اجازات مغربية ومشرقية ؛ وبعد التمكن من اعطاء فكرة واضحة على مدى اهتمامه بفن رواية الاحاديث لا يفوتنا ان نلاحظ هنا ملاحظة بسيطة تهم صناعة التاليف ، ذلك ان الكثير من المؤلفين الاولين ومن جملتهم عبد الواحد الشريف كانت كتبهم لا تعتبر منتهية الا بموتهم . ولذلك فهي معرضة دائما للزيادة والنقصان والتغيير والتبديل كما راينا ونرى شيئا من ذلك فى ختام هذه الفهرسة.

وبما ان النسخة التي بين أيدينا قد كتبت برسم ابن القاضي المكناسي ودخلت فى ملكه كما تشهد بذلك الالحاقات والتصويبات المكتوبة بخط يده لدى قراءتها على استاذه فقد أباح هو لنفسه كذلك ان يلحق بها ما يلي ـ وبخط يده ايضا ـ اجازة القرافي له بسندها الجني المتقدم والتي تدبج بها مع استاذه صاحب الترجمة وهي مؤرخة بصبيحة يوم الجمعة المبارك حادي عشر ذي القعدة الحرام سنة ست وثمانين وتسعمائة . واجازة محمد بن محمد بن ابي بكر بن الحاج موسى التواتي له ايضا بصنف ابي عبد الله النجاري والمؤرخة بأربعة وعشرين من شوال سنة 998 . واجازة عبد الواحد بن أحمد الشريف صاحب الترجمة له أيضا بهاته الفهرسة . وقد قال فى فقراتها الاخيرة : وقد كانت القراءة المذكورة بلفظي وحضرها جم غفير من طلبة العلم كالشيخ المحدث ابي عبد الله بن محمد بن ابي بكر التواتي والفقيه ابي عبد الله محمد بن يعقوب الايسي الراوية الاديب الحافظ المتفنن وجماعة وأجاز كلا من حضر بمثل الاجازة فى أواخر شوال المبارك سنة 998 . وختم ذلك بعبارة التصحيح المكتوبة بخط المؤلف وهي :

صح ذلك ، قاله وكتب بخطه عبد الواحد بن احمد بن محمد بن الحسن الحسني غفر الله له بمنه

خدماته الحكومية وما نشأ عنها :

لم تكن دولة السعديين تقدر فى شخصية ابي مالك العالم العلامة والمحدث المفتي والاديب الشاعر الناثر ، المقتدر على التصرف فى النظم والنثر . وعلى الانشاء والترسل فى الخير والشر فحسب ؛ بل كانت تراعي فيه وفى ابناء عمه انهم ينحدرون قبل كل شيء من سلالة تستوجب المراعات والاحترام ذلك ان بينهم يمتاز بحسن السلوك والتواضع الطبيعي والجدية التي تطبع اكثرية تصرفاتهم ، كما انه يشكل حقلا خصبا لاستثنات المجاهدين والمصلحين ، ويتجلى هذا التقدير فى عهد المنصور بصفة خاصة . ذلك العاهل الذي كثيرا ما كان يواسيهم مواساة ملحوظة ويرفع عنهم الحيف والظلم الذي قد ينزل بساحتهم . والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها على

(15) فهرسة المؤلف المسماة بالالمام بمن لقيته من علماء الاسلام مخطوط خاص .

سبيل المثال حادثة السيد عبد الله بن قاسم الحسني الذي ابتلي بطغيان بعض الظلمة بفاس ولم تكن شكايته للمنصور سببا في دفع الظلم عنه بكيفية لطيفة فقط بل كانت سببا في غناه وغنى اولاده واقاربه بشكل يلفت الانظار (16) .

وتبتديء الوظيفة الاولى لابي مالك في خدماته مع السعديين في الوقت الذي ارسل فيه عبد الله الغالب ولده محمد المتوكل وابن اخيه محمد بن عبد القادر الى الشمال المغربي واسند النظر في مدينة فاس الى ولده الذي كان متكبرا تياها عنيدا في تفكيره ولو كان في ذلك هلاكه وهلاك العالم اجمع . كما اسند النظر في مدينة مكناس واقاليم البادية الى اخيه الذي اسند وظيفة الكتابة في ديوانه الى ابي مالك . ولم تكن العلاقات التي كانت بينهما في الحقيقة علاقة امير ومأمور وخادم ومخدوم . وانما هي علاقة اديب باخيه تتحد افكارهما وتتفق ميولهما حتى ان النقاد في بعض الاحيان لم يستطيعوا أن يميزوا فيما بين شعر هذا وشعر ذلك (17) .

وقد كان هذا الامير لبيبا متواضعا . واديبا رزينا وبطلا حازما . فقضى على دويلة بني راشد العلميين بشفشاون . ومكن للدولة السعدية في جميع اقاليم الشمال المغربي . واجتمعت عليه الكلمة وانضوت تحت امرته قلوب العامة والعلماء . بدوا وحضرا . حتى صار الناس لا يعرفون الا باب هذا الوزير ولا يقصدون سواه . وتزاحم الناس حول قصره بالمناكب . فاستاء الغالب بالله لهاته النتائج الباهرة التي جاءت على يد ابن اخيه دون ولده . فصار يلتمس المعاذير والاسباب للفتك به ويختلق الوسائل والعلل الواهية لتصفيته ، الى ان قتله شنقا دون فبراير سنة 957 (18) . وهكذا يقوم الغالب بالله الذي يسميه احمد أوموسى السملالي بياقوتات الاشراف بهاته الجريمة الشنيعة التي ورطته في ارتكابها الغيرة المقيتة . والحق ان الامير الذي ذهب ضحية اخلاصه كان رجلا شهما يقدر العلماء والادباء . حتى ان حضرته كانت بمثابة سوق نافقة لروجان العلم والادب . ما شئت من مطارحات علمية ومساجلات شعرية ودرر ادبية . وبعد مقتل الامير امتدت يد الطغيان الى بعض من كان يرتاد تلك المجالس وعلى رأسهم ابو العباس احمد بن علي المنجور الذي زج به في غياهب السجون ولم يطلق سراحه الا بعد التزامه بقبول الذهاب الى مراكش لتسهل مراقبته فنقل اليها ومكث بها مدة ليست بالقصيرة (19) .

واذا كان صاحب الترجمة قد خرج من هذه المحنة سالما معافى فيما يظهر فان اقل عقاب يجازى به يجب ان يتمثل في الاعراض عنه والاستغناء عن خدماته . وربما كان هذا من الاسباب التي جعلت ابن عسكر السريفي يتجاهل ذكر اسمه واسماء امثاله في دوحته فيما يظهر .

كما انه لنفس السبب لم يترجم للعلامة المنجور ترجمة مستقلة وانما ذكره في بعض الجمل القليلة التي ختمها بهذا الدعاء ! والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (20) .

وقد عاش ابو مالك مدة هذه الظروف القائمة تحت ضغط كابوس الاحزان المقلقة التي كانت تخيم على عقله وتحت تأثير تلك الامواج الهادرة التي كانت تجيش بها نفسه وقد انعكست ظلال ذلك كله على ديباجة فهرسته حتى صيرتها عبارة عن زفرة مكظوم . وشكاة مظلوم . ونفثة مصدور تتضمن شيئا غير قليل من التشكي المكبوت . والانين غير المفهوم والتضرع الذي يقطع نياط القلوب .. فلنسمع الى هذا الاديب الفصيح والبلبل الجريح وهو يئن ويصيح :

ثم جنت على بقدر الله السابق يدي . واتعبت فيما لا يعنيني فكري وخلدي . فها انا ذا لا اروح في خلق العلم ولا اغتدي . وءال الامر بي الى ما ءال الى والحال يغني عن السؤال .

فقد كان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسال عن الخبر .

---

(16) الدرر البهية ج. 1 ص. 106 .
(17) نزهة الحادي لليفراني ط. هوداس ، ص. 54
(18) تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول ص 33
(19) درة الحجال لابن القاضي ص. 252 .
(20) دوحة الناشر ص. 45 .

لكني بفضل الله ما زلت استنشق أرج الفرج من جانب الرجاء وارجو من الرحيم الرحمن ان يجعل من هذا المضيق مخرجا . وان ييسر بكريم لطفه من هذه الانشوطة الخلاص . ويجعل وقايتـه لنا من مضارها امنع جنة واقوى دلاص فان بيده تصاريف الاقدار . وتعاقب الليل والنهار . واعـوذ بالله ان اكون متصفا بالقنوط من فضله والياس عميم كرمه وطوله . وما هذه أول شدة نسفتها ارواح الفـرج ويسرت لامثالي منها السبيل والمخرج ويرحم الله من قـال :

وكم امر تساء به صباحـا
وتعقبك المسرة بالعشـي

وما زلت على ما انا عليه من هذه الاحوال وتفاقم الاهوال أواصل السؤال وادبم البحث عن افاضل العلماء من هذه الامة ، واستخبر عن السادات الذين تنجلي برؤيتهم الغمة الخ . (21)

تلك كانت حالته في الظروف التي كتب فيهـا الفهرسة او بتعبير آخر هكذا كانت نفسيتـه في السنين الباقية من حياة عبد الله الغالب الذي شنق مخدومه وفي عهد ولده محمد المتوكل . حتى بزغت شمس دولة المنصور الذي كان موفقا في انتقـاء الرجال وتقريب ذوي الكفاءات العالية . وترصيـع بلاطه ومجالسه بأعاظيم الشجعان وفطاحل العلـم ونجوم الادب . فابتسم الحظ مرة أخرى لصاحب الترجمة ، وانهالت عليه الجوائز السنية ، وتقلب في الوظائف العالية ، والاطوار المختلفة ، من افتاء وقضاء وخطابة وتدريس . وكان رجلا مجلا لا تنقصه المقدرة في جميع الميادين . وزيادة على ذلك فهو شاعـر البلاط وبلبله الصداح . وبالاخص في الاحتفـالات التقليدية التي احدثها المسلمون في الموالد النبوية والمهرجانات الرمضانية حينما يتبارى فحول الشعراء في القاء القصائد بين يدي المنصور (22) وهو أيضا كاتب مترسل في ديوان الانشاء يحبـر الرسائـل للملوك . خبير بمقتضيات الاحوال مهما تشعبـت . بصير بجوانب الحذر والحيطة مهما تباينـت (23) . وقد تحدث الناس دهرا طويلا بتلك الرسالة التـي بعث بها المنصور الى ملك السودان اسكيما الحاج وكانت من انشاء ابي مالك . وقد وقف عليها السعدي مؤرخ السودان بعد زمان طويل (24) .

الآخـــذون عنـــه :

انتصب المترجم للتدريس بجامع المواسيـن المعروف بجامع الاشراف بمراكش وكان سكنـاه بنفس الحومة في الدرب الذي ما يزال الى الآن يحمل اسم درب الشرفاء . واخذ عنه خلق كثير وانتفعت به الخاصة والعامة . وفي طليعة المتخرجين على يده ولداه الكوكبان النيران العالمان الجليلان السيـدان محمد واحمد . ولكل منهما ترجمة حافلة عند المقري في الروضة وعند ابن القاضي في الجـذوة والدرة وعند القادري في نشر المثاني والفضيلي في الدرر والتعارجي في الاعـلام وغير هؤلاء .

وممن اخذ عن صاحب الترجمة ايضـا الاديب المؤرخ الفقيه العلامة محمد بن يعقـوب الايسـي المراكشي والعلامة أبو العباس احمد بن القاضـي المعرف بابن العافية . قال في الجذوة اخـذت عنه فهرسته وقرأتها عليه بلفظي وأجاز لي كل ما يحملـه عن اشياخه وكتب لي ذلك بخطه (25) .

مؤلفاتــه وفوائـده :

قد ساهم المؤلف في ميدان التأليـف بقسط لا بأس به من المؤلفات ولكن الاغلبية منها تعتبر في حكم المفقود وذلك باستثناء فهرسته التي لم تصـل اليها براثن الضياع رغما عن كون ستار النسيان قد اسدل عليها بعد استفادة بعض المؤرخيـن منهـا من امثال احمد بابـا السودانـي والحضيكـي . وقد ذكر المؤرخون ان له حاشية على المرادي شرح

---

(21) فهرسة المؤلف المسماة بالالمام بمن لقيته من شيوخ الاسلام مخطوط خاص .
(22) نزهة الحـادي ط. هوداس ص. 149 .
(23) نزهة الحـادي ط. هوداس ص. 88 .
(24) تاريـخ السودان ص. 137 .
(25) الجذوة ص. 270 . والدرة 148 ـ 383 .

ألفية ابن مالك فى النحو . وقال احمد بن عبد العزيز صاحب الانوار السنية من أهل القرن الثاني عشر انها الان بيدي الطلبة (26) .

وله شرح على مقصورة المكودي فى علم التصريف .

وله ديوان شعر فى الامداح النبوية .

كما له مقطعات شعرية فى مدح المنصور .

اما انشاداته فكثيرة حسب قول اليفرني نذكر منها ما أورده ابن القاضي فى درة الحجال . قال انشدني للسيوطي مضمنا :

قل للسخاوي ان تعروه مشكلة
على كبحر من الامواج ملتطم

فالحافظ الديمي غيث السحاب فخذ
غرفا من البحر او رشفا من الديم

وقال ايضا وانشدنا عند المصافحة :

صافحتهم متبركا باكفهم
اذا صافحوا كفا على كريمة

فلربما يكفي المحب تعللا
ءاثارهم وبعد ذاك غنيمة

وقال ايضا :

اذا اشتبكت دموع فى خدود
تبين من بكى ممن تباكا

وبالجملة فانشاداته وفوائده كثيرة كما قال ابن القاضي (27) .

ومن فوائده ما كان يتحدث به عن ابن عرفة من ان سبب تبحره فى العلم هو ان اباه كان قد اتصل بشعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولد له ابن عرفة حكها فى الماء حتى ذابت !!! فسقاه اباها وهي أول ماء دخل بطنه فتفجر قلبه بالعلوم ببركة تلك الشعرة الشريفة . قال اليفرني ورايت من نسب هاته الفائدة الى ابن عمه العلامة مولانا محمد بن القاسم الشريف الفلالي المتوفى سنة 988 وهو خطيب جامع الاشراف بمراكش واول خطيب بها .

وفاته ومدفنه :

اجمع المؤرخون لحياة ابي مالك على انه مات بمراكش ودفن بباب ايلان تجاه ضريح القاضي عياض . قال الزكي بن محمد الهاشمي فى الشجرة الشماء عند ما تعرض لذكره هو العلامة عبد الواحد بن احمد دفين مراكش بقبة مولانا علي الشريف مع ان وفاة هذا الاخير متأخرة عن موت صاحب الترجمة بمدة طويلة لا تقل عن خمس وثلاثين سنة ؛ ذلك ان وفاة ابي مالك كانت سنة 1003 والمولى علي الشريف لا نعلم وقت موته بالضبط وانما الذي نعرف انه كان ضمن جماعة العلويين الذين سجنوا بمراكش فى فترة تقع فى زمان الفتنة التي وقعت بين أبناء زيدان بن المنصور . ويقال أن عدد هؤلاء المسجونين كان نحو الاربعين (28) . وتصفهم الرواية بأنهم كانوا يتعيشون فى سجنهم بما يصل اليهم من سجلماسة او بما يحصلون عليه من عمل ايديهم كنسخ الكتب وصناعة الحبال والاوعية التي تتخذ مادتها من خوص النخيل . كما اننا لا نعرف من اسمائهم الا القليل مثل المولى علي الشريف والمولى عبد الواحد بن علي بن طاهر ، اخي الامام المولى عبد الله بن علي بن طاهر ، وابن عمه السيد قاسم بن عبد العزيز (29) . وقد مات جلهم فى هذا السجن وهم مدفونون ضمن هذه القبة .

والظاهر ان هذه الحادثة كانت فى زمان عبد الملك بن زيدان 1037 — 1040 .

وتؤيد هذا التخريج فقرة وردت عرضا فى كلام المرغتي عند سرد العلوم التى اخذها عن الامام عبد

---

(26) الانوار السنية 58 .
(27) درة الحجال ص. 383 — 384 .
(28) الدرر البهية ج. 1 ، ص. 135 .
(29) الانوار السنية ، ص. 67 — 72 . الدرر البهية ج. 1 ، ص. 251 .

الله بن علي بن طاهر حينما قال : وكان ذلك عام 1037 بجبل تاغيا من بلاد مدغرة ابـــام محنــة شرفـــاء سجلماسة (30) او فى زمان اخيه الوليـــد 1040 — 1055 الذي يصفه اليفرني فى النزهة بانه كان يقتل الاشراف من ابناء عمه واخوته حتى افنى اكثرهم (31)

والظاهر ايضا ان شهداء هذا السجن كانـــوا يدفنون الى جانب ابي مالك قبل ان تكون هناك قبة وحينما ءال الامر للمولى الرشيد بن الشريف حفيد المولى علي شيد هاته القبة التي تضم رفاة ابي مالك ورفاة شهداء السجن ، ومن ذلك الحين اتخذت القبة اسم قبة مولاي علي الشريف .

وكيف ما كان الحال فتبرية ابي مالك الرخامية ما تزال ماثلة للعيان بهذا الضريح وقد نقل ما هــو مسجل فيها Gaston de Verdun
فى كتابه Inscriptions Arabes du Marakoch P.186

ونص ما جاء فيها — تعويذة — بسملة — تصلية — صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم — ونحن على ذلك من الشاهدين — حوقلـــة .

هذا ضريح العالم الاوحد ، الطاهر الاسعد الذي لفظ من ادواح المشاهد العلمية ازهاره ، وانفذ ليله فى اقتناء الفضائل ونهاره ، وكان لا يميل فى حكم ولا قضية . لا تقره الاسباب الدنياوية نجل موالينا الشرفاء الكرام . بواهم الله اعلى الغرف من دار السلام . ابو المكارم مولانا عبد الواحد بن مولانـــا احمد بن مولانا محمد الحسني نعمـــه الله برضاه ، توفى يوم الجمعة السادس والعشرين من رجب عام ثلاثة والف — ترضية .

وتاريخ الوفاة الذي درج عليه المؤرخون يخالف ما فى هاتـــه القبريـــة اذ انهـــم يجعلــــون الوفاة يوم الخميس خامس وعشري رجب الفرد عام ثلاثة والف . اما الدفن فقد كان يوم الجمعة الـــذي يليه باتفاق (32) رحم الله ابا مالـــك .

للبحـــث صلـــة

---

(30) مجلة كلية الشريعة ، العدد الثاني ص. 52 .
(31) نزهـــة الحـــادي ط. هوداس ص. 245 .
(32) نشر المثانـــي ج. 1 ص. 16 .

حرف وفرشي فى مروى الامام ورش

د. التهامي الراجي الهاشمي

1 ـ الامـــام ورش :

عرف به الامام أبو جعفر أحمد بن علي المعروف بابن الباذش (2) فى كتابه « الاقنـــاع فى القـــرآت السبع » (3) ، فقال : « ورش ، هو عثمان بن سعيد ابن عدي بن غزوان بن داود بن سابق المصري مولى آل الزبير بن العوام ، يكنى أبا سعد ، وقيل أبا عمرو وقيل أبا القاسم ، وورش لقب له ، قالوا لشدة بياضه، واخبرني ابي رضي الله عنه ان فى « الغريب المصنف» لابي عبيد الفراء « ورشت الطعام ورشا اذا تناولت منه شيئا يسيرا » . فلعله كان يكثر تصريف هــذه الكلمة ، فعرف بها . ولد بمصر سنة عشر ومائة وقرأ على نافع سنة خمس وخمسين ، وتوفي بمصر

---

(1) الفرش بفتح فسكون هو صغار الابل ، ومنه قوله تعالى : « ومن الانعام حمولة وفرشا ، كلوا ممـا رزقكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبيـــن » الآية 142 من الســورة 6 التوبــة . قال الفراء : « لم أسمع له بجمع . قال ويحتمل ان يكون مصدرا سمي به ، من قولهم فرشهـا الله تعالى فرشا ، اي بثها بثا . » (نقلت هذا من الصحاح مادة « فرش ») .

(2) هو احمد بن علي بن احمد بن خلف أبو جعفر بن الباذش الانصاري الغرناطي ، ولد سنـــة احـدى وتسعين واربعمائة ، يقال انه قرا بثلاثمائـــة طريق فى كتابه . توفي فى جمادى الثانية سنـة اربعين وخمسمائة ، وقيل سنة اثنتين وأربعين وهو كهل . (انظر ترجمته مطولة فى « غاية النهاية » لابن الجزري ، صفحة 83 من الجزء الاول الترجمة رقـم 376) .

(3) قال ابن الجزري فى المصدر السابق وفى المكان المشار اليه فى التعليق السابق : « الف (يعني ابن الباذش) كتاب الاقناع فى السبع من أحسن الكتب ، ولكنه ما يخلو من اوهام نبهت عليها فى كتابي الاعـلام » .
وكتاب الاقناع موجود ، خلافا لما اعتقده الدكتور عبد الصبور شاهيــن الــذي قال فى مؤلفــه : « القراءات القرءانية فى ضوء علم اللغـة الحديث » صفحة 416 ، طبعـة مصر سنـة 1966 : « الف كتاب الاقناع فى القراءات السبع ، من أحسن الكتب » . ثم أضاف الدكتور عبد الصبــور شاهين قائلا : « هو الان مفقود » مــع أن لكتاب الاقناع نسخا خطية كثيرة منها نسخة بمكتبة راغب بالاستانة تحت رقم 5 ونسخة مصورة بالفوتوستات عن السابقة بدار الكتب المصرية وهي محفوظة فيها تحت رقم 19666 ب . كما توجد نسخة منه بالمكتبة العامة بالرباط نقلا عن المكتبة الحمزاوية بالمغــرب الاقصــى .

سنة سبع وتسعين ومائة فى أيام المأمون وله سبع وثمانون سنة » (4) .

وهو ما قاله ملخصا قبله الامام ابو عمرو عثمان ابن سعيد الداني (5) . جاء فى كتابه : « التيسير فى القراءات السبع » (6) . « وورش هو عثمان بن سعيد المصري ويكنى أبا سعيد ، وورش لقب لقب به فيما يقال لشدة بياضه ، وتوفى بمصر سنة سبع وتسعين ومائة » (7) .

2 — من هو ورش بالنسبة للبدر نافع ؟

ورش هو أحد الاربعة الذين اخذوا عن ابى عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم المدني رحمه الله. والاصحاب الثلاثة الآخرون هم :

1 — اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير الانصار (8) .

2 — واسحاق بن محمد بن المسيب .

3 — وعيسى بن مينا قالون المدني .

---

(4) انظر « الاقناع » بالمكتبة العامة بالرباط ، اللوحة رقم 6 ابتداء من السطر التاسع .

(5) ولد الامام الداني سنة 371 هجرية وتوفى فىمنتصف شوال 444 ، نقل عنه انه كان يقول : « ما رايت شيئا قط الا كتبته وما كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته ، وكان ايضا عارفا بعلوم الحديث وطرقه واسماء رجاله وبارعا فى الفقه وسائر انواع العلوم .

(6) هو كتاب فى علم القراءات السبع ، ويسمى أيضا « كتاب التيسير لحفظ القراءات السبع » أو « لحفظ مذاهب القراء السبعة » نظمه ابو محمد القاسم بن محمد بن فيرة الشاطبي فى قصيدة سماها « حرز الاماني ووجه التهاني فى القراءات السبع المثاني » واختصره السيد أحمد بن علي بن محمد بن علي ابو العباس الاندلسي المتوفى فىحدود الاربعين وستمائة (انظر ترجمته فى « غاية النهاية » الجزء الاول ، صفحة 87 الترجمة 394) .
كما نظمه أيضا مالك بن علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن ابو الحكم المالقي المعروف بابن المرحل المولود سنة أربع وستمائة بمالقة . قال الوهبي : « وقفت له على قصيدة فى أزيد من الف بيت ، لامية نظم فيها التيسير بلا رموز » ، توفى سنة تسع وتسعين وستمائة .
شرح التيسير ابو محمد عبد الواحد بن محمد الباهلي المتوفى سنة 750 هجرية ، سماه « الدر النثير والعذب المنير » شرح فيه ما فى التيسير من المشكل والمهمل واتبعه بذكر ما بين كتاب التيسير وبين كتاب التبصرة لابي محمد مكي ابن ابي طالب وبين كتاب الكافي لابى عبد الله محمد بن شريح الاشبيلي من الموافقة والمخالفة .
كما شرح التيسير الامام ابن الجزري (بكتاب سماه « تحبير التيسير » .
ويظهر ان الشرح الذي ذكره حاجي خليفة ونسبه الى عمر بن القاسم الانصاري المشهور بالنشار ليس شرحا لكتاب التيسير وانما هو كتاب وضعه النشار مقتبسا مادته من كتاب العنوان للامام ابي الطاهر اسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الانصاري الاندلسي المتوفى بمصر سنة 455 هجرية ، ومن كتاب التيسير والشاطبية (انظر كشف الظنون الجزء الاول ، العمود 520 والرد الذي اثبته على ما ذكره حاجي خليفة مصحح التيسير الاستاذ OTTO Pretzl فى مقدمة الكتاب المحقق ، صفحة « ط » من طبعة استنبول 1930) .

(7) التيسير ، صفحة 4 ، السطر العاشر .

(8) هو اخو محمد ويعقوب ، أخذ القراءة عرضا عن شيبة بن نصاح ، ثم عرض على نافع وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان . قال الامام شمس الدين ابى عبد الله الذهبي : « اسماعيل بن جعفر ثقة مامون قليل الحظ ، هو واخوه محمد وكثير مدنيون ، قلت توفى ببغداد سنة ثمانين ومائة » . (انظر « معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار » صفحة 120 من الطبعة الاولى بالقاهرة سنة 1387 هـ (1967 م) ، الجزء الاول) .

ومعلوم ان لكل من ابن كثيـر الانصـاري (9) واسحاق بن محمد ابن المسيب راويان (10) ولكل من ورش وقالون ثلاث روايـات (11) .

الذي يهمنا الان من هذه الروايات ، روايـات ورش رضي الله عنه .

وهذه الروايات هي :

1 ـ رواية ابي يعقوب الازرق (12) .

2 ـ رواية عبد الصمد بن عبد الرحمن (13) .

3 ـ ورواية ابي بكر محمد بن عبد الرحيـم الاصبهانـي (14) .

3 ـ البسملـة :

كان لورش موقفان في هذه القضية :

ـ **الموقف الاول** كان رضي الله عنه يبسمل في جميع القرءان الا في براءة (15) .

---

(9) ولاسماعيـل هـذا روايتـان :
1 ـ رواية ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس البغدادي وهو من جلة اهل الاداء وحذاقهـم ، وارفع اصحاب ابن عمرو الدوري تصدر للاقراء مدة ، قرا عليه ابن مجاهد ، وهو انبل اصحابـه وغيره . (انظر « معرفة القراء الكبار » صفحة 193 من الجزء الاول) .
2 ـ ورواية احمد بن فرج ابن جبريل ، ابو جعفر البغدادي الضرير المقريء المفسر ، قرا على الدوري والبزي . سكن الكوفة مدة ، وحمل أهلها عنه علما جما . وكان ثقة مأمونا . توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقـد قـارب التسعين . (انظر معرفة القراء الكبار الجـزء الاول صفحـة 194) .

(10) همـا :
1 ـ رواية ابنه محمد بن اسحاق . 2 ـ رواية محمد بن سعدان النحوي .

(11) اما الروايات الثلاث عن قالون فهـي :
1 ـ رواية ابي نشيط محمد بن هارون الربعي المروزي ثم البغدادي . كان من حفاظ الحديث والرجالين فيه ، وعلى روايته اعتمد الامام الداني في التسيير . كان رحمه الله صدوقا . توفـي سنة 263 هجريـة .
2 ـ ورواية احمد ن يزيد الحلواني ، ابو الحسن . كان رحمه الله من الحذاق المجدديـن ، قرا على قالون الراوي الثاني لنافع وعلى غيره. كان كثير الترحال ، كان ثبتا في قالون ، وهشام . قيل انه توفي سنة 205 هجرية . (انظر معرفة القراء الكبار الجزء الاول ، صفحة 180 ، الترجمة42)

(12) ابو يعقوب الازرق ، يوسف بن عمرو بن يسار المدني ، لزم ورشا مدة طويلة ، واتقن عنه الاداء ، وانفرد عن ورش بتغليظ اللامات وترقيق الراءات ، قال الامام شمس الدين ابو عبد الله الذهبي في كتابه « معرفة القراء ... » الجزء الاول ، صفحة 150 : قال ابو عدي عبد العزيز : سمعت ابا بكر بن سيف ، يقول ، ابا يعقوب الازرق يقول : « ان ورشا لما تعمق في النحو اتخذ لنفسه مقرا يسمى مقرا ورش ، فلما جئت لاقرا عليه، قلت له يا ابا سعيد ، اني احب ان تقرئني مقـرا نافع خالصا ، وتدعيني ممـا استحسنـت لنفسك فقلدته مقرا نافع .
وكنت نازلا مع ورش في الدار ، فقرات عليه عشرين ختمة بين حدر وتحقيق » . (انظر معرفـة القراء الكبار الجزء الاول ، صفحة 150) . مات في حدود الاربعين ومائتين .

(13) ابن القاسم العتقي ابو الازهر المصري ، قرا القرءان وجوده على ورش ، هو والفقيه موسى بـن عبد الرحمن . وهو عمدة الاندلسيين في قراءة ورش ، توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين .

(14) محمد بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن شبيب ، ابو بكر الاصبهاني ، شيخ القراء في زمانه .
قرا لورش على عامر الجرشي ، وسليمان بن اخي رشيدين وعلى غيرهما ، حذق في معرفة حرف نافع ، ولد سنة 110 هجرية وتوفي ببغداد في رمضان سنة 188 هجرية .

(15) هي السورة التاسعة ، تسمى التوبة ايضا وهي مدنية وآياتها 129 .

قال الداني : « وقرا الباقون وورش من رواية عبد الصمد والاصبهاني فى التسمية فى جميع القرءان الا بين الانفال وبراءة فانه لا خلاف فى ترك التسمية بينهما » (16) .

وقال ابن باذش : « القسم الاول ، اجمعوا على اثبات التسمية لول فاتحة الكتاب ، وكل سورة مبدوء بها ما خلا براءة » (17) .

— **الموقف الثاني** : كان رضي الله عنه لا يبسمل عدى فى اربع سور .

1 — مابين المدثر والقيامة

ومعلوم ان سورة المدثر تنتهي بالعبارة « واهل المغفرة » وان سورة القيامة تبتدىء بقوله تعالى : « لا اقسم » فاذا ما وصل التالي لكتاب الله تعالى « المغفرة ب « لا » فكأنه نفى المغفرة الثابتة لله ب «لا»

لاتصالها ب « المغفرة » فى لفظه .

2 — ما بين الانفطار والمطففين

تنتهي سورة الانفطار بقوله تعالى : « والامر يومئذ لله » (18) وتبتدىء سورة المطففين بقوله تعالى : « ويل ... » (19) .

فاذا ما وصل التالي لكتاب الله العزيز « لله » ب « ويل » قرن الويل المذموم باسم الله .

3 — مابين الفجر والبلد

تختتم السورة التاسعة والثمانون « الفجر » بالآية 30 ونصها « وادخلي جنتي » وتبدأ السورة التسعون « البلد » بقوله تعالى : « لا اقسم بهذا البلد » . فاذا لم يبسمل قارىء القرءان بين هتين السورتين ، وصل « ادخلي جنتي » ب « لا » فكأنه بهذا ينفي ما ثبت من دخول الجنة .

4 — ما بين العصر والهمزة

تنتهي السورة 103 العصر بقوله تعالى : « وتواصوا بالصبر » وتبتدىء السورة 104 الهمزة بقوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة » . فاذا وصل القارىء وقال : « وتواصوا بالصبر ويل » قرن الويل المذموم بالصبر الممدوح . والويل كما هو معلوم كلمة تقال لمن يستحق العذاب .

وعن هذا الموقف عبر الشيخ ابو الحسن سيدي علي الرباطي المعروف بابن بري فقال : (19)

وبعضهم بسملة عن ضرورة
فى الاربع المعلومة المشهورة

للفصل بين النفي والاثبات
والصبر واسم الله والويلات

4 — حول البسملة فى السور الاربع :

لي على هذه النقطة ملاحظات ، منها :

اولا : ان المقصود من البسملة فى هذه السور الاربع التي تعرف عند الشيوخ المتقدمين المصنفين فى القراءات بالاربع الزهر ، وبالاربع الغر هو دفع القبيح الذي يتحقق عندما يصل التالي لكتاب الله العزيز آخر السورة من هذه السور بأول السورة التي تليها .

لكن القارىء المبسمل فى هذه السور يقع فى نفس المحذور الذي يقع فيه حين يترك البسملة ، اذ ان وصف الله تعالى وهو « الرحيم » من « بسم الله الرحمن الرحيم » يتصل ، عند البسملة بما يحسن الا يتصل به .

---

(16) انظر كتاب « التعريف » لابي عمرو الداني، اللوحة الثالثة من مجموع بالخزانة العامة بالرباط (صفحة 163 أ) .

(17) انظر « الاقناع » للامام ابو جعفر احمد بن علي المعروف بابن الباذش . اللوحة 46 ، السطر السابع من مخطوطة الخزانة العامة الرباط .

(18) هي الآية 19 من السورة 82 الانفطار .

(19) سورة المطففين هي السورة 83 فى مصحف الامام وهي مكية وعدد آياتها 36 آية .

فالقارىء مع « لا اقسم » يصل « الرحمـــن » بـ « لا » وهنا يكون ايضا كانه نفى الرحمة الثابة لله تعالى بـ « لا » . وهو مع « ويل للمطففين » و « ويل لكل همزة » يقرن اسم الله الممدوح بـ الويل المذموم، وذلك قبيح فى اللفظ . فالقبح الذي فر منه مـــن فصل بالبسملة قد وقع فى مثله (20) .

ثانيا : ان القبح الذي يقع فيه التالـــي للقرءان الكريم ان لم يبسمل فى الاربع الزهر المذكورة غير مسلم ؛ ذلك ان فى القرءان العظيم كثير من مثل هذا الاتصال الذي وصفوه بالقبح . الا ترى ما يقع فيـــه القارىء حين يقرأ مثلا « القيوم » « لا » وذلـــك فى الآية الكريمة (21) . « الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السماوات ومـــا فى الارض ، من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السماوات والارض ، ولا يـــؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » .

ومثل ما يقع حين يصل التالـــي لكتـــاب الله العزيز الكلمة الاخيرة من الآية المذكورة اعلاه بمـــا بعدها وهو « لا اكراه » فيصبح عنده « العظيم لا » .

ونفس القبح يقع فيه القارىء حين يصل الآية « انا كذلك نجزي المحسنين » (22) بالكلمة الاولى فى الآية بعدها (23) .

ثالثا : ان تخصيص البسملة لورش فى السور الاربع غير منقول عنه .

يشير الامام الداني الى هذا الامـــر فيقول : وكان بعض شيوخنا يفصل فى مذهب هؤلاء بالتسمية بين المدثر والقيامة والانفطار والمطففيـــن والفجـــر والبلد والعصر والهمزة ويسكت بينهن سكتـــة فى مذهب حمزة ، وليس فى ذلك اثر يروى عنهم وانما هو استحباب بين الشيوخ » (24) .

وذكر مثل هذا ابن الباذش فقال : « ولا اعلم ابا القاسم شيخنا الا اخذ بالتسمية فى ذلك وقـــد نص عليه الاهوازي عن خلف وخلاد على ان اجماعهم على اثبات التسمية فى أوائل السور اختيار منهـــم واستحباب لا ايجاب » (25) .

رابعا : اضافوا للاربع الزهر موضعا خامســـا يبسمل فيه الازرق عن ورش وهـــو بين الاحقـــاق والقتـــال (26) .

5 ـ ما ترتب عن ترك البسملة فى مروى ورش :

اشار الشيخ ابو الحسن سيدي علي الرباطـــي المعروف بابن بري الى ما ترتب عن ترك البسملة فى مروى الامام ورش فقال :

واسكت يسيرا تحظ بالصواب
أوصل له مبيـــن الاعـــــراب

ترتب اذن عن ترك البسملة أمران :
ـــ الاول السكـــت .

6 ـ فمـــا السكـــــت ؟

عرفه الامام ابن الجزري ، فقال : « هو عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة مـــن غيـــر تنفـــس » (21) .

---

(20) انظر النجوم الطوالع ، على الدرر اللوامع ، فى مقرأ الامام نافع لابراهيم المغاني ، صفحة 29 مـــن طبعة تونس 1354 هجرية (1935 ميلادية).
(21) الآيـــة 255 من السورة الثانية البقرة .
(22) الآيـــة 44 من الســورة 77 ، المرســـلات .
(23) الآية بعدها هي ، « ويل يومئذ للمكذبين » .
(24) « التيسير » ، صفحة 18 ، السطر الثاني .
(25) « الاقناع » ، اللوحة 47 ، السطر الاول .
(26) « النشر فى القراءات العشر » لابن الجزري، الجـــزء الاول ، صفحة 262 .
(21) انظر « النشر فى القراءات العشر » لابن جزري ، الجزء الاول ، صفحة 240 ، السطر 15 .

اطلق القراء على السكت الفاظا كثيرة ، وذلك حسب مذاهبهم فى القراءات القرآنية . ولقد أحصيت لهذا السكت تسعة أسام هي (22) :

1 ـ سكتــة يسيــرة (23) .

سمي السكت « سكتة يسيرة » أصحاب سليم عنه عن حمزة (24) بمناسبــة الحديــث على السكــت قبل الهمــز .

2 ـ سكتــة قصيــرة (25) .
3 ـ سكتة مختلسة من غير اشباع (26) .
4 ـ سكتــة = وقفــة يسيــرة .

قاله أبو الحسن طاهر بن غلبون الحلبـي (27) المتوفى بحلب لعشر مضين من ذي القعـدة سنـة 399 هجرية .

5 ـ سكتــة = وقفــة خفيفــة (28) .
6 ـ سكتــة = وقيفــة (29) .
7 ـ سكتــة مقللــة (30) .
8 ـ سكتــة لطيفــة (31) .
9 ـ سكتــة خفيفــة (32) .

ورغم هذا الاختلاف فى الالفاظ ، فانهم متفقون على ان السكت زمنه دون زمن الوقف .

7 ـ مــا هــو زمنــه اذن ؟

اعتقد كثير من القراء (33) ان السكت يكــون دون تنفس ؛ وهم بقولهم « دون تنفس » يشيرون الى عدم الاطالة المؤدية بالاعراض عن القراءة ؛ ومعلوم ان السكت ، ان طال ، تعدى زمن اخــراج النــفس ؛ فيصير آنذاك وقفا يوجب البسملة .

والسكت الذي يعنينا نحن الآن ، هــو ذلــك السكت الذي صار عليه الامام ورش رضي الله عنه ، وكان رحمه الله يقصد من ورائــه الفصــل بيــن السورتين . ولا شك ان السكت عند الامام ورش كان بغير تنفس ، سواء طال حتى يظن السامع أن القارىء قد نسي أو كان بمقدار اسرار البسملة أو كان اقصر من هذين الوجهين .

8 ـ الامر الثاني الذي ترتــب عن ترك البسملــة هــو الوصــل .

والوصل هو ان تصل آخر السورة المختومــة باول السورة المبتداة . قال الداني حسب ما نقلــه عنه ابن بــري (34) :

« وهذا الوجه روي لنا عن ابي مجاهد وغيره ».

الرباط : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي

---

(22) الترتيب الذي اقدمه لا يعني السكت الاول هو نوع من السكت اطول او اقصر مما يليه ؛ ولا بد ان اردنا أن نرتب السكت المقدار من مراعاة مذاهبهم فى التحقيق والحدر والتوسط حسبما تحكمه المشافهــة .
(23) قالــه أبــو العــز .
(24) وزاد أبو محمد سبط الخياط ، صاحب « كتاب المبهج » فى القراءات الثمان وقراءة ابن محيصن والاعمش وكتاب « الكفاية » قائلا : « حمزة وقتيبة يقفان وقفة يسيرة من غير مهلة » .
(25) قالــه الاشنانــي .
(26) نقــل ذلك قتيبة عن الكسائــي .
(27) صاحب كتاب « التذكرة » فى القراءات الثمان .
(28) قاله العلامة ابو محمد مكي المتوفى سنة 437 هجرية بقرطبة صاحب كتاب التبصرة فى القراءات.
(29) قاله ابو عبد الله محمد بن شريح الاشبيلي المتوفى سنة 476 هجرية باشبيلية ، صاحب كتاب الكافــي .
(30) قالــه أبو القاســم الشاطبــي .
(31) هكذا سماها الامام الداني ، وقال : « سكتة لطيفة من غير قطع » وهي سكتة حفص رضي الله عنه.
(32) قالــه ابن شريــح .
(33) ومنهم الحافــظ أبو شامــة .
(34) انظر الدرر اللوامع ، صفحة 27 .

اليلصوتيون بشمال المغرب

للأستاذ عبد القادر العافية

الاسرة اليصلوتية هي احدى الاسر العربيـــة العريقة التي سكنت شمال المغرب في وقت مبكـــر يعود الى نهاية القرن الاول الهجري .

وتذكر الوثائق أن استقرار جـــد هذه الاسرة باحدى قرى الشمال الغربي من جبال الريف كان على عهد الامير موسى بن نصير ، في خلافة الوليد ابـــن عبد الملك (86 — 96 / 705 — 715) وذلـــك في حدود سنة تسعين هجرية ، وتذكر ان جد هـــذه الاسرة كان قائدا من قواد جيش الفاتحين العـــرب وكان تحت قيادة موسى ابن نصير (88 — 98 هـ) .

وعلى هذا يكون ابتداء وجود الاسرة اليصلوتية العربية بشمال المغرب يبدأ مع استقـــرار بعـــض الفاتحين من ابناء الصحابة والتابعين بهذه المناطق .

ونظرا للدور الذي قام به افراد من هذه الاسرة في الميدان الفكري والثقافي والاصلاح الاجتماعي ...

ونظرا لنبوغ علماء اجلة وشعراء مرموقين مـــن هذه الاسرة .

ونظرا للتحريف الذي وقع في نسبة افراد من هذه الاسرة الى جدهم الذي هو (يلصو) العثماني من ذرية الصحابي الجليل عثمان بن عفان (ض) .

ونظرا لوجود افراد منها يذكرون ولا يضافون الى اسرتهم بالمرة ، او يضافون اضافة محرفة .

نظرا لذلك فانني سأحاول تقديم تعريف بهـــذه الاسرة والتنبيه على بعض افرادها الذين لا يضافون اليها ... خاصة وانه في الآونة الاخيرة اصبحت اسماء بعض الاعلام من افرادها تتناولهم بعـــض البحـــوث والدراسات أو يذكرون في الكتب التـــي تنشر او تحقـــق ...

ولا جدال ان حضارتنا وثقافتنا — عبر الاحقاب والاجيال — ساهم في بنائهما وتطورهما أفراد واسر من وطننا ، وتلك المساهمات في مجموعها هي اعمال أمة تسعى دائما وابدا للحفـــاظ على حضارتهـــا ، وعقيدتها ، وامجادها ... وتعمل في نفس الوقـــت من أجل مواصلة السير نحو الرفعة والمجد ، والتقدم والازدهـــار ...

ومن أعمال افراد امتنا يتكون تاريخنا السياسي ، والثقافي ، والفكري ، والجهادي ...

وفي كل ميدان من هذه الميادين برز افـــراد واسر ... لكننا — وبكل اسف — نجد ان مؤرخينا لم يعنوا الا بالناحية السياسية وبمظاهر منها بصفـــة خاصة . لذا فنحن في حاجة الى اعادة كتابة تاريخنا

الوطني والقاء الاضواء على جوانب شعبية وطنية ما تزال غامضة الى يومنا هذا .

وتاريخنا الوطني هو تاريخ اعمال مجموعات بشرية ورثت وخلفت خبرات ، ومهارات ، وثقافة ، وحضارة ، وعوائد ... وهذا الارث الضخم فى جميع مرافق الحياة وفى مختلف جوانبها .. هو ما يكون تاريخنا الذي هو جزء منا لا ننفصل عنه ، ولا ينفصل عنا ؛ لكنه بالرغم من ذلك فانه ما يزال مجهولا فى كثير من مرافقه وجوانبه ...

ولعله قد آن الاوان للقيام بعمل مكثف نستكشف به مختلف عوامل مقوماتنا ، واصالتنا ، ومجدنا وحضارتنا ...

وعلينا ان نبحث فى مواضيع شتى من تراثنا علنا نصادف ــ ولو من حين لآخر ــ ما نضيفه الى تاريخنا الاجتماعي ، او الفكري ، او الاقتصادي ... لان تاريخنا فقير فى مثل هذه الميادين .

هذا ولا شك ان تاريخنا الوطني عرف كثيرا من الاسر احتفظت داخل محيطها الخاص بنوع من الثقافة والسلوك جعلها تتميز ــ ولا اقول تمتاز ــ بنوع من الخبرة والمهارة يتوارثه افرادها عبر احقاب واجيال ... ولعل هذا من ابرز مميزات العصور السابقة لعصرنا الحاضر تلك العصور التي لم يكن فيها نظام الثقافة والتعليم يشبه نظامنا الحالي بل كانت فيه الاسرة تتوارث ما أتيح لها من المعرفة والخبرة فى ميدان ما من ميادين الحياة .

فكانت هناك ــ مثلا ــ اسر تشتهر بالمهارة فى ميدان الطب والصيدلة ، واخرى فى العلوم الشرعية، واخرى بالبيطرة او الموسيقى ، او التدريس او الفتيا ... وكما تشتهر اسر بعينها فى الميادين الفكرية تشتهر اسر اخرى فى ميدان الصناعات والمهارات اليدوية ...

وربما تمايزت فى ذلك حتى الاقاليم والجهات ، والمدن والقرى ... كما هو معلوم وواضح ...

ومن الاسر التي ظهر من بين افرادها علماء وادباء وكتاب وصلحاء الاسرة اليصلوتية بشمال المغرب ...

جاء فى « فوائد » الشيخ العلامة محمد الصغير (ت 1001 هـ) ابن الشيخ عبد الله الهبطي (ت 963 هـ) : « قال لي والدي ــ أي عبد الله الهبطي ــ قرات فى كتاب المنهاج المبارك (1) ... عن قبيلة الاخماس وذكر فيه بعض مناقب الولي الصالح الشيخ المبارك ابي الحسن الشاذلي ، وذكر فيه ايضا ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومنهم الشيخ البركة سيدي يلصو بالصاد المهملة ، قال هو يلصو بن مروان بن ابان بن عثمان بن عفان ، ومن ذريته سيدي (الحاج اقطران) (2) وسيدي

(1) كتاب « المنهاج المبارك » ، يبدو انه كان مؤلفا فى النسب بصفة عامة لانه مما جاء فيه حسبما سمعه محمد الهبطي من والده واثبته فى فوائده : « قرات فيه عن مجد وعظمة قبيلة بني زروال وذكر ان فيها ذرية الخلفاء الاربعة وفرعهم احسن التفريع ... » ، يقول الشيخ محمد الهبطي : « وسالته عنه ــ أي سال والده عن الكتاب المذكور ــ فقال لي : قبض الرشوة رجل من « الزاوية » ــ مدشر ــ ودفعه الى العامة فمزقوه لتختفيعلى العلماء النسبة الشريفة ... » وهكذا ضاع الكتاب لاسباب لسنا ندري بواعثها الحقيقية بالضبط .

(2) جاء فى فتح العليم الخبير لمحمد بن الصادق بنريسون (1155 ــ 1237 هـ) : « وبقبيلة الاخماس من أولياء الله تعالى المشاهير ، سيدي الحاجاقطران بهذا يعرف ويقال هو الذي غسل القطب مولانا عبد السلام » (مخ. خ. ع. بتطوان رقم : 856 ص 38 .
ويعرف اليوم بسيدي الحاج العلاني وضريحه يقام به موسم سنوي وهو قرب قرية باب تازة قرب شفشاون وعلى بعد نحو عشرين كلم . منها شرقا فى اتجاه الحسيمة وهو فى وسط قبيلة الاخماس . ويوجد فى كثير من التقاييد انالشيخ الحاج اقطران هذا هو استاذ الشيخ الاكبر مولانا عبد السلام ابن مشيش فى القراءات .

مولود ـ دفين الخزانة (3) وأولاد بن علوش (4) وأولاد مصباح (5) وسيدي عبد الوارث اليلصوتي المعروف بتي زروال (6) وسيدي مصباح الفاسي (7) وانه كان من ذرية الشيخ المبارك ستة وستون وثلاثمائة عالم كلهم من ذرية سيد يلصو وبعضهم بمدينة فاس (8) حرسها الله » (9) .

يستفاد من كلام الشيخ محمد الصغير الهبطي الذي عاش فى القرن العاشر الهجري ، ان الاسرة اليلصوتية كانت من الاسر المجيدة التي كثر بها العلماء والمثقفون والصلحاء الى درجة ان والده يقول: ـ وهو قد عاش فى النصف الاول من القرن العاشر ـ « كان بهذه الاسرة ستة وستون وثلاثمائة عالم » وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مكانة هذه الاسرة من الناحية الثقافية والفكرية ...

والاسرة اليلصوتية تحدث عنها غير واحد من كتاب القرن العاشر ، وما بعده كابن عسكر فى الدوحة، ومحمد الهبطي فى فوائده نقلا عن والده الذي قرا عنها فى « كتاب المنهاج المبارك » والذي أسف لضياع هذا الكتاب . لانه حسب تعبيره « مزقته العامة لتختفي النسبة الشريفة » (10) ، ولسنا ندري من ألف هذا الكتاب ؟ ولا متى الف ؟ ولا عمن نقل صاحبه .. ؟

ومهما يكن من شيء فكتاب القرن العاشر وما بعده أصبحوا يتناقلون عن الاسرة اليلصوتية انها من ذرية عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، ونجد هذا عند الذين ترجموا للشيخ عبد الوارث اليلصوتي (ت 971 هـ) وهم كثيرون لان الشيخ عبد الوارث هذا كان من اكابر شيوخ الصوفية فى عصره ، والذين ترجموا له او تحدثوا عنه يصفونه بالعلم والصلاح والولاية وكثرة التلاميذ ، ويذكرون له مجموعة من التآليف فى التصوف وغيره ، وبعضهم يتحدث عن علماء اجلة من ذريته ... وهم جميعا ينسبونه الى يلصو وينسبون يلصو الى عثمان بن عفان الصحابي الجليل .. وفى طليعة هؤلاء جميعا تلميذه محمد ابن عسكر الذي لازمه سبع سنين ودرس عليه عدة فنون من بينها الفية ابن سينا فى الطب (11) .

وممن تحدث عن ابي البقاء عبد الوارث اليلصوتي محمد العربي الفاسي فى مرآة المحاسن (12) وعبد

---

(3) مولود هذا تذكر التقاييد انه احد ابناء يلصو الاربعة وهو دفين (الخزانة) هي مدشر قرب باب تازة، كان معروفا سابقا بكثرة العلماء وحفاظ القرءان الكريم ، ويقول السيد محمد الصادق ابن ريسون: « وبمدشر الخزانة عين مشهورة للحفظ وذلك ان من شرب ماءها يحفظ كثيرا باذن الله تعالى ، وجل مدشر الخزانة أو كلهم يحفظون كتاب الله العزيز ... » ـ فتح العليم الخبير ـ المرجع السالف .

(4) أولاد بن علوش ، تولى أفراد من هذه الاسرة منصب القضاء بمدينة شفشاون فى فترات مختلفة جاء ذلك فى تقييد عن تاريخ شفشاون للعلامة مولاي الصادق ابن ريسون (1282 ـ 1376 هـ). مخطوط خاص .

(5) (أولاد مصباح) هم من الاسرة اليلصوتية وسنتحدث عنهم فيما بعد .

(6) الشيخ عبد الوارث اليلصوتي (888 ـ 971 هـ) ترجم له صاحب الدوحة ومن اتى بعده من المدرسة الشاذلية . وسياتي ذكره بحول الله .

(7) لعله يقصد ابا الضياء مصباح الذي تنسب اليه المدرسة المصباحية بفاس ، وسياتي الحديث عنه .

(8) ترجم صاحب السلوة لعدد منهم بالجزء الاول.

(9) « فوائد محمد الهبطي » مخطوط خاص ، وهو عبارة عن سماعات الشيخ الهبطي من والده الشيخ عبد الله فى مواضيع مختلفة ، وخاصة فيما يتعلق بالانساب والاسر بجبال غمارة . والشيخ محمد الهبطي الصغير توفي سنة 1001 هـ ترجم له صاحب الصفوة ـ الافراني ـ ص 86 والشيخ ابن عجيبة فى ازهار البستان ص 145 (مخ. خ. م. ر. رقم: 583 . والقادري فى نشر المثاني : 1 : 18 و 19 .

(10) فوائد محمد الهبطي السالف الذكر .

(11) الدوحة : ص 6 : ط. فاسية .

(12) مرآة المحاسن : 210 ط. حجرية فاسية .

الرحمن الفاسي فى ابتهاج القلوب (13) والمهدي الفاسي فى ممتع الاسماع (14) والحضيكي فى الطبقات (15) وغيرهم .

ويلصو الذي هو الجد الاعلى للاسرة اليلصوتية يجعله الذين يتحدثون عن ذريته حفيدا لابان بن عثمان ابن عفان الا انهم يختلفون فى ابيه فهو عند ابن عسكر فى الدوحة : يلصو بن عبد الله بن ابان بن عثمان . وهو فى كثير من التقاييد التي عثرت عليها يلصو بن محمد بن ابان بن عثمان ، وهو فى فوائد محمد الهيطي يلصو بن مروان بن ابان بن عثمان ...

وورد الشيخ النسابة الشريف العلمي سليمان الحوات (ت 1234 هـ) فى كتابه « الروضة المقصودة » على ابن عسكر الذي جعل يلصو ابن عبد الله ، رد عليه قائلا : « ... قال بلدينا الرئيس الضابط ابو عبد الله محمد ابن عسكر الشريفي فى الدوحة : انه ينتسب الى مولانا ابى عمر وعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو خطأ صراح اذ ليس فى بني ابان من اسمه عبد الله اصلا ... » (16)

اما الشاعر الاديب العلامة ابو الحسن علي مصباح اليلصوتي الزرويلي (ت 1135 هـ) فيقول عن اسرته اليلصوتية ما يلي : ـ وذلك عند ما عرف بنفسه فى كتابه القيم « سنى المهتدي فى مفاخر الوزير الاحمدي » (*)

يقول : « علي بن احمد بن قاسم بن موسى ، عرف بمصباح الزرويلي مولدا ومنشئا ودارا ، والزرويلي نسبة الى بني زرويل ، وزرويل هذا اشتهر عند الناس ـ والله اعلم بصحته ـ انه ابن يلصو بفتح المثناة التحية ، وسكون اللام ، وضم المهملة بعدها واو ساكنة ، وكأنه اسم اعجمي ، وهو يلصو ابن عبد الله ، وقيل (*) بن محمد بن ابان بن عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، ويلصو هذا هو الدفين بين قبيلة الاخماس وقبيلة بني زجل من جبال غمارة وقبره معروف مشهور يزار الى اليوم وعليه سوق للنساء يجتمع عليه نساء تلك النواحي يوم الجمعة يبعن فيه ويشترين من قديم الى اليوم ، وتحفظ عن هذا السيد مناقب كثيرة متداولة بين الناس .

ان اولاد مصباح القاطنين ببني زرويل المذكورة من ذرية هذا السيد الجليل رضي الله عنه ، وينتسب جل بني زرويل الى ذريته ، والله اعلم بصحة هذا كله سمعناه فقط ، ولم نره عند احد من الائمة الموثوق بهم ، غير اني رايت فى بعض التقاييد ما نصه : يلصو بن محمد بن ابان بن عثمان ، دفين جبال غمارة ، قبره معروف هنالك ، ولما مات ترك اربعة من البنين : احدهم زرويل ، وثانيهم مولود ، وثالثهم وطلي ، ورابعهم يزيد ، ابناء يلصو ، واليه تنتسب هذه المداشر المعروفة فى قبيلة الاخماس ، وهي : بنو زرويل ، ومولود ، ووطلي ، ويزيد ... » (17) .

هذا هو نص كلام الاديب ابي الحسن مصباح الزرويلي ، وهو كلام عالم ثقة ، به كثير من الدقة والصدق ونبل العلماء . فهو قد ضبط لنا اسم يلصو ضبطا دقيقا ، وحكى لنا الخلاف فى نسبته الى ابان . واخيرا اتى بنص التقييد الذي وجده عن يلصو وذريته ... واعطانا صورة عن سوق النساء الذي كان خاصا بهن للبيع والشراء كل يوم جمعة ... فهو نص يحمل سمات الصدق والصراحة والنبل خاصة وانه صادر من احد اعلام هذه الاسرة المجيدة .

---

(13) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : 326 ك ص : 297 .

(14) ممتع الاسماع طبعة حجرية فاسية ، ص 73 و 74 .

(15) ويسميه الحضيكي فى طبقاته بعبد الوارث اليطوتي ـ كذا ـ وهو خطأ ، ويقول : اصله من بني يصلو ـ كذا ـ ولعله من هنا جاء خطأ من كتبه كذلك ، انظر طبقات الحضيكي حرف العين مخ. خ. ع. رقم 2328 ك .

(16) « الروضة المقصودة فى مآثر بني سودة » ، مصورة بالمكتبة الملكية وتحمل رقم : 923 10 ص : 154 .

(17) « سنى المهتدي فى مفاخر الوزير الاحمدي » مخ. م. م. ر. رقم 526 . هذا ومن المؤسف انه مع كل هذا الضبط لكلمة يلصو نرى اليوم وخاصة فى الكتب التي اعيد طبعها او طبعت من جديد ان اليلصوتي اصبحت فى هذه الكتب (اليصلوتي) ـ كذا ـ بتقديم الصاد على اللام ، وبعضهم يشبع الياء بألف ممدودة وهذا اقل خطأ من قلب الكلمة بالمرة ، ولا شك ان ذلك يسبب فى لبس وغموض وارتباك . الشيء الذي يجعل افراد هذه الاسرة ينسبون الى غير اسرتهم .

وعن يلصو هذا يقول العلامة الاديب الوزير محمد بن الصادق بن ريسون النسابة (18) ما نصه « ... وبها ـ اى بقبيلة الاخماس ـ الولي الاشهر والعلم الاطهر سيدي يلصو حفيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ※ ذي النورين وصهر النبي صلى الله عليه وسلم مرتين أمير المؤمنين ابي عمرو وسيدنا عثمان بن عفان ، واليه ينسب اليلصوتيون كلهم ، وقد قدم رضي الله عنه ونفعنا به مع موسى ابن نصير ، ومنها ايضا العلامة الاديب الشاعر المفلق ابو الحسن سيدي علي مصباح مؤلف « انس السمير فى مهاجاة الفرزدق وجرير » وغيره ، ورايت اصل مبيضته بخطه رحمه الله ... وعلماء بني مصباح وقضاتها المحققون كلهم منها ، ومنها العلامة القدوه الصالح الصوفي ابو عبد الله سيدي محمد بن حيون شارح الصلاة المشيشية المتوفى (1180 هـ) ... (19)

وتحدث كذلك عن هذه الاسرة العلامة النقيب الاديب سليمان الحوات الشفشاوني فقال أثناء حديثه عن سيدي محمد بن سعادة الخمسي (※) المتوفى سنة (1157 هـ) ما يلي : « ... وهي ـ اي قبيلة الاخماس ـ لعمري قبيلة مباركة طيبة ، انتجت جماعة وافرة من الاولياء والصالحين والعلماء العاملين

نزل بها فى عام التسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان الاموي زمن قدوم موسى ابن نصير على المغرب سيدنا ابو اليمن يالصو الاموي القريشي. وكان رجلا صالحا من خيار السلف واتخذها داره حتى لقي الله ، وبقي بها عقبه ، وهم الى اليوم منتشرون وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلة من شفشاون نفع الله به فكان معجزة تلك القبيلة ، ومظهر المجد فيها ، ومطلع أقمار العربية القريشية حتى صارت تنسب اليه فيقال لها القبيلة اليلصوتية ... » (20) .

وهكذا نلاحظ ان اشهر النسابين والنقباء المتاخرين يؤكدون أن يلصو هو من ذرية الصحابي الجليل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه (21) .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد ونحن نتحدث عن الاسرة اليلصوتية هو أن الشيخ النسابة التهامي بن رحمون فى كتابه « شذور الذهب فى خير نسب » (22) عند ما تعرض للحديث عن يلصو العثماني وعن نسبه ، جعل ان ام ابان بن عثمان هي رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مخالف لما عند المؤرخين والنسابين ، يقول ابن قتيبة فى كتابه « المعارف » اثناء حديثه عن رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم « ... وماتت بها ـ اي بالمدينة ـ بعد مقدمه ـ يعني النبي صلى الله عليه وسلم ـ بسنة وعشرة اشهر وعشرين يوما ، وولدت لعثمان عبد الله ، وهلك صبيا لم يجاوز ست سنين وكان نقره ديك فى عينه فمات ... » (23)

ويقول العلامة أبو محمد ابن حزم فى كتابه « جمهرة انساب العرب » أثناء حديثه عن الفرع العثماني الاموي ما نصه : « وولد عفان عثمان ـ امير المؤمنين ـ رضي الله عنه ، لا عقب لعفان الا من قبل

(18) كان له اعتبار وحظوة عند السلطان محمد بن عبد الله وهو الذي اسند اليه القيام بتدوين النسب العلمي وتوفي رحمه الله 1237 هـ .

(19) فتح العليم الخبير لمحمد بن الصادق بن ريسون السالف الذكر مخ. م. ع. ت : 856 ص : 35 واسم الكتاب الكامل : « فتح العليم الخبير فى تهذيب النسب العلمي بأمر الامير » .

(※) كون السيد يلصو هو حفيد النبي (ص) تاثر هنا المؤلف بالتهامي بن رحمون كما سياتي .

(※) محمد بن سعادة الخمسي تحدث عنه صاحب فتح العليم الخبير ص 34 ، وسليمان الحوات فى الروضة المقصودة ص : 153 .

(20) الروضة المقصودة ونفس الصفحة .

(21) قتل رضي الله عنه فى الفتنة الكبرى يوم الدار فى 12 ذي الحجة سنة 35 هـ ، انظر ترجمته فى الاستيعاب لابن عبد البر حرف العين ، والاصابة لابن حجر ج 2 : 462 . ط. السعادة بمصر سنة 1328 هـ .

(22) « شذور الذهب فى خير نسب » مخطوط خاص : ص 55 .

(23) كتاب المعارف لابن قتيبة ص 62 ـ ط. 2 ـ 1970 ـ دار احياء التراث ـ بيروت ، بتعليق وتصحيح ومراجعة الاستاذ محمد اسماعيل عبد الله الضاوي .

عثمان رضي الله عنه ، فولد عثمان بن عفان عبد الله الاكبر ، امه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مات صغيرا وله ست سنين ، وعبد الله الاصغر وخالد ، وعبد الملك لم يعقبوا ، وعمرو ،عمر ، وابان، والوليد ، يكنى ابا الجهم ، وسعيد ، واعقبوا كلهم ... » (24) .

ونلاحظ ان ابن حزم اكد موت عبد الله بن رقية وهو في السادسة من عمره ، ثم ذكر جميع ابناء عثمان سواء الذين عقبوا منهم او الذين لم يعقبوا ، وذكر من بين الذين عقبوا أبان ابن عثمان الذي تنتسب اليه الاسرة اليلصوتية .

وفي أبان ابن عثمان هذا يقول ابن قتيبة : « فأما ابان بن عثمان فشهد الجمل مع عائشة وكانت امه بنت جندب بن عمرو بن حممة الدوسي ... وهي ام عمرو بن عثمان ايضا ... » (25) .

وبهذا يتضح ان ما قاله ابن رحمون في شذور الذهب (26) لا اساس له من الصحة بتاتا ، لان رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ـ حسبما يذكره كتاب السيرة والنسابون ـ لم تلد مع عثمان الا عبد الله الذي مات صغيرا بنقرة ديك وهو لم يجاوز السنة السادسة من عمره ، ويحدثنا كتاب السيرة عن رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم أنها هاجرت هجرتين مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه : الاولى الى الحبشة ، والثانية الى المدينة المنورة ، وبذلك تلقب ـ بذات الهجرتين ـ ورقية وعثمان كانا اجمل زوجين وابهاهما في قريش ، وقد اشتد مرض رقية رضي الله عنها والمسلمون بالمدينة يتأهبون لخوض معركة بدر الكبرى وتخلف عثمان لتمريضها باذن من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذلك عد من البدريين وضرب له (ص) معهم بسهم (27) وتوفيت رقية بعد نهاية المعركة في السنة الثانية من الهجرة .

وابان ابن عثمان هو : « ابو سعيد او ابو عبد الله المدني اخذ عن أبيه ، وعن زيد بن ثابت ، واخذ عنه ابنه عبد الرحمن ، والزهري ، وابو الزناد ، قال القسطان فقهاء المدينة عشرة منهم ابان ، وقال العجلي ثقة ، وقال خليفة مات سنة خمس ومائة ... » (28) .

وعن ابان هذا يقول ابن قتيبة : « وعقبه كثير منهم عبد الرحمن بن ابان وكان عابدا مجتهدا يحمل عنه الحديث ... » (29) ولم يسم غيره من الابناء . وقال عنه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ما يلي : « وولد ابان بن عثمان : سعيد ، وعبد الرحمن ، وعمرو ، ومروان ، وعمر » (30) .

---

(24) ابن حزم (384 ـ 456) جمهرة أنساب العرب ط. دار المعارف بمصر سنة 1962 م بتحقيق وتعليق محمد عبد السلام هارون ص : 83 .

(25) (المعارف) لابن قتيبة ص 86 .

(26) ابن رحمون التهامي أحد علماء مدينة تطوان كان يزاول مهنة العدالة سنة 1143 هـ . وهو صاحب تقاييد وكتب في النسب ، له : شذور الذهب في خير نسب ، وله : « الانجم الزاهرة في الذرية الطاهرة » ـ في النسب العلمي قال عنه محمد بن الصادق بن ريسون في فتح العليم الخبير وهو يتحدث عن النسب العلمي : « ومنهم بمدينة تطوان اولاد الفقيه العدل النسابة سيدي التهامي بن رحمون » (مخ. م. ع. بتطوان رقم 856) ـ ص : 82) .
وذكره الاستاذ محمد داود في تاريخ تطوان بمناسبة نقله بخط يده لتقييده لمحمد العربي الفاسي صاحب مرآة المحاسن ، انظر المجلد 1 ص : 95 وغيرها .

(27) انظر السيرة لابن اسحاق اثناء الحديث عنالهجرة الى الحبشة والحديث عن غزوة بدر ، وانظر الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة عثمان ابن عفان .
وانظر بنات النبي للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ص : 95 ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت 1963 م .

(28) عن كتابه خلاصة (تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للامام الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الانصاري المتوفى بعد سنة 923 هـ ـ ط. الاولى ـ الميرية سنة 1301 هـ.

(29) المعارف لابن قتيبة ، ص : 87 ، ونقل بعضهم أن ابان توفي سنة 86 هـ . الابحاث السامية 143:2

(30) جمهرة أنساب العرب ، ص : 85 ط. دار المعارف بمصر 1962 .

ونستخلص من هذه الاقوال جميعا ان ابان بن عثمان الذي ينتسب اليه اليلصوتيون (عقبه كثير) كما قال ابن قتيبة ، لكن ابن حزم الذي تحدث عن ابناء أبان لم يذكر من بينهم من اسمه (عبد الله) ولا من اسمه (محمد) الا ان العلامة صفي الدين الخزرجي يقول : « ان كنية أبان هي : (ابو سعيد) او (أو ابو عبد الله) ومعلوم ان (سعيد) هو من ابناء ابان ، اما (عبد الله) فلم يذكره ابن حزم من بينهم ، ويحتمل ان يكون كني به على وجه التشريف فقط .

ولقد لاحظنا من قبل ان النسابة المتأخرون اختلفوا في الحاق يلصو بأبان فمنهم من جعل يلصو ابن عبد الله بن ابان ، وهذا رده سليمان الحوات كما سلف ، ومنهم من جعله ابن محمد بن أبان ، وحكاه ابو الحسن الزرويلي اليلصوتي بصيغة التمريض : « وقيل ابن محمد » .

اما العلامة محمد الصغير الهبطي فقد نقل عن والده الذي اخبره بما قراه في كتاب (المنهاج المبارك) ان يلصو هو ابن مروان بن ابان بن عثمان ، ولقد رأينا من قبل ان ابن حزم ذكر من بين ابناء ابان من اسمه مروان .

وعلى هذا قد يكون يلصو من ابناء مروان بن ابان كما ذكره الشيخ عبد الله الهبطي نقلا من كتاب (المنهاج المبارك) .

ومهما يكن من امر فان الاسرة اليلصوتية بشمال المغرب قد ساهمت مساهمة فعالة في الميدان الثقافي والميدان الفكري ... واشتهرت بجبال غمارة شهرة ذائعة الصيت ، وذلك لكثرة علمائها وفقهائها وقضاتها ... ولقد اشار العلامة ابو الحسن الشاعر على مصباح الزرويلي اليلصوتي الى ان الاسرة اليلصوتية تفرعت الى عدة فروع وتكونت منها عدة مداشر وفرق بالاخماس السفلى على مقربة من مدينة شفشاون ، ولقد رأينا من قبل ان قبيلة الاخماس (31) برمتها تنتسب الى يلصو « فيقال لها القبيلة اليلصوتية » حسبما اثبت ذلك النقيب النسابة سليمان الحوات العلمي .

وبعد هذه الجولة في بعض المراجع والمصادر التي تحدثت عن الاسرة اليلصوتية يجدر بنا ان نتعرف على بعض الشخصيات من هذه الاسرة ممن لم يهملهم التسجيل اهمالا تاما ، ـ وياما اقل هؤلاء ـ بالنسبة للذين لم نجد عنهم ـ بعد ـ قليلا ولا كثيرا ، اما الذين تناولتهم بعض الكتب بالذكر فسنكتفي بالاشارة الى المضان التي ذكروا فيها فقط ؛ لان الترجمة لكل واحد منهم سوف تجعلنا امام مؤلف ضخم ـ وهذا غير مقصود الآن ـ

---

(31) قبيلة الاخماس تنقسم الى قسمين : الاخماس العليا ، والاخماس السفلى ، وهي من اقليم شفشاون ، وتحيط بهذه المدينة من الجنوب والشرق . وبالاخماس العليا يوجد مسجد الشرافات الذي ينسب تأسيسه الى طارق بن زياد حسبما ذكره ابن عسكر في الدوحة .
وبالاخماس السفلى يوجد ضريح القائد المجاهد يلصو الاموي جد الاسرة اليلصوتية ، وكل من الاخماس السفلى والعليا يتفرع الى مجموعة من الفرق والمداشر والقرى الآهلة بالسكان .
وتشتهر قبيلة الاخماس بأنها قبيلة الشيخين : الشيخ ابي الحسن الشاذلي (ت 656 هـ) صاحب الطريقة الشاذلية المنتشرة في انحاء العالم الاسلامي ، والشيخ ابي الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي (ت 750 هـ) شيخ الجبل والجماعة في عصره .
وتمر بالاخماس السفلى الطريق الرابطة بين شفشاون ووزان ففاس ... وتمر بالاخماس العليا الطريق الرابطة بين شفشاون والحسيمة والاقليم الذي تقع فيه الاخماس بقسميها هو مما كان يدعى سابقا بجبال غمارة ، اما اليوم فغمارة تقتصر على قبائل معينة ليس في ضمنها الاخماس ، وجبال غمارة منذ امد غير قصير كانت تضرب الرقم القياسي في كثرة العلماء وحفاظ القرءان الكريم ، وفي كثرة القراء والمتضلعين في علوم القرءان وقراءاته ..
وهذه المنطقة برمتها تشكل القسم الغربي من جبال الريف .
ومعظم سكان الاخماس ينتمون في أصلهم الى صنهاجة الذين امتزجوا بكثير من العناصر العربية ، بينما سكان قبائل غمارة القريبة من الساحل ينتمون في معظمهم الى مصمودة وهم كذلك قد امتزجوا بالعناصر العربية وبكثير من العناصر الاندلسية بصفة خاصة .

فمن اشهر افراد الاسرة اليلصوتية :

1 ـ الشيخ العلامة فريد عصره ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق اليلصوتي الزرويلي وقد عرف بالصغير بفتح الغين وكسر الياء المشددة ؛ وقد ترجم له غير واحد من الفقهاء وكتاب التراجم واصحاب الطبقات ؛ لانه حظي في عصره بشهرة ذائعة الصيت وذلك لما كان يتمتع به من مواهب ومعرفة واطلاع واسع الى قوة في الشخصية وحدة في الذكاء وصرامة في الحق .

ويجمع الذين ترجموا له : على غزارة علمه ، وقوة شخصيته مع صرامة في الحق لا تلين ... كل هذا الى جمال في الهندام واناقة في الملبس ، والذين ترجموا له ، هم كثيرون جدا ابتداء من ابن الخطيب (713 ـ 776 هـ) في الاحاطة ، الى عصرنا الحاضر ، ومن الذين ترجموا له في السنوات الاخيرة الاستاذ الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه القيم (جامع القرويين) حيث خصه بترجمة جامعة .

ومما جاء في هذه الترجمة : « ابو الحسن الصغير (719 هـ / 1319 م) القاضي السفير ابو الحسن علي بن محمد الزرويلي المعروف بالصغير كان فقيها مالكيا قيما على تهذيب ابن البراذعي حفظا وفهما الى قوة عارضة في الحفظ والاستظهار وهو صاحب التقييد على المدونة الذي كمله ابن غازي كان يفتح في مجلسه ما ينيف على الثمانين ديوانا ولي قضاء فاس ايام سليمان حفيد يعقوب ـ اي المنصور المريني ـ وهو سفيره ايضا الى الاندلس وقد عرف باختيار الثياب البيض الانيقة شأن القضاة والعلماء ... »(32) واهم ما في هذه الترجمة هو ان مؤلف كتاب (جامع القرويين) ذيلها بمجموعة هامة من المصادر والمراجع عن شخصية ابي الحسن الصغير(33) .

ويطول بنا المقام لو اردنا استعراض ما قيل عن ابي الحسن الزرويلي هذا خاصة وانه قد تحدث عنه الاعلام الكبار مثل لسان الدين ابن الخطيب في الاحاطة ، والامام ابن غازي في تعليقاته على المدونة ، والامام احمد الونشريسي في نوازله ، وفي وفياته ؛ والعلامة احمد المقري في ازهار الرياض وغيرهم (34)

وفي نهاية هذا التعريف الموجز بابي الحسن الزرويلي ننقل عن صاحب (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية) ما نصه : « القاضي ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي ... الشيخ الامام العمدة الهمام الجامع بين العلم والعمل ، المبرز الاعدل ، ومقامه في التحقيق والتحصيل يضرب به المثل ، كان اليه المفزع في المشكلات والفتوى ، حفظ كتاب الفصيح في ليلة واحدة ؛ اخذ عن جلة : منهم راشد ابن ابي راشد ، وعليه اعتماده وانتفع به ، وعن صهره ابي الحسن بن سليمان ، وابن مسطر الاعرج ، وعن جماعة منهم عبد العزيز الغوري قيد عنه تقييدا على المدونة ، وهو من احسن التقاييد واصحها ، وعلي بن عبد الرحمن اليفرني عرف بالطنجي ، ومحمد ابن سليمان السطي ، وابو سالم ابراهيم الشولي الشهير بابن ابي يحيى ، والقاضي ابو البركات المعروف بابن الحاج قيد عنه تقاييد على التهذيب ، والرسالة ، وله فتاوي قيدها عنه تلامذته ، توفي سنة 719 هـ وعمره نحو المائة والعشرين عاما» هذا ولقد كان السلطان ابو سعيد المريني يحضر مجلس ابي الحسن كما كان يحضره الامراء وعلية القوم .

والحقيقة ان ابا الحسن الزرويلي هذا يعد بحق من اكابر فقهاء المالكية في القرن السابع الهجري ، ولقد عاش حياة حافلة بالدرس والتحصيل ، وخلف مجموعة من التلاميذ ، تعد في طليعة شيوخ القرن الثامن الهجري ، وبذلك عد من اكابر الائمة وشيوخ الجيل في عصرهم فرحم الله ابا الحسن الزرويلي اليلصوتي الذي كان مفخرة من مفاخر المغرب ، واماما من اكابر ائمة الفقه المالكي بالجناح الغربي من العالم الاسلامي .

2 ـ الشيخ العلامة ابو الضياء مصباح (750 هـ / 1349 م) .

---

(32) كتاب جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي ج 2 ص 484 .
(33) نفس المرجع .
(34) انظر : الجذوة : ط. دار المنصور : 2 : 472 . الديباج : 2 : 21 . شجرة النور : 215 ط. 1349 هـ . ازهار الرياض : 3 : 23 . الاستقصا : 3 : 178 . النبوغ المغربي ص : 204 . درة الحجال : 243 ط. مصر . الاعلام للزركلي : 5 : 156 . وغيرها .

هذه شخصية ثانية من الاسرة اليلصوتية وهي من الشخصيات التي كان لها صدى في الميدان الفكري ببلادنا ، فابو الضياء مصباح اشتغل بالافتاء والتدريس لمدة من الزمن بمدينة فاس ، وتولى التدريس بمدرسة « الخصة » فنسبت اليه هذه المدرسة وعرفت به ، وحملت اسم المدرسة المصباحية منذ توليه التدريس بها (35) .

وارخ وفاته كل من الشيخ محمد بن غازي و ابن القنفذ ، وابن القاضي — في وفياتهم — وترجم له صاحب (نيل الابتهاج) ، وابن القاضي في الجذوة ، والدرة ، وصاحب السلوة ، والدكتور عبد الهادي التازي في كتابه (جامع القرويين) وغيرهم .
ويطول بنا الحديث لو نحن تعرضنا لترجمته بتفصيل ، وساكتفي بالاشارة الى اهم المصادر التي تحدثت عنه (36) .

3 — ومن افراد هذه الاسرة : ابو زيد عبد الرحمن ابن الخطيب (ت 990 هـ / 1582 م) الشاعر الهجاء الذي سكن شفشاون ونسب اليها ، فيقال فيه : الشاعر الشفشاوني واحيانا يقال عنه الشاعر الزرويلي ، ترجم له ابن القاضي في الدرة ، والجذوة ، واتى له ببعض الابيات في الهجو (37) .

وهذا الشاعر المطبوع نسجل هنا — بكل اسف — ضياع شعره ، بحيث لم تبق منه الا نتف يسيرة تدل على شاعريته ، وذلاقة لسانه ، وعلى قدرة تصويره لهجوه تصويرا يبعث على السخرية والضحك ...
ومن شعره الخفيف الروح في وصف حالته النفسية وهو يعيش في مراكش الابيات التالية :

ما كان ظني وحق الله فرقتكم
لو أن مراكشا كانت تواتيني

أظل في نصب مما أكابد من
نفض الغبار وطرد الذبابين

وطول ليلي في كد وفي تعب
ما بين بق وناموس يناغيني

أبيت أحرس فرشي من عقاربها
والقلب في فكر منها وتخمين

اذا رأيت سوادا مربي وأتى
ظننتها عقربا دبت لتوذيني

لم يبق في الفم ضرس أستعد به
افناه مضغ الحصى من ذي الطواحين

منوا علي باطلاقي بفضلكم
هذا العجاج بها قد كاد يعميني

لم يبق في الكيس فلس استعين به
افنيت مالي في غسل وتصبين(38)

فهذه الابيات تعبر تعبيرا فنيا عن قلق الشاعر، وعن نفسه المضطربة اكثر مما تعبر عن هجو المحيط الذي يكاد يختنق فيه الشاعر اختناقا .

4 — الشيخ ابو البقاء عبد الوارث اليلصوتي (ت 971 هـ / 1563 م) .

وهو من اكابر شيوخ العلم وشيوخ التربية الصوفية . ولقد حظي هذا السيد بكثرة المترجمين له ابتداء من صاحب الدوحة — الذي تتلمذ عليه لمدة

---

(35) شيد ابو الحسن المريني (752 هـ / 1351 م) مدرسة الرخام ويقال لها ايضا مدرسة الخصة سنة : 747 هـ / 1346 م ، وكان اول من تولى التدريس بها هو ابو الضياء مصباح فنسبت اليه واصبحت تعرف بالمدرسة المصباحية ، و (الخصة) هذه المدرسة من الرخام مستطيلة الشكل 3,20 م x 105 م نقلت من المرية بالاندلس عن طريق البحر الى العرائش أولا، ثم الى فاس ، انظر : جني زهر الآس ص : 37 ، والاستقصا : 3 : 176 . و (جامع القرويين) د. عبد الهادي التازي : 2 : 359 .

(36) انظر : الف سنة من الوفيات : 77 و 102 و 115 . نيل الابتهاج : 344 . الدرة : 3 : 17 ط. مصر . الجذوة : 2 : 336 ط. المنصور . جامع القرويين 2 : 491 .

(37) الجذوة : 2 : 413 . الدرة : 3 : 98 ، ط. القاهرة 1970 .

(38) جذوة الاقتباس ، نفس المصدر السابق .

سبع سنين ودرس عليه فنونا مختلفة – الى عصرنا الحاضر (39) .

وابو البقاء هذا تحدث عنـه بالاضافـة الى المترجمين لاعلام الطريقة الشاذلية ، تحدث عنـه بعض الفقهاء كأحمد ابن عرضون فى كتابـه مقنـع المحتاج فى ادب الازواج (40) حيث يصفه : بالسيد الجليل القدروبانه ممن كان له اثر فعال فى ميـدان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتى له ببعـض المنظومات فى هذا المجال .. (41)

5 – ابو الحسن علي مصباح الشاعر الزرويلي اليلصوتي (ت : 1150 هـ) .

ابو الحسن هذا اشتهر بديوانه الشعري ، كما اشتهر ببعض مؤلفاته الدالة على تضلعه فى اللغـة العربية وعلى معرفة كنهها واسرارها ، واساليـب بلاغتها ، ومن مؤلفاته : « انس السمير فى مهاجاة الفرزدق وجرير » و « سنى المهتـدي فى مفاخـر الوزير الاحمدي » بالاضافة الى ديوانه المشار اليه سالفـا .. (42)

ولقد ترجم لنفسه فى خاتمة كتابه « سنـى المهتدي » (43) ويعد ابو الحسن هذا بحق من ابرز ادباء اواخر القرن الحادي عشر الهجري واوائـل الثاني عشر .

6 – الشيخ محمد بن حماد اليلصوتي (مـن علماء اواخر القرن التاسع واوائل العاشر) نقل بعض فتاويه ابو الحسن علي العلمي فى نوازله المعروفـة (بنوازل العلمي) وهذه الفتاوي نقلها « العلمي » عن نوازل الحسن ابن عرضون الزجلي – والـد محمد واحمد ابني عرضون الذين تناولنا الحديث عنهما فى بعض المناسبات – (44) ، ومن فتاويه ما جاء مثـلا فى (باب مسائل الوصايا والاوصياء) حيث افتى بان المالك اذا لم يكن له وارث او ورثة محققون ، فماله هو لبيت مال المسلمين ، وللقراء ، والمساجد ولسد الثغـور (45) .

7 – ابو علي الحسين الزرويلي (الذي كـان حيا فى اواخر القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشـر) .

يقول عنه العلامة الشيخ احمد المقري فى كتابه ازهار الرياض ما يلي : « وافادني الشيخ العـارف المتبتل الرباني البركة سيدي حسين الزرويلي ابقى الله بركته وادام النفع به ، ان القاضي عياض لما دخل الحضرة الفاسية – حاطها الله – نـزل بدار ابـن الفرديس التغليبي بزنقة حجامة حسبما اشار اليـه ابن الاحمر ، ولم تزل هذه الدار الى الآن بيد أولاد أبن الفرديـس ... » (46) .

8 – ابو الحسن علـي بن محمد اليلصوتـي (ت حوالي 1060 هـ) .

قال عنه صاحب السلوة هو من عقب الشيـخ عبد الوارث اليلصوتي وهو دفين فاس (47) .

---

(39) انظر الدوحة ص : 5 ، ط. فاسية . والمرآة ص : 210 . وابتهاج القلوب – 326 ك (مخ. خ. ع. ر.) ص : 297 . المتع ، ص : 73 و (قبيلة بني زروال) ص : 54 .
(40) مختصر المقنع ، (مخ. خ. ع.) تطوان رقمـه : 593 ص : 213 .
(41) نـفس المرجـع .
(42) انظر : فتح العليم الخبير (مخ : خ. ع. ت. رقم : 856) ص : 35 . وبحث للاستاذ سعيـد اعراب عن (مسجد موسى بن نصير) : مجلة دعوة الحـق – السنـة 8 – ع : 7 – ص : 90 . وترجم له الاستاذ عبد الله كنون فى النبوغ : 315 ، ط. 2 .
(43) توجد نسخة من هذا الكتـاب فى المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم : 596 ، والكتاب يتحدث عن وزير المولى اسماعيل العلوي ، الوزير الاحمدي ، وعن المراسلات بين الشاعر وبين هذا الوزير وهو كتاب لطيف فى موضوعه ، وبنفس المكتبةنسخة ثانية من هذا الكتاب فى غاية الجودة والاناقة .
(44) مثل ترجمة محمد ابن عرضون فى مجلة دعوة الحق – السنة 18 – العدد : 10 ، ومجلة البحث العلمي – العدد : 27 ، ص : 395 .
(45) نـوازل العلمـي ج : 2 : 460 .
(46) ازهار الرياض : ج : 1 ، ص : 24 ط. مصر .
(47) سلـوة الانفـاس ج : 1 : 222 .

9 ـ ابو محمد عبد الوارث اليلصوتي الصغير (ت 1076 هـ /) .

قال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في السلوة : « نجل الاولياء الابرار ابو محمد سيدي عبد الوارث ابن سيدي محمد الولي بن سيدي احمد بن سيدي محمد ابن الولي الكبير الشيخ العارف بالله ابي البقاء سيدي عبد الوارث بن عبد الله او بن موسى الاموي القرشي ... » .

وبعد ما نسبه الى يلصو قال : « وكان لصاحب الترجمة زاوية بناها قرب داره بزقاق الحجر يجتمع فيها أصحابه ... » (48) .

10 ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن حيون (ت 1180 هـ /)

لقد كان هذا الشيخ من العلماء الاجلة واشتغل بالتدريس والفتيا وتضلع في علوم التصوف وله شرح على الصلاة المشيشية للشيخ الاكبر عبد السلام بن مشيش ولازم الزاوية الريسونية بتازروت لمدة من الزمن ، وبها توفي ودفن سنة 1180 هـ (49) .

ومن هذه الاسرة :

11 ـ الفقيه القاضي ابو الحسن علي بن الفقيه القاضي ابي محمد عبد الواحد بن حسون اليلصوتي ثم الجافني وهذا الشخص تحدث عنه ابن عسكر مرتين : اولا في ترجمة (عبد الله الورياجلي) . ومرة ثانية في ترجمة (ابن يجبش التازي) ففي المرة الاولى ذكر ابن عسكر انه أعطاه تعريفا بالعلامة الورياجلي ، وفي الثانية ، ذكر ابن عسكر انه أخذ عن ابن يجبش بواسطة الشيخين : عبد الله الهبطي ، والشيخ ابي الحسن علي القاضي ابن القاضي اليلصوتي الجافني ، (والجافني) نسبة الى بني (جافن) (بجيم ، وألف وفاء ، ونون) .

وهي احدى فرق الاخماس السفلى واصبحت هذه الكلمة في نسخ الدوحة هكذا : (الجانفي) بتقديم النون على الفاء كما في نسخ الدوحة المطبوعة على الحجر بفاس .

اما في الطبعة الاخيرة على الحروف فأصبحت (الحانفي) (بالحاء المهملة) مع تقديم النون على الفاء كذلك ، واصبح هذا الشخص في هذه الطبعة شخصين ، وكتب مرة : (اليلصوتي) ، ومرة اخرى (اليصلوتي) .

والقصد من هذا كله هو الوصول الى معرفة ابى الحسن اليلصوتي الذي كان يشغل منصب القضاء في النصف الاول من القرن العاشر الهجري وكان أبوه قاضيا كذلك ، وهو احد شيوخ ابن عسكر صاحب الدوحة الذي يتصل بواسطته الى الشيخ ابن يجبش التازي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم (ت 920 هـ)

ومن هذا العرض لبعض الشخصيات من الاسرة اليلصوتية يتجلى ان هذه الاسرة كانت من الاسر التي نبغ منها عدد وافر من العلماء الاعلام ، لكننا ـ وبكل أسف ـ لا نستطيع اليوم التعرف على الكثير من أعلام هذه الاسرة الذين كانوا في فترة من الفترات يبلغون ثلاثمائة وستين عالما ، وسبب ذلك هو عدم التدوين ، ولا شك ان عدم التدوين جنى على كثير من مظاهر حضارتنا وثقافتنا ، بل جعلنا نجهل الكثير من الجهود التي بذلها اجدادنا واسلافنا من اجل ربط حلقات ما ضينا بمستقبلنا .

وفي ختام هذه الجولة مع بعض افراد الاسرة اليلصوتية والتعرف عليهم ، نتمنى ان تتاح لنا الفرصة لنتحدث من جديد عن بعض اعلامها بتفصيل وتوسع .

تطوان : عبد القادر العافية

---

(48) نفس المرجع ونفس الصفحة .
(49) « فتح العليم الخبير » ص : 35 . وتقاييد خاصة .

ما هي فتنة داود

للدكتور عبد الله بن الصديق

اعتمد جل المفسرين — ان لم تقل كلهم — فى تعيين فتنة داود على ما جاء فى الاسرائيليات التي اختلفت رواياتها على جهات :

1 — انه راى امراة تغتسل ، فاعجبه جمالها ، وحانت منها التفاتة فاحست ظله ، فنقضت شعرها فغطت به بدنها فزاده ذلك اعجابا بها . فسأل عنها فقيل : هي امراة اوريا وزوجها غائب ، فى غزاة بالبلقاء . فكتب داود الى امير تلك الغزاة : ان ابعث اوريا الى موضع كذا ، وقدمه قبل التابوت ، وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله عليه ، او يقتل . فبعثه وقدمه ففتح على يديه . فبعثه ثانيا وثالثا حتى استشهد . فلما انقضت عدة المراة تزوجها داود ، وهي ام سليمان .

فانزل الله ملكين قيل هما جبريل وميكائيل ، فى صورة خصمين ، يختصمان فى نعاج كتيابهما عن النساء ، فلما حكم بينهما ، تبسم احدهما للآخر وغابا ، فعلم انه المقصود . انه كان له تسع وتسعون زوجة ضم اليهن زوجة أوريا ، فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب .

وروى الحكيم الترميذي فى نوادر الاصول وابن جرير وابن ابى حاتم فى تفسيريهما من طريق ابن لهيعة عن ابي صخر عن يزيد الرقاشي عن انس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان داود عليه السلام حين نظر الى المراة ، قطع — بتشديد الطاء قصر مدة الغزو — على بني اسرائيل ، واوصى صاحب الجيش فقال : اذا حضر العدو ، فقرب فلانا بين يدي التابوت ، وكان التابوت فى ذلك الزمان ، يستنصر به ، من قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل ، او ينهزم عنه الجيش ، فقتل وتزوج المراة ونزل الملكان على داود عليه السلام ، فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه واكلت الارض جبينه .

وذكر حديثا طويلا ، قال السيوطي : سنده ضعيف ، وهذا لا يكفي . لان يزيد الرقاشي مع ضعفه ، قال عنه ابن حبان : كان يقلب كلام الحسن، فيجعله عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا تحل الرواية عنه الا على سبيل التعجب فهذا الحديث من كلام الحسن البصري اخذه من الاسرائيليات ، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم . فهو حديث موضوع .

وجاء فى حديث موضوع ايضا : ان وفدا اتوا الى النبي صلى الله عليم وسلم وفيهم غلام وضيء ، فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره . وقال : انما كانت فتنة اخي داود من النظر .

وقد وردت هذه القصة عن ابن عباس ومجاهد والحسن وابى الجلد وابي عمران الجوني والسدى

والكلبي ومقاتل ، وفى بعض رواياتها زيادات منكرة ايضـــا .

ووجد القصاص فى هذه القصة بزياداتهـــا ، مادة دسمة لترقيق قلوب العوام ، واستنزال دموعهم ، واستدرار نقودهـــم .

والعجب ان ينخدع كثيـــر من السلف بهـــذه القصة ، ويذكروها فى مواعظهم ، كما تجد ذلك فى كتاب الزهد لابن المبارك ولاحمد بن حنبل ، مع انها باطلة قطعا . وليس فى القرءان ما يدل عليها تصريحا ولا تلويحا ، ولا أتى فى حديث ثابت اشارة اليها . ولا ادري على اى اساس حشرت فى كتب التفسير ؟

2 ـ ان داود طلب من أوريـــا ان يتنازل لـــه عن زوجته حين رآها واعجبته ، فنـــزل الملكـــان ، ونبهاه بحكاية النعاج الى انه لا ينبغي له ان يفعل ذلك ، وان كان طلب التنـــازل عن الزوجـــة جائـــزا فى شريعتهم . وذلك لعظم منزلته ، وشفوف رتبته .

روى هذا عن ابن مسعود ابن عباس ايضا وابن زيد ورجحه الزمخشري فى الكشاف ، وابن العربي فى الاحكـــام .

وهذا باطل ايضا ، لانه لم يثبت ان طلب التنازل عن الزوجة كان جائزا فى تلك الشريعة ، بل المعروف عنهم : ان زواج المطلقة زنـــا .

ولان طلب الملك من احـــد رعيتـــه ، يكـــون غصبا ، وداود لا يفعل ذلك جزما ، لعصمته .

قال ابن العربي : كان ببلدنا امير يقال لـــه : سير بن ابي بكر ، فكلمته فى ان يسال لـــي رجـــلا حاجة ، فقال لي : اما علمت ان طلب السلطان الحاجة غصب لها ؟ فقلت له : اما اذا كان عدلا فلا .

لكن غاب عن ابن العربي : ان سيف الحيـــاء اشد من سيف الغصب . بل ما وسط الاميـــر فى طلب الحاجة من الرجل الا استعانة بسيف الحيـــاء الـــذي لا يقـــاوم .

3 ـ انه نرى ان مات زوجها أيتزوجها ، حكاه ابن العربي فى الاحكام . وقال : هذا لا شيء فيه ، اذ لم يعرضه للموت .

وهو باطل ايضا ، لان قصة امراة أوريا والنظر اليها ومحاولة زواجها باطلة من اصلها ، فما بنى عليها باطـــل أيضـــا .

وقد أبطل الامام الرازي تلـــك القصـــة ، فى تفسيره من عدة وجوه ، افاد فيها واجاد .

4 ـ انه حكم لاحد الخصمين ، قبل ان يسمع كلام الآخر ، حكاه ابن العربي ايضا ، وابداه الامـــام الرازي احتمالا ، وقال : لا شيء فيـــه .

قال ابن العربي : لا يجوز ذلك على الانبياء .

وقال الحليمي : انه راى فى المدعى مخايـــل الضعف والهضيمة ، فحمل امره على انه مظلوم كمـــا يقول ، فدعاه ذلك الى الا يسال المدعـــى عليـــه فاستعجل بقوله (لقد ظلمك) .

وضعفه أبو حيان ، وهو جدير بالتضعيف .

والصواب : ان فى الكلام محذوفا تقديـــره : فأقر المدعى عليه ، فقال : لقد ظلمك .

قال ابو حيان : ولكنه لم يحـــك فى القـــرءان اعتراف المدعى عليه ، لانه معلوم من الشرائع كلها ، اذ لا يحكم الحاكم الا بعد اجابة المدعى عليه .

5 ـ انه خطب المراة ، بعد خطبة أوريا لها ، فآثروه عليه ، وزوجوه بها ، فعوتب على ذلك . وهذا باطـــل أيضـــا .

وقد قيل فى فتنة داود غير هذا ، مما لا اصل لـــه .

قال ابن كثير فى تفسيره : قد ذكر المفســرون ههنا قصة أكثرها ماخوذ من الاسرائيليات ، ولـــم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه . ولكن روى ابن ابى حاتم هنا ، حديثا لا يصح سنده . لانه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه . ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الائمة ، فالاولى ان يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وان يرد علمها الى الله عز وجل فان القرءان حق وما تضمن فهو حق ايضا اهـ .

وقال ابو حيان : ذكر المفسرون فى هذه القصة اشياء لا تناسب مناصب الانبياء ، ضربنا عن ذكرها صفحا اهـ .

وعندي مسلك آخر يدل على بطلان ما ذكره المفسرون .

وهو مراعاة السياق ، وهو مسلك مهم ، يجب على المفسر أن يجعله نصب عينيه ، ولا يتكلم على آية ، حتى ينظر علاقتها بما قبلها . لان آيات القرءان متماسكة آخذ بعضها بحجزة بعض ، فمن لم يراع ذلك فى تفسيره ، جانبه التوفيق .

ومتقدمو المفسرين غفلوا عن هذا المسلك ، فوقعوا فى اغلاط كثيرة . وتنبه له من المتاخرين الزمخشري والامام الرازي والبرهان البقاعي وابو حيان .

واكثرهم مراعاة لهذا المسلك العلامة البقاعي فى تفسيره ترجمان القرءان ، رايته مخطوطا ، وهو يطبع الآن . ذكر انه الفه فى اربعة عشر عاما ، حتى اوجد المناسبة بين كل آية وآية من اول القرآن الى آخره ، بطريق مراعاة السياق .

وانا اسلك هذا الطريق فى تدريسي للتفسير بزاويتنا الصديقية ، وقد الهمت فيه اشياء كثيرة بحمد الله .

وتعيين فتنة داود عليه السلام ، يتعين فيه تلاوة ما قبل القصة حيث حكى الله تعالى ، تعنت الكفار فى كفرهم ، وتعصبهم لاصنامهم ، وتكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقولهم على سبيل الاستخفاف به (ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) مع انهم لا يؤمنون بالبعث .

وذكر من كذب قبلهم الرسل بدءا من قوم نوح وهلم ، ثم قال لنبيه (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد) فامره بالصبر على اذاية الكفار ، وذكر قصصا للانبياء داود وسليمان وايوب ، صبروا حتى فرج الله عنهم وكان عاقبتهم النصر . وبدا بداود ، لمناسبة سنبينها ، ووصفه بالايد اي القوة فى الدين والصدع بأمر الله ، والطاعة لله ، مع قوة بدنه ايضا .. وذكر قصة الخصومة ليبين مدى صبره على جفاء قومه ، فهذان خصمان اسرائيليان ، مختلفان فى غنم بينهما ، تسورا عليه المحراب فافزعاه ، ولم ياتيا من الباب ، وهذا جرم يستحقان عليه العقوبة ، لكنه صبر ولم يعاقبهما .

ثم خاطباه بلهجة جافة (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) امراه بالحكم بالحق ، ونهياه عن الجور ، وهذه قلة ادب يستحقان العقوبة عليها ، لكنه صبر ، ولم يعاقبهما . بل حكم بالحق ، لانه معصوم ، لا يحكم بالجور ، ولهذا اعطاه الله رتبة الخلافة عنه (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) والخلافة اعلى من الملك .

وحصل مثل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم .

ناداه جفاة من الاعراب : يا محمد اخرج الينا ، فصبر على جفائهم . ولكن الله انزل فى ذمهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون) .

وحكم بين الزبير وخصمه وهو انصاري ، فى شراج الحرة ، فتسخط الانصاري حكمه ، وقال . ان كان ابن عمتك ، فصبر على قلة ادبه . ولكن الله انزل فى حقه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

اما فتنة داود فتكمن فى قوله تعالى (ففزع منهم) اي خاف . والخوف طبيعة بشرية ، فقد خاف موسى وهرون وغيرهما . لكن داود ظن ان خوفه من الخصمين وهو فى عبادة الله ، وفى حضرته، فتنة اى امتحان ظهر فيه تقصيره ، فاستغفر ربه عن التقصير الذي ظنه وخر راكعا واناب .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة » فالاستغفار لا يستلزم الذنب شرعا ولا عادة .

هذا ما رايته فى تعيين فتنة داود ، بعد مراعاة السياق .

وفى تعيينها رايان آخران :

احدهما للامام الرازي ، قال فى تفسيره : روى ان جماعة من الاعداء ، طمعوا فى ان يقتلوا داود عليه

السلام ، وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ، ويشتغل بطاعة ربه . فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم ، وتسوروا المحراب ، فلما دخلوا عليه ، وجدوا عنده اقواما يمنعونه منهم ، فخافوا فقالوا كذبا : خصمان بغى بعضنا على بعض ، فلما علم بقصدهم ، دعاه الغضب الى أن ينتقم منهم ، لكنه مال الى الصفح والتجاوز عنهم ، فكانت هذه الواقعة هي الفتنة . أو انه ظن انهم ارادوا قتله ، ولما لم يتحقق ظنه ، كان ذلك فتنة . فاستغفر منه اهـ ملخصا .

والآخر لابي حيان ، قال في البحر المحيط : والذي تذهب اليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب ، كانوا من الانس ، دخلوا عليه من غير المدخل ، وفي غير وقت جلوسه للحكم ، وانه فزع منهم ظانا انهم يغتالونه ، اذ كان منفردا في محرابه ، لعبادة ربه . فلما اتضح له انهم جاءوا في حكومة ، وبرز منهم اثنان للتحاكم ، كما قص الله تعالى ، وان داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ، ومن تلك الجهة انفاذا من الله له أن يغتالوه ، فلم يقع ما كان ظنه . فاستغفر من ذلك الظن حيث أخلف ، ولم يقع مظنونه ، وخر ساجدا ورجع الى الله تعالى ، فغفر له ذلك الظن ، ولذلك اشار بقوله (فغفرنا له ذلك) ولم يتقدم سوى قوله (وظن داود انما فتناه) ويعلم قطعا أن الانبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها . ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك، بطلت الشرائع ، ولم نثق بشيء مما يذكرون انه اوحى الله به اليهم . فما حكى الله في كتابه يمر على ما اراده تعالى ، وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه اهـ .

ولو كانت فتنة داود ، ما ذكره المفسرون ، لزم على ذلك مفاسد :

1 ــ انه ليس في سياق الآيات ما يدل عليها ، أو يرشد اليها .

2 ــ ان قصة الخصومة ، تفيد انه وقع في حب امراة ، وحاول انتزاعها من زوجها . وهذا ضعف في الارادة ، وخور في العزيمة ، ينافي ثناء الله عليه بانه ذو الايد اى القوة .

3 ــ أن الله تعالى قال لنبيه (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد) وما كان من داود الا الصبر على عبادة الله ، وعلى جهالة قومه . لاحب امراة ، ومحاولة انتزاعها من زوجها . فكيف اقحم هنا ؟ !

4 ــ أن يكون الله امر نبيه بالاقتداء بداود ، في حب النساء والافتتان بهن !!!

5 ــ أن الملائكة كذبوا في ادعاء خصومة لم تقع . مع انهم معصومون . ودعوى أن ذلك كان منهم على سبيل التمثيل ، مردودة بانه يجب نصب قرينة على ذلك ، ولا قرينة في سياق القصة اطلاقا .

وبالجملة فما ذكر المفسرون في فتنة داود عليه السلام ، كله مأخوذ من الاسرائيليات التي نهينا عن تصديقها ، لا سيما اذا كان فيها ما يمس مقام الانبياء ، ويخدش عصمتهم .

وكذلك فعلوا في تفسير قصة هاروت وماروت ويوسف وايوب وسليمان ، ذكروا فيها اسرائيليات ، ملأى بالخرافات .

ولا يغرنك نقلها عن كثير من التابعين ، مثل الحسن ومجاهد وابي الجلد والسدي ومقاتل والكلبي وابي صالح وسعيد بن جبير وعكرمة وابي عمران الجوني وغيرهم . فان هؤلاء يأخذون عن الاسرائيليات، على سبيل الموعظة والتذكر . واخذ عنهم مثل ابن المبارك واحمد وابن ابي حاتم وابن جرير واضرابهم . وامتلات كتب التفسير والزهد والرقائق بالاسرائيليات حتى اشتبه الامر على بعض الضعفاء في الرواية فرفعوا منها احاديث الى النبي صلى الله عليه وسلم .

كما ان قصة هاروت وماروت مع اناهيد التي احباها وفي سبيل الوصول اليها شربا الخمر وعلماها الاسم الذي يطلعان به الى السماء ، بطلبها ، فطلعت الى السماء ، ومسخت هناك ، وهي الآن الزهرة .

فهذه الخرافة منقولة عن الاسرائيليات ، ورفعها بعض الرواة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، واغتر بعض الحفاظ بنظافة سندها ، فصححها حديثا نبويا مرفوعا ، ولم يتنبه لما فيه من علل تقضي بعدم صحته ، والكمال لله تعالى .

طنجة : عبد الله بن الصديق

كتاب

فواصل الجمان

وتأثر النثر المغربي بالمدرسة النثرية الأندلسية

للأستاذ الحسن الشاهدي

مقدمة ومنهج :

يتناول البحث التعريف بكتاب « فواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمان » الذي طبع بالمطبعة الجديدة بفاس سنة 1346 هـ الموافق لسنة 1929 م. والكتاب يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة يعرف فيها المؤلف بشخصيات الكتاب والوزراء ، مهتما بكل جوانب الحياة التي اكتنفت مدة تألقهم في سماء الشهرة فكان مؤلفه بهذا كتاب ادب وتاريخ وسياسة واجتماع ، لذلك اعتبر بانه « من احسن ما ألف في نوعه » (1) او « انه انفس ما اخرجته المطابع في ذلك العام لما يحتويه من الفوائد الادبية والتاريخية » (2).

وسنتوقف في بحثنا عند ترجمة المؤلف محمد غريط بما تسمح به اخباره القليلة والمراجع المتوفرة عنه ، ثم نحاول التعرف بعد ذلك على اسباب تاليفه لهذا الكتاب لنصل الى مضمون مؤلفه الذي يصنف حسب ما يستنتج منه الى مضمون سياسي واجتماعي وثقافي .

وحينما ننتهي من رصد افكار الكتاب ومضامينه نتوقف عند الشكل للتعرف على الاسلوب ونمط التعبير ، مما يقودنا الى المقارنة بين هذا الاسلوب وكتابة الاندلسيين بالاعتماد على النماذج المختلفة لتهيأ لنا مناقشة ما اشتهر من حذو الادباء المغاربة حذو الاندلسيين في الكتابة وتقليدهم لهم في الاسلوب والطريقة مقارنين في نفس الوقت بين طريقة فواصل الجمان في الكتابة وتلك التي انتهجتها الكتب المؤلفة في نفس العصر .

التعريف بالمؤلف :

ينتمي ابو عبد الله محمد بن الوزير ابي عبد الله المفضل غريط الى اسرة عريقة في المجد نزحت من الاندلس ، فهو الذي يذكر في كتابه فواصل الجمان بأن الاغريطيين كانوا قد هاجروا من الاندلس فرارا بدينهم ، واستقروا بمكناسة ، وطار صيتهم في عهد المولى اسماعيل « فاقتعدوا أريكة العز في دولته ، وبلغوا ما املوا في ظل صولته ، فكان منهم علماء الباء ، وادباء واطباء ، وتجار امناء ، بحضرته نائلون نصرة العيش بنظرته ، ولم تزل اعقابهم عند اعقابه الملوك الكبار ، في مقام التنويه والاعتبار ، وشرفوا منه ومن ابنائه الكرام ، بظهائر تضمنت مزيد التوقير والاحترام » (3) .

---

(1) عبد السلام ابن سودة . دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، الطبعة الثانية بالبيضاء سنة 1960 ج 1 ص 278 .

(2) عبد الله كنون التعاشيب ص 165 .

(3) فواصل الجمان ص 63 .

ولد بفاس في ربيع الاول سنـــة 1298 هـ (4) ونشأ بهذه المدينة العلمية فتربى تربية موجهة مــن ابيه حيث حفظ القرءان على الطريقة المالوفـــة في ذلك الحين ، ثم نهل من علوم القرويين مما اكسبــه متانة في مادته وتمكنا في علمه ، واختص بعد ذلـــك برعاية ابيه الاديب الذي عرف عنه حفظـــه للشعـــر الاندلسي وادبه ، فكان ان انقطع المؤلف الى الكتب الادبية ودراستها ، مما مكنه من التفوق على اقرانه في الادب ، ونيله الشهرة ثم ولوجه الوظيفة الحكوميــه بتعيينه في مناصب مرموقـــة كالوزارة والكتابـــة ، فاكتسب بأشغاله في هذه المناصب مقدرة وخبـــرة انطبع بهما سلوكه ومواقفه مما يدل على انه ــ فعلا ــ « رجل عجم تقلبات الزمن وحلب الدهر اشطره » (5) الا انه قد صادف حوادث هامة عرقلـــت نشاطـــه « فنابه قسـط من تلك الكوارث التي القت بكلكلهـــا خصوصا على امثاله الذين هم جبهة الامة البارزة ... فانزوى في بيته واثر العزلة لا يكاد يخرج الا للقيام بوظيفه ولاداء الصلاة في المسجد الادريسي » (6) .

وكان بليغا ، له قدرة في الشعر والنثر معا ، ذا تمكن في ثقافته الاسلامية والعربية ، يقول عنـــه الاستاذ ادريس بن الماحي في معجم المطبوعـــات المغربية المخطوط « أبو عبد الله محمد بلمفضـــل غريط لسان الفصاحة والقريحة المدرارة ومقلد اجياد البلاغة قلائد جوهره المختارة » (7) .

وللمؤلف غير فواصل الجمان كتب عديدة منها « ادب المجالس » وهو نظم تاريخي ، وستة دواوين شعرية يعرض لها دليل مؤرخ المغرب الاقصى ممـــا يدل على شاعرية متأصلة . كمـــا ان لـــه كتـــاب « مجموعة النثر النثير من انشاء الفقير الى الكثير » جمع فيه النثر الذي خاطب به الملـــوك والخلفـــاء والاخوانيات والمقالات (8) . توفي سنة 1364 هـ الموافق عام 1945 م .

دواعي تاليفه لهذا الكتاب :

ان الفترة التي تم فيها تاليف الكتاب وطبعـــه تميزت بنشاط في التاليف والطبع ، الا ان الاهتمام في مجال التاليف كان منصبا آنذاك على الفقه والنحو وشرح المتون فلم يشذ عن هذا الاتجاه الا القلة من المثقفين مثل محمد القباج ، ومحمد غريط .

فما هو السبب الذي جعل الاديب غريط يشذ عن جل رجال عصره ، ويغير الاتجاه الذي الفوه في الكتابة والتاليف ؟ ان الكاتب نفسه ينبئنا في صراحة بالدواعي والاسباب . وهذه الاسباب كما وردت في مقدمة كتابه هي كما يلي :

1 ــ ملاحظة الكاتب حول العمل التاريخي ذلك ان الاحداث التاريخية اذا لم تحفظ سرعان مـــا تنسى ، يقول : « وبعد فان من المعلوم ان لكل زمان رجالا عمرت بهم اندية الادب وازدهـــرت بهم وجوه الرتب ... فكم من حـــادث وقـــع بالامس فنسي بالغد ، ثم ما تذكر ولا في السمع تجـــدد » (9) .

2 ــ حب المؤلف للادب يدفعه الى جمع اخبار من مضى من رجاله المعاصرين له يقول : « طالمـــا حضنتني محبة الادب واهله ، وان لم اكن ممن تجولوا في مزنه وسهله ، على جمع طرف مـــن اخبار ووفيات من عاصرتهم او ادركت مـــن عاصرهم » (10) .

3 ــ اهمال شأن الادباء ، على الخصوص في عصره، رغم ما يمتازون به من جودة النظم وحبكة النثر يقول موضحا رايه « لاني لم أر من افرد لهـــم تاليفا ، ولا اوعي لهم تعريفا ، مع ان منهم مـــن

---

(4) دليل مؤرخ المغرب الاقصى ج 1 ص 278 .
(5) محمد بن العباس القباج . الادب العربي في المغرب الاقصى . ط. الرباط 1929 ، ج 1 ص 2 .
(6) نـــفس المرجـــع السابـــق .
(7) نقلا عن الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية للدكتور ابراهيم السولامي . مطبعة النجـــاح ــ الدار البيضاء ص 253 .
(8) دليـــل المؤرخ ج 2 في مواضع مختلفـــة .
(9) فواصـــل الجمـــان ص 2 .
(10) فواصـــل الجمـــان ص 4

تسامت به خطته ، ولم تخرج عن مناط الاعتدال نقطته » (11) .

4 ـ خطورة مركز كل من الوزير والاديب في الدولة، فبهما تسمو او تنحط ، لا استغناء لملك او حاكم عنهما ، اذ الوزير هو المشير والمعين والمسير لدواليب الدولة « وكما لا يستغني الامير عن المال والنصير كذلك لا يستغني عن الوزير ؛ اذ هو لسانه وعينه ، ومرآته التي يتشكل فيها للرعية زينه ، ووقايته التي يدرا بها حر الخطوب ونجيه ... وبقدر ارتياح الملك اليه احتياجه هو الى كتبة هم اسباب بيت الوزارة ، ونجوم فلك الادارة ، وحفظة صحائف الاحكام ، وانامل راحة النقض والابرام » (12) .

5 ـ وفي رأيه ان السبب في اهمال اهل عصره لهؤلاء الكتاب والوزراء ربما يرجع الى نظرة الناس الخاطئة لعمل المؤرخ حيث يتهم زورا بالمحاباة والتزوير احيانا مما جعل الكثيرين يحجمون عن الخوض في التاريخ ، ولكن غريط اقتنع بأن المؤرخ للاحداث والرجال لا يسلم من الانتقاد ، فلماذا الخشية والحذر لان « المؤرخ ولو انصف ، وتحرى الصدق فيما وصف ، انما يثير الاحقاد وينبش عن عقارب الانتقاد » (13).

6 ـ مبادرة بعض الطامعين والمزيفين للحقائق الى الكتابة عن هذه الشخصيات التاريخية من الوزارة او الكتابة بأسلوب مشوب بالتزوير والتضليل مما دفع المؤلف غريط الى الرد عليهم لدحض اقوالهم وتسفيه آرائهم يقول : « ثم رايت بعض المتهافتين على الطمع ، تهافت الفراش ، المتداخلين في الامور تداخل الشعرة في الثوب والبرغوث في الفراش ... فرفع بقوله من رجا نفعه ، وخفض بزعمه من لم يسبر غربه ونبعه ، فحملني صنيعه على ان رميت شقيق زوره الذي اتى عارضا رمح فجوره ، باسهم هذه الكنانة التي هي خلسة من يد الايام وجلسة من جلسات اولي المقام » (14) .

7 ـ والكاتب بعد كل هذا اديب متذوق ، وشاعر موهوب ، انتج دواوين شعرية ، وكتابات نثرية فلا عجب أن دون بعض آرائه النقدية في كتاب يخصه بالكتاب او الذين جمعوا بين الكتابة والوزراء .

مضمـــون الكتـــاب :

يتحدث المؤلف عن محتوى كتابه بشكل عام ، فيلمح الى ان الكتاب تاليف ادبي خاص بجيله او الذي سبقه مباشرة ، فلقد حرص فيه ـ كما يقول ـ « على جمع طرف من اخبار ووفيات من عاصرتهم ، او ادركت من عاصرهم من وزراء وكتاب هذه الدولة العلوية العلية ، ذات المراقب والمناقب الجلية » (15)

ويحدد القباج (16) بداية الفترة التي اهتم بها المؤلف في كتابه فيذكر بانه « ترجم فيه لاكابر الكتاب الذين درجوا منذ عهد السلطان مولاي سليمان » (17) وترجع اهمية هذا المؤلف الى انه ليس كتاب تاريخ فقط يعرض الاحداث المختلفة كما فعلت الكتب التي ارخت للفترة ، ولكنه يتفوق عليها في الاهتمام بالحياة الفكرية والادبية ، في أكثر من قرن من الزمان ، فالكتاب لا يركز في تاريخه على الملوك الذين حكموا طيلة هذه الفترة ، وان كان لا يهمل شانهم ، واحوالهم، كغيره من المؤرخين ، بل يلقي نظرة على الحياة

(11) فواصل الجمان ص 5 .
(12) فواصل الجمان ص 4 .
(13) فواصل الجمان ص 5 .
(14) فواصل الجمان ص 6 .
(15) فواصل الجمان ص 4 .
(16) الادب العربي بالمغرب الاقصى ص 3 .
(17) هو السلطان ابو الربيع المولى سليمان بن محمد بن عبد الله . بويع بفاس في يوم الاثنين 17 رجب سنة 1206 هـ وتوفي في 13 ربيع الاول عام 1238 هـ .
انظر اخباره في الاستقصا للناصري ج 8 ص 86 وما بعدها ، ط. دار الكتاب ـ البيضاء .

السياسية والاجتماعية والفكرية والادبية من خلال ترجمته لاعلام هذا العصر الذين تقلدوا الوزارة او مارسوا الكتابة ، فيكون مدفوعا ـ أثناء الترجمة لهم ـ الى سرد اخبارهم ، وذكر الحوادث التي وقعت لهم او بسببهم ، وقص النوادر التي تنوقلت عن مجالسهم ومسامراتهم ، ثم يعرض الى التاجهم من رسائل تبودلت بين أدباء العصر وساسته ، او اشعار تناقلها عنهم الملازمون لمجالسهم ، ومن هنا كثرت الاخبار والآثار المنقولة فتضخم حجم الكتاب واربت صفحاته على الثلاثمائة .

كما ان اهمية الكتاب تتجلى ايضا في اهتمامه بتسجيل الفترة التاريخية المهمة ، فترة الانتقال من عهد الاستقلال الى عهد التدخل الاستعماري ، في كل من شمال المغرب وجنوبه ، فيكون بذلك قد سد ثغرة من تاريخ المغرب عرفت بأحداث جسيمة ، وتقلبات واضطرابات لان كتاب الاستقصا يتوقف في سرده للتاريخ عند السلطان الحسن الاول ، بينما فواصل الجمان يستمر في عرض اخبار هذه الفترة الحالكة غداة اعلان الحماية زمن السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ ثم المولى يوسف ، هذه الفترة التي لا نجد اخبارها الا في مصادر معدودة كاتحاف ابن زيدان ، واللسان المعرب للسليماني ، والاعلام لعباس بن ابراهيم ، والاغتباط لبوجندار .

ونظرا للاهتمام الادبي للمؤلف ، فانه كان احرص المؤلفين جميعهم على تضمين كتابه الاشعار والخطب والرسائل والنوادر ، فكان الكتاب بحق ديوان ادب هذه الفترة ، ولا عجب في ذلك بعد ان علمنا أن الدافع الادبي هو الذي حذا به الى التأليف ، والنماذج الادبية الجيدة هي التي كانت تغريه بتسجيلها . من هنا اتسم الكتاب بالاحاطة والشمول فيلقي الضوء على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، واذن فاطلاعنا على الكتاب لا يتم الا بالتوقف عند كل هذه الجوانب المذكورة .

الحياة السياسية او المضمون السياسي :

اذا اهتممنا بالجانب التاريخي في الكتاب فاننا نتعرف من خلاله على الظروف السياسية طيلة حكم ستة ملوك علويين كان لفترة حكمهم اثرها في تقرير مستقبل المغرب ، فالقاء نظرة على ما ورد في هذه العهود نجد ان عهد المولى عبد الرحمن كان عهدا مضطربا (18) انتشرت فيه الفتن وسرت فيه الفوضى ، وشق فيه الكثيرون عصى الطاعة ، فهذا عامل السلطان الوديني في فاس يتبع هواه « فيعبث بنسوة بعض الاعيان »(19) ،هناك مما جعل هؤلاء يثورون لكرامتهم ، ويخرجون عن طاعته ، ويجاهرون بنيتهم في الفتك به ، لولا ان المولى عبد الرحمن تدارك الامر فعين مكانه عاملا جديدا هو القائد الاحمر الذي عامل السكان بحزم وعنف ، حيث عاقب الكثيرين ونفى بعضهم الى مرسى الصويرة (20) ، وهؤلاء رؤساء جيش الوداية يعلنون عصيانهم في فاس ، (21) بسبب غيظهم من ارتفاع شأن البخاري في عهده ، مثلما كانوا في عهد سلفه المولى سليمان .

وفي عهده ايضا اعلن اهل الرباط العصيان ضد العامل السوسي ، فلم يمتثلوا للاوامر والنداء بملازمة الهدوء والطاعة .

كما اشرأب الكثيرون الى العصيان كابن الطالب عامل فاس الذي تجبر « وخرج عن الطاعة بقبيلة نتيفة ، وتمنع واعصوصب ، وقتل وغصب » (22) لولا ان السلطان حسم عدوانه بجيش كثيف بعد ان صارت فاس الى الفقر والافلاس (23) فارتفعت الاسعار وتعرض الاقتصاد المغربي الى تدهور مرده في نظر الناصري الى حصول الاجانب على امتيازات تبيح لهم التجارة بموانىء المغرب في سلع كانوا ممنوعين منها (24) وربما كان السبب راجعا ايضا الى انعدام جو الاستقرار وكثرة الفتن والنهب اضافة الى المناوشات

---

(18) فواصل الجمان ص 11 .
(19) فواصل الجمان ص 64 .
(20) نفس المرجع .
(21) فواصل الجمان ص 67 .
(22) فواصل الجمان ص 210 .
(23) نفس المصدر والصفحة .
(24) الاستقصا في الجزء التاسع .

والحروب التي ارغم المغرب على خوضها بسبب تأييده لحركة الامير عبد القادر الجزائري ؛ وكانت الحرب التي ازالت هيبة المغرب آنذاك هي « معركة ايسلي المفاجئة التي هزم فيها المغرب اشنع هزيمة والتي اضطرته الى عقد معاهدة مع فرنسا » (25) تلتها اتفاقية الحدود (26) .

ويرسم غريط للمولى عبد الرحمن شخصية محنكة قوية استطاع بها ان يواجه كل هذه المشاكل بحكمة وتبصر مثلما فعله مع جيش الوداية وما فعله مع عامل الرباط متفقا بذلك مع صاحب الاستقصا حين قال عن السلطان المولى عبد الرحمن « واما حزمه وضبطه وكمال عقله وتأنيه فى الامور ووضعه الاشياء مواضعها ، وتبصره فى مبادئها وعواقبها ، واجراؤها على قوانينها ، فما اظنك تجهل منه شيئا » (27) .

اما عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن فلم يكن احسن من عهد ابيه رغم محاولاته القضاء على الفتن وحماية الوطن ، ذلك ان السمعة السيئة التي صارت للمغرب بعد معركة ايسلي اطمعت فيه الدول الاستعمارية فاحتلت اسبانيا تطوان وبهذا « ارغمت المغرب على قبول شروط صلح معها » (28) ووجدت الفتن بيئة خصبة من اهمها ثورة الجيلاني الفرباوي المعروف بالمعجاز سنة 1278 هـ الذي خرج على السلطان بعد ان افتتنت العامة به « ونسبوا له الخوارق والكرامات من غير استناد الى دليل ، ووعدهم بأنه سيستولي على الملك ويحكم المتمسكين بدعوته فى الاموال كيف شاؤوا » (29) وهكذا اثار الرعب وفر الى زرهون ناجيا بنفسه بعد هزيمته امام الجيش الحكومي ، الا ان اهل زرهون قتلوه فعم الفرح البلاد عبرت عن ذلك رسالة السلطان الى عماله (30) ؛

ولقد تحدث عنه صاحب فواصل الجمان بما يلي : « قيل انه استهوته جنة والبسته من الشيطنة والخداع جنة ، فقامت على البغت قيامته ، وكدرت جو الملك غمامته ، وتعدد تابعه ... الى ان ساقته يد الخذلان وسقط به العشاء على سرحان » (31) .

ورغم ان السلطان الحسن الاول كان قويا اخذ الامور بحنكة ودهاء ، وعرف عهده ازدهارا واصلاحات سياسية ونهضة ثقافية ، فان فترة حكمه لم تخل من فتن ايضا كثورة ابي عزة الهبري بناحية وجدة الذي اعلن العصيان مع جماعة من اتباعه المغروربن ، وان كان جيش السلطان استطاع ان يتغلب عليه فبقي فى سجنه الى ان توفي ، وصفه صاحب الفواصل بانه كان « ساحرا كاهنا مرائيا مداهنا يظهر الطاعة والزهادة ويسر معصية عالم الغيب والشهادة ... ولما تم للمارد ما اراده واستكمل للوثوب استعداده اعلن بلجاجة » (32) ، ثم كانت ثورة اهل فاس التي ادت الى نهب دار بنيس واعلان العصيان على السلطان الا انه استطاع اخمادها واعادة الامور الى نصابها بقمع الخارجين عن طاعته والعمل على استتباب الامن ، وهكذا « اهتم بتنظيم الجيش فاسست حكومة ذات وزارات متعددة ، ووجهت البعثات الى اوروبا ، واسست قوات بحرية اشرف على تدريبها اوربيون ... واوفد السفراء » (33) مما يدل على ان الحياة السياسية استقرت على ما كان عليه من قبل .

وتبدو ، من خلال الكتاب ، شخصية المولى عبد العزيز ضعيفة ، ولعل ظروف بيعته هي التي جعلته كذلك ؛ فالحاجب احمد بن موسى الذي « لم يكن له علم يؤثر ، ولا يد فى الادب تشكر ، وانما ارهفت حده ووارت زنده ، خطة اقتفى فيها اباه وجده » (34) ، كان متسلطا ، بيده الحل والعقد ،

---

(25) النضال فى الشعر المغربي ، المناهل عدد 3 ص 113 وما بعدها . الاستقصا ج 9 .
(26) قبائل المغرب ، ابتداء من صفحة 219 .
(27) الاستقصا ، الجزء التاسع .
(28) قبائل المغرب ج 1 ص 219 وما بعدها .
(29) الاستقصا ج 9 ص 108 .
(30) فواصل الجمان ص 74 . الاستقصا ج 9 ص 108 .
(31) فواصل الجمان ص 74 .
(32) فواصل الجمان ص 76 .
(33) قبائل المغرب ج 1 . الاخبار المتعلقة بالمولى الحسن الاول .
(34) فواصل الجمان ص 82 .

اعتقل كل من سولت له نفسه الخروج عن طاعته ، واصبح كالمنصور ابن ابي عامر في تجبره واستبداده بأموال الدولة ، وتسوية نفسه بالسلطان في موكبه . ومما زاد الحالة سوءا ان التنافس بين الدول الاستعمارية ظهر على أشده ، وكثرت الاتفاقيات والمؤتمرات بشان تقسيم المغرب بعد ان تضاءل رصيد السمعة المغربية . والحقيقة ان هناك عوامل عديدة تظافرت كلها على خلق البلبلة واشاعة الفوضى في البلاد ، واطماع المستعمر فيها ؛ من هذه العوامل: الوضع الاقتصادي المتدهور ، والعجز المالي الذي فتح الباب على مصراعيه للاقتراض من الدول الاجنبية (35) ، ومنها الخطة الاستعمارية الخبيثة التي اعتمدت على انشاء جهاز دعاية قوي داخل المغرب يحفظ لها مصالحها ويعبد لها طريق الاستيلاء، فشرعت في شراء الضمائر وتشجيع الشعوذة والثورات ونشر الفوضى ، ومن العوامل ايضا ازدياد الاحوال تدهورا بموت الحاجب احمد بن موسى الوصي على السلطان (36) ، فلقد اثمرت السياسة الاستعمارية ومكايدها وانتشرت الثورات ، كتلك التي اعلنتها قبيلة كروان وانتهت بانهزامها ، وكثورة بوحمارة المشهورة في الشمال الشرقي والتي كبدت الدولة خسائر كثيرة .

عرف عن المولى عبد الحفيظ تفكيره في اصلاحات كثيرة ، وحله لمشاكل مالية عويصة ، لعله كان مدفوعا الى هذا بما الزم به في وثيقة البيعة وفعلا اعترفت بسلطته على المغرب رسميا دول اوربا ومنها فرنسا .

المضمون الاجتماعي :

واذا ما انتقلنا الى الحياة الاجتماعية فان اهم ظاهرة تلفت نظرنا هي سيادة الطرقية وتقديس الاضرحة واكبار المجاذيب كما يبدو في ترجمة الوزير غريط (37) مما جعل العلماء ذوي الغيرة على دينهم يحاربون مثل هذا العمل ويعتبرونه انحرافا عن الجادة وشركا بالله ، وهو في نظر الكانوني « دليل على ضعف الوازع الديني وقلة اليقين بالله » (38) . ومن هنا كانت كل حركة اصلاحية تجعل من اهتماماتها محاربة الشعوذة والخرافات نظرا للشعور بمدى خطورتها الاجتماعية ، فعرف علماء القرويين بمناهضتهم لهذه الطوائف كلما اتيح لهم ذلك، واصبح التفكير عامة « يتجه الى مقاومة الطوائف المصطبغة باسم الدين ، والتي تقضي السلفية بمقاومتها لما تخلقه من تشكيك في العقيدة ومن اشراك بالله (39) خصوصا وأن رؤساء بعض الزوايا لهم سلوك وطني مشبوه فيه ، فارتبطت لذلك محاربتهم بالوطنية والمقاومة واهتمت « الرابطة المغربية » الى جانب محاربة الاستعمار ، بالعمل على ازالة هيمنة رجال الطرق وفضح اعمالهم وخرافاتهم.

ثم تاتي ظاهرة التعفن الاجتماعي والفساد الاداري والاخلاقي التي تجلت في كل جوانب الحياة، فالرشوة ضاربة أطنابها « سرا وعلانية ، والاحكام تصدر بنية وبلا نية ، قد عدل فيها عن منهاج العدل من غير اكتراث بتأنيب ولا عدل ، والحقوق نزلت بمعرض الضياع » (40) ، كما ورد في رسالة المولى الحسن الى قضاة مراكش ، فلا عجب اذا عم الفساد وقل الامن ، وكثرت اللصوصية ، ونشط النشالون ، فلم تعد الحياة الاجتماعية النشيطة الهادئة ممكنة ، وخير وصف لهذه الحالة ما جاء في مقامة عبد السلام المحب (1323 هـ) قال : « أصبحت الطرق بالقطاع شاغرة وعوادي الفساد لافواه الفتن فاغرة ، وامست السهول وهي وعرة ، واعثرت الخيول بغرة ، واستنسرت بغاث الطير » (41) .

---

(35) فواصل الجمان ص 92 .
(36) اللسان المعرب ص 143 .
(37) فواصل الجمان ص 64 .
(38) جواهر الكمال في تراجم الرجال .
(39) الحركة الوطنية بالمغرب ج 1 ص 45 .
(40) فواصل الجمان ص 159 .
(41) فواصل الجمان ص 293 . احاديث عن الادب المغربي ص 23 .

واذا كانت الحالة الاجتماعية سيئة الى هـذا الحد من قطع الطرق واعطـاء المناصـب لمـن لا يستحقها ، فمن الطبيعي ان يمتد الزيف والتزويـر والسطو ايضا الى الفكر والشعر وبصبح الشعراء ، كما وصفوا في رسالة الاديب الفاطمـي الصقلـي (1311 هـ) « منهم قاطع في سبيله وسارق ، ومنهم مدع انه فرد ، وهو لعمري منه مارق ، ومنهم مـن يؤلف بين المفردات فقط ، ومنهم من على تدبيـج الالفاظ سقط » (42) . ومن الطبيعي ايضا الا يجد الاديب المركز المرمـوق فتكسد بضاعتـه (43) ، وسمع التبرم من صناعـة الادب والشكـوى مـن تعاطيه ، والنفور من نظم الشعر ، وحتى من مال الى الشعر مدفوعا بفطرته وموهبته ، تمنى لو لم يكـن شاعرا ، فليس للشاعر وجـود في هذا المجتمـع المادي والا فليقنع بالعيش الحقير ويرضى بالحرمان يقول محمد غريط ناصحا :

ان تكن تطلب آدابا فكـن
قانعا واصرف عن المال الطلب
قلما تلقى اديبـا مثريـا
او ترى من هو مثـرذا ادب

ولقد ازداد الوضع الاجتماعي تدهـورا وسوءا حينما تعرض الاقتصاد المغربي الى ازمة واعلنـت الدولة عجزها عن الوفاء بالتزاماتها فشعر الشعـب بضائقة ، واضطر المغرب الى الاقتراض مـن الدول الاجنبية مما فتح الباب للتدخل الاجنبي (44) .

المضمـون الثقافـي :

يتبين من تتبع الاشارات الـواردة في ثنايـا كتاب « فواصل الجمان » ان الجو الثقافي لم يكـن خامدا رغم اضطرابات هذه الفتنة وقلاقلها ، فلا نعدم في هذه الفترة مجالس علم وندوات لمناقشة (45) موضوعات مختلفة كتلك الندوة التي ضمـت عبـد السلام المحب وبعض ادباء عصره ، دار فيها النقاش حول البلاغة والفصاحة تخلل ذلـك نظم ابيـات وقصائد تناسب المقام ، مع تحدي بعضهم للاخـر باجازة بيت او شطر . وعلى المستوى الفكري العام نصادف وعيا حادا شاملا لدى كل الطبقات المثقفة ، يتمثل في الشعور بواجب الاصلاح والوعظ وحث المهم من لدن العلماء كتلك القصائد التي بعث بها السليماني الى سكان فاس ، وهو في وجدة او تلمسان، وارتفعت اصوات تنادي بنشر العلم والحث على طلبه ، والتباهي به ، فلا عجب اذا كان سمة الكمال في هذا العصر ، يحرص عليه كل من أراد المجد والتفوق ، اذ اخـذ الاهتمام بقواعد العلوم وفنونها يزداد ، فالخط الجميل له اصول ومعلمون مختصون ، يقـع التنافـس في اجادته واتقانه من هنا كان خـط الوزير غريـط « تحسده الخمائل ، ويحفه القبـول عن اليميـن والشمائل ، تبتهج العيون برونقه ، وتنعطف النفوس لنسقـه » (46) .

والحقيقة انه بحلول فترة حكم المولى عبـد الرحمن بدا عهد جديد اتجه فيه الاهتمام الى ما يرفع من المستوى ويؤدي الى النهضة ، مثـل احـداث دروس للرياضيات والفلك ، وبعض الفنون العسكرية، وارسال البعثات ، وترجمة بعض الكتب العلميـة ، وانشاء مدارس للهندسة والترجمة ، توج كل ذلـك بتاسيس المطبعة الحجرية ، مما يدل على ان نهضة حقيقية شملت كل جوانب الحياة بما فيها الادب (47)، وهكذا نلاحظ تنافس الادباء في اجادة الشعر والنثر، اذ الاداة الواحدة لم تعد كافية ، فكثرت مراسلاتهم الادبية التي تعالج بعض القضايا الادبية والنقديـة كمشكلة السرقات الادبية التي تطرحها رسالة غريط الى ابي العباس مولاي احمد البلغيثي حيث يبدي هذا الاخير رايه في سعة معرفة واحاطـة بآراء غيـره باعتماده ، على المقارنة والتوضيح (48) .

---

(42) احاديـث ص 22 .
(43) فواصـل الجمـان 240 .
(44) انظر فواصل الجمان ص 95 ــ 99 .
(45) فواصـل الجمـان ص 283 وما بعدها .
(46) فواصـل الجمـان ص 63 .
(47) مظاهر يقظة المغرب الحديث ص 29 وما بعدها . قبائل المغرب ص 219 .
(48) يرجع اليها في فواصل الجمان ص 36ــ ص 280 .

من كل هذه الموضوعات المطروقة على تنوعها، وطريقة طرحها ، يمكن ملاحظة شيئين هامين : اولهما الموسوعية الثقافية التي كانت طابع العصر عامة ، فهذا غريط صاحب الفواصل يتساق مع معارفه ومعلوماته فيتعرض اثناء الحديث عن ثورة ابي عزة الهبري (49) الى التفصيل في الرتبة النبوية والخلافة الباطنية والظاهرية والسلطة القهرية ، مما يبين عن قدرة وتمكن علمي لا يسمو اليهما الا من كان مكتمل الثقافة ، واسع المعرفة ، وحينما يتعرض الى تعاسة حظ العلماء لا يكتفي بنموذج واحد ، بل يسوق الكثير من الاشعار في هذا الموضوع ، وهو اذ يتوقف عند التورية في قصيدة عبد السلام المحب التي مدح بها القاضي يتتبع الآثار الادبية التي تكثر فيها التورية شعرا ونثرا (50) مثل ما ورد في رسالة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من التورية بالالقاب النحوية جاء فيها : « أما بعد فان فلانا حضر وادعى انه رخم في غير النداء ، وجزم والجزم لا يدخل في الاسماء ، واستثنى من غير موجب فخفض ، والخفض من ادوات الاستثناء » (51) .

ولعل الباحث يستطيع ان يكون فكرة على ثقافة العصر باطلاعه على المصادر التي كانت رائجة بين المثقفين آنذاك ، من خلال ما ورد في حديثه عن تعاسة الحظ ، فنحن نصادف هناك امهات المراجع كديوان مهيار ، واشارات الرئيس ، وموجز ابن نفيس ، والدر المختار ، ومفردات ابن البيطار ، ووسائل الابتهاج ، ومعاهد التنصيص ، والتهذيب والتلخيص ، ومجمع الميداني ، والاغاني ، ومغني والتلخيص ، ومجمع الميداني ، والاغاني ، ومغني الى غير ذلك من امهات المصادر والمراجع التي تبرز تنوع الثقافة من جهة ، ومتانتها بالاعتماد على الامهات من جهة ثانية .

ولا شك ان الموسوعية الثقافية كانت سمة العصر ، فنظرة الى ما اعتمده الكردودي من مراجع في كتابه كشف الغمة توضح مدى انتشار الثقافة وسعتها ، فيذكر في مقدمته المصادر التي اعتمد عليها قائلا : « قد اقتبست انواره من عدة تآليف ، واقتطفت ازهاره من غير ما تضيف كمشارع الاشواق الى مصارع العشاق ... ومقدمة ابن خلدون الحضرمي ، وتحفة الانفس في اشعار سكان الاندلس لابن الحسين بن هذيل ، وسراج الملوك لابي بكر الطرطوشي ، وبدائع السلك في طبائع الملك لابن الازرق الى غير ذلك من التاليف » (52) ، لان الثقافة كانت متنوعة وشائعة ، فقد امتلأت الخزانات بكثير من الكتب لانتشار المطابع ، اذ « قدرت كتب مكتبة القرويين في آخر القرن الماضي بثلاثين الف مجلد » (53) ومع ذلك فان الذي يبدو لقارىء ما اورده غريط من اشعار الادباء وكتاباتهم في تعاسة الحظ هو ان الادباء لم يكونوا راضين عن احوالهم الادبية والاجتماعية فلم يلقوا التكريم الذي يستحقونه؛ وكان لسان حالهم قول ابن نواس : (54)

رزق التيوس يجيئها بسهولة
وذوو الفصاحة رزقهم مسجون

ان كان حرماني لاجل فصاحتي
فامنن علي من التيوس اكون

فهناك شعور عام بكساد الادب وضيق احوال اهله وتذمرهم من معاملة اهل ذلك العصر ، رغم ما لوحظ من تشجيع الملوك لهؤلاء الادباء ، لان « رعاية ذوي السلطان للكتاب والشعراء كانت رعاية باهتة لا تخرج عن نطاق المناسبات المتقطعة » (55) .

والشيء الثاني الذي يخرج به الملاحظ لما ورد من نصوص في كتاب فواصل الجمان هو بروز ظاهرة التأثر بالثقافة الاندلسية ، فهناك تأثر واضح بطريقة الفتح ابن خاقان ، وابن الخطيب ، وابن زيدون ، وابن بسام ، يدل على ذلك النقل عنهم وشهرة آثارهم

(49) فواصل الجمان ص 76 .
(50) فواصل الجمان ص 255 .
(51) فواصل الجمان ص 239 .
(52) مقدمة كشف الغمة ببيان ان حرب النظام حق على هذه الامة ، للكردودي . ط. حجرية .
(53) مقال الاستاذ السائح في مجلة القوات المسلحة عدد 118 ص 23 .
(54) فواصل الجمان ص 236 .
(55) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية لابراهيم السولامي ص 48 .

بين المغاربة الى درجة ان صاحب الفواصل يرد كل ما نقل الى اصله من الكتب والآثار الاندلسية فينبه مثلا الى ما نقله اكنسوس فى رسالته التي كتبها عن المولى سليمان بانه « من فرائد ابن الخطيب وفواصله » (56) .

ويتتبع غريط اشارته الى تضمين كلام ابن الخطيب فى رسالة الدمناتي ايضا (57) ، بل ان الامر تعدى التأثر الى الاحتذاء والاقتداء ، ففي ترجمة ابي محمد عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1296 هـ يذكر بانه قد « اولع بالبديع والبيان حتى حفظ قلائد العقيان » (58) .

فحفظ الكتب الاندلسية عن ظهر قلب يظهر هيمنة الادب الاندلسي على المغاربة الى درجة التشابه والتطابق والتفوق احيانا . فنشر عبد السلام المحب يباهي به صاحب قلائد العقيان حتى انه لو « تجسم لكان درا وعقيانا ، فلو رآه الفتح لبنى امره على الشم والتقبيل ، وقال هل الى مرد من سبيل ، او صاحب الخزانة لرغب فى ادخاره وكف عن اعجابه وافتخاره » (59) .

كل هذا يظهر التحام الثقافة والادب المغربيين بمثليهما الاندلسيين اكثر من ثقافة المشرق وادبه ، هذا الالتحام المتمثل فى اشارة المغاربة الى الاعلام الاندلسية ، واعتمادهم على اهم مؤلفات الاندلس ، واقوال مثقفيها مع احتذائهم فى الاسلوب والطريقة والموضوعات ... ولعل اهتمام المغاربة بالمقامات ، وكتابتها ، يرجع الى اطلاعهم عليها فى الادب الاندلسي كمقامة عبد السلام المحب الواردة فى فواصل الجمان (60) ، وليس معنى هذا ان الادب المشرقي واعلامه ، لم يكن معروفا . مع ان المغاربة كانوا على اتصال دائم بالمشرق ، بواسطة رحلاتهم المتعددة ، وتلمذتهم على الاعلام الشرقية قديما ، وبعثاتهم العلمية حديثا ، بل الملاحظ ان هناك تأثرا واضحا ايضا بهذا الادب المشرقي لدرجة التوافق شكلا ومضمونا في بعض الآثار الادبية ، تفطن الى هذا غريط صاحب الفواصل حين مقارنته بين المقامة الادريسية لعبد السلام المحب ومقامات الحريري قائلا عن مقامة المحب بأنها « كالمقامة الحريرية الاولى نفسا ونسقا ، وزهرا وورقا ، واحكاما وتأسيسا ، وابداعا وتجنيسا ، فلو لم تكن المقامات المذكورة مقصورة على الخمسين مشهورة بالحفظ والتدوين لقيل هذه منها ، ولم تتميز عنها » (61) .

الا ان هذه الاشارات والنقول المشرقية قليلة جدا فى كتاب فواصل الجمان وفى النماذج للاعلام المترجم لهم فيه ، اذا ما قيست بما نقل عن الادب الاندلسي وثقافة الاندلس .

(يتبع)

(56) فواصل الجمان ص 26 .
(57) فواصل الجمان ص 28 .
(58) فواصل الجمان ص 199 .
(59) فواصل الجمان ص 228 .
(60) فواصل الجمان ص 293 .
(61) فواصل الجمان ص 305 .



الجزية وما يثار حولها من أعداء الإسلام

للأستاذ حسين أحمد العليمي

الجزية ضريبة تفرض على رؤوس من دخل في ذمة المسلمين من أهل الكتاب . وهي من غير المسلمين قائمة مقام الزكاة من المسلمين ، وذلك ان كل فرد من افراد الدولة قادر على ان يؤدي قسطا مما يصرف في المصالح العامة يجب ان يفرض عليه هذا القسط ليكون له مقابل هذا الواجب التمتع بالحقوق .

فان كان الفرد من الرعية مسلما فالواجب عليه معين في ماله وهو الزكاة . وان كان من غير المسلمين فالواجب عليه معين على راسه ، وهو بمنزلة الزكاة من المسلم ، واذا اسلم الذمي سقطت عنه الجزية ووجبت عليه الزكاة في ماله .

واهل الذمة هم اهل الكتاب ، وبينهم وبين المسلمين عهد مؤبد ، ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

تاريخ الجزية :

ليست الجزية من محدثات الاسلام ، بل هي قديمة من اول عهد التمدن القديم . وقد فرضها اليونان على سكان سواحل آسيا الصغرى مقابل حمايتهم من هجمات الفينيقيين في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت فينيقيا آنذاك تابعة للفرس ، فهان على سكان تلك السواحل دفع المال مقابل حماية الرؤوس .

وقد وضع الرومان الجزية على الامم التي اخضعوها وكانت اكثر كثيرا مما وضعه المسلمون بعد ذلك . ويسجل التاريخ ان الرومان حين فتحوا غاليا (فرنسا) فرضوا على كل واحد من أهلها جزية تراوحت ما بين تسعة جنيهات وخمسة عشر جنيها في السنة ، اي ما يقرب من سبعة اضعاف جزية المسلمين .

وكان الفرس ايضا يجبون الجزية من رعاياهم . بل ان هناك من الباحثين من يرى ان الجزية فارسية الاصل ، وقد ذكر ابن الاثير ان كسرى أنوشروان امر عماله بجباية الجزية من الناس .

اصلاح الجزية في الاسلام :

الاصل في فرض الجزية نص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة واجماع علماء المسلمين . اما النص القرآني فقوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة الآية 29) .

واما السنة ، فما روى عن بريدة انه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث اميرا على سرية او جيش اوصاه بتقوى الله تعالى في خاصة نفسه ، وبمن معه من المسلمين خيرا ، وقال له :

« اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى خصال ثلاث : ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل وكف عنهم ، فان ابوا فادعهم الى اعطاء الجزية ، فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

كما روى عن المغيرة بن شعبة انه قال لجند كسرى يوم نهاوند : « امرنا نبينا رسول ربنا ان نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده او تؤدوا الجزية » .

وقد اجمع المسلمون على اخذ الجزية من الذميين .

وبهذا وجب على ولي الامر ان يضع الجزية على رقاب من دخل فى الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها فى دار الاسلام ، ويلتزم لهم ببذلها حقان : الاول هو الكف عنهم وعدم التعرض لهم بالقتال او بالاذى ، والثاني توفير الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين . وقد روى نافع ابن عمر قال : كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « احفظوني فى ذمتي » . وفى ذلك تاكيد واضح على وجوب توفير الامن والحماية لاهل الذمة الخاضعين لحكم المسلمين . انه تنبيه للمسلمين بضمان حقوق أهل الذمة مقابل التزامهم بواجباتهم ، ومنها اداء الجزية .

وتؤخذ الجزية من اهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى . ويجري المجوس مجراهم فى اخذ الجزية . وجماع القول فى الخاضعين للجزية هو ما ذهب اليه الامام مالك . . رضي الله عنه ، فانه راى ان الجزية تؤخذ من جميع أجناس الشرك والجحد وعبادة الاوثان عربا أو عجما ، كائنا من كانوا ، الا المرتد فانه يقتل ، وهذا هو الراي الارجح .

شروط سريان الجزية :

لاتؤخذ الا من : رجل ـ حر ـ عاقل .

واصل هذه الشروط ما روى عن النبي صلى الله عليه عليه وسلم انه حين بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له فى الجزية : « ان على كل حالم دينارا » .

وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كتب الى امراء الاجناد يامرهم « ان يقاتلوا فى سبيل الله ، ولا يقاتلوا الا من قاتلهم ، ولا يقتلوا النساء ولا الصبيان ، ويقتلوا الا من جرت عليه الموسى (اى البالغ الذي نبت شعر وجهه) ، ولا يضربوها على النساء والصبيان » .

وما تدل عليه الآية « قاتلوا الذين لا يؤمنون ». الآية ، وما تدل عليه أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وكتابات عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الجزية تؤخذ من « الرجال المقاتلين الاحرار » . ويدل ذلك على انه ليس على العبد جزية وان كان مقاتلا ، لان العبد لا مال له .

ويعفى من الجزية ـ فضلا عن العبيد ـ النساء والصبيان . ولو حدث ان اعطت امراة الجزية للمقام فى دار الاسلام فانه لا يلزمها ما بذلته ، وكان ذلك منها كالهبة لا تؤخذ منها ان امتنعت ولزمت ذمتها .

ويعفى من الجزية كذلك المساكين والرهبان فى الصوامع ، هذا اذا لم يخالط الرهبان الناس ويتخذوا المتاجر والمزارع ، فحكمهم فى هذه الحالة كسائر النصارى تؤخذ منهم الجزية . كما يشترط على الراهب الا يكون قد لجا الى الترهب بعد فرضها ، فان فرضت ثم ترهب لم يسقطها ترهبه .

وكذلك لا تؤخذ الجزية من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل ولا شيء له . ولا من الخنثى المشكل ، الا اذا زال اشكاله وبان انه رجل فيؤخذ منه فى مستقبل امره دون ماضيه .

ولا تؤخذ من الاعمى الذي لا حرفة له ولا عمل، ولا من المقعد ، الا ان يكون أيهما موسرا فتؤخذ منه.

وهكذا نجد ان الاسلام حدد الخاضعين للجزية بحدود دقيقة تؤدي الى ادخال نسبة كبيرة من اهل الكتاب الى دائرة الاعفاء من اداء الجزية .

مقدار الجزية :

اختلف الفقها فى قدر الجزية فذهب الامام ابو حنيفة الى تصنيف اهل الذمة ثلاثة أصناف :

ـ الاغنياء وتؤخذ منهم ثمانية واربعون درهما (تدفع على اقساط فى الشهر اربعة دراهم) .

ـ الاوساط ، اي متوسطو الحال ، ويؤخذ منهم اربعة وعشرون درهما (تقسط على درهمين فى الشهر) .

ــ الفقراء ، ويؤخذ منهم اثنا عشر درهمـا (تقسط على درهم واحد فى الشهر) ، فجعلها مقدرة الاقل والاكثر ومنح اجتهاد الولاة فيها .

وقال الامام مالك ان الجزية لا يقدر اقلهـا ولا اكثرها وهي متروكة لاجتهاد الولاة فى الطرفيـن . وذهب الامام الشافعي الى انها مقدرة الاقل بدينار واحد لا يجوز الاقتصار على اقل منه ، واما اكثرهـا فغير مقدر ويرجع فيه الى اجتهاد الولاة . ويجتهد راي الوالي فى التسوية بينهم جميعا أو التفضيـل بينهم بحسب احوالهم .

وقد كان مقدار الجزية فى بادىء الامر غيـر محدد ، اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقدرهـا بحسب الاحوال وعلى مقتضـى التراضـي بيـن المسلمين واهل الذمة . فلما صالح اهـل نجـران تراضوا على جزية مقدارها 2000 حلة فى صفر و 1000 حلة فى رجب ، والحلة ثمنها لوقيـة ، والاوقيـة اربعون درهما . وصالح اهل اذرح على مائة دينار فى شهر رجب من كل عام . وصالح اهل « مقنا » على ربع اخشابهم وغزولهم وكراعهم وزروعهم وثمارهم . وصالح غيرهم من يهود جزيرة العرب على ذلك .

وقد ظلت الجزية بلا تعيين الى آخر ايام ابي بكر ، فلما تولى عمر وكثرت الفتوح عين مقدارها ، وكتب الى امرائه يامرهم ان يجعلوا الجزية على أهل الفضة كل رجل اربعين درهما ، وعلى اهل الذهب اربعـة دنانيـر .

ثم اعاد عمر النظر فى مقدار الجزية بأن ابدلها بالنقود ، لان اسعار المواد الغذائية كانت قد ارتفعت فارهقت تكاليفها الناس . فخفف عمر عنهم ، وعدلت الجزية بعد ذلك فعينت باعتبار درجـات النـاس ومقدرتهم المالية .

وكان تقدير الجزية يتم على اساس ما يبقى فى ايدي الناس من دخلهم بعد نفقاتهم . ومثل على ذلك ما فعله عبد الملك بن مروان مع اهل الجزية بالعراق، فقد امر عامله هناك بأن يعيد تقدير الجزية ، فاحصى الرؤوس ، وجعل الناس عمالا بأيديهم ، وحسب ما يكسب العامل فى سنته ، وطرح من ذلك نفقة طعامه وادمه ، وطرح ايام الاعياد فى السنة كلها ، فوجـد الذي يحصل عليه العامل بعد ذلك اربعة دنانير لكل واحد فالزمهم دفعها .

فكان نظام احتساب الجزية كالآتي :

عدد ايام السنة ــ عدد ايام الاعياد ــ عدد ايام الشغـــل .

ايراد العامل فى ايام الشغل ــ نفقته كلها فى ايام الشغل = 4 دنانير وهو مقدار الجزية . ويتضح من ذلك ان تقدير الجزية فى الاسلام كان يتم بطريقة تشبه الطريقة العصرية فى فـرض الضرائـب على اساس صافي الايراد كما انه روعى فى فرضها الطاقة الضريبية للرعية .

اخطـــاء المستشرقيـــن :

مما سبق يتضح ان الجزيـة لم تفـرض فى الاسلام لتكون عوضا ماليا عن دم او عقيدة . وانما هي لحماية المغلوبين فى اموالهم وعقائدهم واعراضهـم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعاية مـع المسلمين سواء بسواء .

ان كثيرا من كتب المستشرقيـن تعرضـت لموضوع الجزية على انها نوع من الامتهان والاذلال ، وعلى انها تنطوي على تعصب لا يتفق مع ما ترضاه الحضارة الحديثة من تسامح .

وما يرمي به المستشرقون من دعاوي مغرضة ضد الاسلام فى موضوع الجزية انما هو مما يخالف الحقيقة التاريخية والحقيقة الاجتماعية . لقد ضمن الاسلام اعالة البائسين والمحتاجين من اهل الذمة . والدليل على ذلك ما جاء بعهد خالد بن الوليد لاهل الحيرة : « وايما شخص ضعف عن العمل او اصابته آفة من الآفات او كان غنيا فافتقر وصار اهل دينـه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته واعيل من بيت مال المسلميـن » .

وفرض الجزية لا يحمل معنى الامتهان والاذلال، ومعنى « صاغرون » فى آية الجزية هو الخضـوع ، والمراد به الخضوع لسلطان الدولة ، بحيث يكون فى دفع الجزية معنى الالتزام من قبل اهل الذمة بالولاء للدولة ، كما تلتزم الدولة فى مقابل ذلك بحمايتهـم ورعايتهم واحترام عقائدهم .

ولا توجد آية فى القرءان الكريم تدل أو تشير الى أن القتال فى الاسلام لحمل الناس على اعتناقه .

وقد نص القرءان الكريم بوضوح على طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » (الممتحنة 8 — 9) .

لقد اعفى الاسلام دافع الجزية من الخدمة فى الجيش ، والذمي الذي يقبل التطوع فى الجيش الاسلامي تسقط عنه الجزية ، وهذا معناه ان الجزية تشابه البدل النقدي للخدمة العسكرية فى عصرنا الحاضر . وجميع العهود التي ابرمت بين المسلمين وبين المغلوبين من اهل البلاد المفتوحة كانت تنص على حق الحماية لاهل البلاد فى عقائدهم واموالهم واعراضهم وكرامتهم فى مقابل دفع الجزية . وقد جاء فى احد عهود خالد بن الوليد : « اني عاهدتكم على الجزية والمنعة .. فان منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا حتى نمنعكم » .

وحين اضطر المسلمون الى مغادرة مدن الشام المفتوحة قبيل معركة اليرموك ، قاموا برد ما كانوا قد اخذوه من الجزية الى اهل البلاد . فرد خالد بن الوليد الجزية على اهل حمص ، ورد ابو عبيدة الجزية على اهل دمشق ، وهكذا فعل بقية القواد المسلمين . وكان مما قاله القواد المسلمون لاهل تلك البلاد : « انا كنا قد اخذنا منكم الجزية على المنعة والحماية ، ونحن الان عاجزون عن حمايتكم ، ، فهذه هي اموالكم نردها اليكم » .

وثمة زاوية اخرى نستطيع ان نرد منها على اراجيف المستشرقين ضد الاسلام فى موضوع الجزية . فقد يقول قائل بأن الاساس المعنوي للحضارة الحاكمة اليوم هو حرية الراي حرية لا حدود لها ، وان حرية الراي هذه هي لذلك عقيدة يدافع الناس عنها ويضحون فى سبيلها ويجاهدون لتحقيقها ويحاربون من اجلها . ويعتبرون ذلك كله آية من آيات المجد التي يفاخرون بها . ومن اجل ذلك يقول بعض المستشرقين ان دعوة الاسلام لمقاتلة من لا يؤمن بالله واليوم الاخر دعوة الى التعصب تتنافى وهذه الحرية . وهذه مغالطة مفضوحة اذا عرفنا ان قيمة الراي انما تكمن فى الدعوة له والعمل به .

ان الاسلام لم يدع الى مناواة المشركين من اهل الجزية اذا هم اذعنوا ولم يدعوا الى شركهم . والحضارة الحاكمة اليوم تحارب الآراء التي تناقض مواضيع العقيدة منها باشد مما كان يحارب المسلمون المشركين ، وتفرض على من هو فى موقف الكتابي بالنسبة لهذه الحضارة الحاكمة ما هو شر من الجزية الف مرة .

وكل تشريع يراد به قمع اية حركة اجتماعية او اقتصادية او سياسية انما هو حرب للراي الذي تصدر عنه هذه الحركة . وهذه الحرب تجد ما يسوغها فى مبلغ ما يصيب الجماعة الانسانية من ضرر اذا نفذت الاراء التي تشب الحرب عليها . فاذا اردنا ان نقدر دعوة الاسلام الى محاربة الشرك واهله حتى يذعنوا ، وهل هذه الحرب مسوغة او غير مسوغة ، وجب ان ننظر فيما تمثله فكرة الشر وما تدعو اليه . فان اتفقت الكلمة ــ ولقد اتفقت كل الاتفاق ــ على فادح ضررها بالجماعة الانسانية فى مختلف عصورها كان لاعلان الاسلام الحرب عليها ما يسوغه بل ما يوجبه .

ولا يبقى بوسع مدع ان يزعم بأن هناك شبهة استغلال او امتهان او اذلال فى فرض الجزية من المسلمين على اهل الذمة الخاضعين لسلطان الدولة الاسلامية . لان الجزية كما فرضها الاسلام متعلقة بحق الدولة فى تنظيم شؤون المواطنة بها ، بل لعلها فى ذلك تنطوي على قدر اكبر من السماحة فى معاملة رعايا الاقليات الدينية مما تستطيع ان تزعمه لنفسها انظمة الحكم فى العصر الحديث .

المراجـــــع :

1 ـ القـــرءان الكريـــــم .

2 ـ تفسير القرطبي ـ الجامع لاحكام القرءان لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة 1387 هـ .

3 ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينيــة لابـي الحسن علي بن محمد بن حبيـب الماوردي ـ مطبعة البابي الحلبـي ـ القاهرة 1393 هـ .

4 ـ الرسول القائد ـ اللواء الركن محمود شيـت خطاب ـ دار القلم ـ القاهرة 1383 هـ .

5 ـ حياة محمد ـ محمد حسين هيكـل ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة 1395 هـ .

6 ـ الجهاد ـ احمد محمد الحوفي ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ـ القاهرة 1390 هـ.

7 ـ مذكرات فى نظام الحكم فى الدولة الاسلامية ـ عمر شريف ـ معهد الدراســات الاسلاميــة القاهــرة 1394 .

8 ـ الموارد المالية فى الاسلام ـ ابراهيـم فؤاد احمد علي ـ معهد الدراسات الاسلاميــة ـ القاهــرة 1392 هـ .

جائزة الدولة التقديرية للدكتورة عائشة عبد الرحمن

● حصلت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنــت الشاطــىء) على جائزة الدولة التقديرية لسنة 1978 فى مصر . وهي ثاني امراة فى مصر تحصل على هذه الجائزة بعد الدكتورة سهير القلماوي .

والدكتورة عائشة عبد الرحمن ، حصلت على الدكتوراه بتقديـر ممتاز فى النصوص من كلية آداب القاهرة عام 1950 وجائزة المجمـع اللغوي فى نفس العام والجائزة الاولى للحكومة المصرية فى الدراسات الاجتماعية عن البادية المصرية ، وتقلدت العديد من المناصب العلمية منها استاذ التفسير بكلية الشريعة بفاس ودار الحديث الحسنيــة بالرباط ، واستاذ كرسي ورئيس قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية بجامعة عين شمس واستاذ منتدب بمركز تحقيق التراث ومستشار الدراسات العليا بكلية البنات بجامعة الرياض واستاذ منتدب للاشراف على بحوث الماجستير والدكتوراه بجامعة الازهر .

وقد شاركت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بأعمالها فى 20 مؤتمرا علميا وثقافيا فى مختلف دول العالم .

ومن مؤلفات الدكتورة (بنت الشاطيء) التفسير البياني للقرءان الكريم والاعجاز البياني للقرءان ، والقرءان والتفسير العصـري ومـع المصطفى صلى الله عليه وسلم والقرءان وقضايا الانسان (3 طبعـات) والشخصية الاسلامية ودراسة قرءانية ، الى جانب دراساتها اللغويــة والادبيــة .

القرآن كتاب هدى وهداية

للأستاذ عبد الرحمن العمراني الادريسي

انزل الله القرءان مرشــــدا للخيـــر ، دالا على الفلاح ، مبينا سبل النجاة ليس لطائفة دون اخرى او لجماعة دون غيرها فى وقت محدد ومكــان معيــن مخصوص ، وانما بالنسبة لكل الناس عربهم وعجمهم، ابيضهم واسودهم ، مومنهم وكافرهم فى مختلــف العصور ومطلق الامكنة .

فهداية القرءان بمعنى الارشاد والدلالة والتبيان هداية عامة وعلى الناس ان يختاروا بعد ذلك .

« شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان هــدى للناس وبينات من الهدى والفرقــان » (البقــرة)
« ان هذا القرءان يهدي للتي هــي اقــوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وان الذين لا يومنون بالآخــرة اعتدنــا لهم عذابــا اليما » (الاسراء) .

« فقالو انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جدر بنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، وانه كان يقول سفيهنا على الله شطــطا » (الجــن) .

فمن اعرض عن هدايته ، ولم يتبــع تعاليمــه وارشاداته ضل وتاه وانتهى به المطاف الى مــا لا يرضيه دنيا واخرى ، وكان المسؤول عــن نفسه ؛ اذ هو بمثابة من دله دال على الطريق الموصلــة الى مكان معين ؛ فخالف الدال ، وذهب فى اتجاه معاكس فلم يصل الى المقصود وضل ؛ فهو المذنب ، وهــو وحده الذي يتحمل مسؤولية الضــلال والضيــاع والتلــف .

اما من فتح قلبه ، وشرح صدر ، وتدبر واظهر قابلية واستعداد للعمل واتباع النصائح ولم يقل كما قال كفار قريش : « قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ؛ فاعمل اننا عاملون » (فصلت) .

فان القرءان يزيد فوق أن يرشده ويدعــوه ، وفوق ان يدله ويبين له معالم الطريق يزيد ، فيأخذ بيده ويساعده حتى يصل به الى المراد .

وهذه هداية اخرى للقرءان ، وهــي بمعنــى التوفيق والتيسير والتوصيل العملــي الى حيــث سعادة المرء ومبتغاه فى هذه الدار وفى الاخرى ، وهي خاصة بالمؤمنين لما أنهم صفت عقولهم ، وطهرت قلوبهم ، فاشرابت نفوسهم لامتثال ما جاء به ودعــا اليه ، وعزموا على طاعته بعد دراسته وتفهمه ، وقد اشار الله سبحانه الى هدايــة القــرءان هــذه ، واختصاصها باولئك الذين تطلعوا لهــا واظهــروا استعدادا وعزما لامتلاكها فى غير ما آية . قال تعالى: « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذيــن يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة وممــا رزقناهــم

ينفقون » (البقرة) . وقال : « فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ، واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ، ويهدي به كثيرا . وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ، ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون » (البقرة) . وقال : « ياهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (المائدة) .

فالقرءان يهدي الجادين المجدين الذين اقبلوا عليه ، فتدارسوه وتفهموه ووطنوا العزم على الاخذ به في سلوكهم وحياتهم الخاصة ، في بيوتهم وخلواتهم مع انفسهم واهلهم واقاربهم ، وفي حياتهم العامة : في الشارع وفي السوق ، في الادارة والمدرسة والمعهد ، في المصنع والمعمل والمتجر وحيثما كانوا . يهدي القرءان هؤلاء بمعنى انه ييسر لهم الامور ، ويمهد لهم الطرق ، ويأخذ بيدهم : فيظهر لهم الخير خيرا يسيرون اليه ، والشر شرا يجتنبونه ويبتعدون عنه ، وهكذا يزدادون من الاعمال الصالحة النافعة حتى يصلوا الى رضى الله والى ما تطمئن اليه نفوسهم ، فيفوزون بسعادة الدنيا والاخرى .

« فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى » (الليل) .

« يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ، فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » (المائدة) .

ولم يذكر الله سبحانه مقابل ، اما في قوله : « فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم .. » كأن يقول : « واما الذين كفروا بالله ونبذوا القرءان فسيبعدهم من رحمته » اشارة الى أن هذا الفريق ما كان ينبغي أن يكون ويوجد لو استعمل الانسان عقله ، وحكم فكره ، اذ ما يدعو اليه القرءان واضح بين ، فهو لا يدعو الا لما فيه خير المدعو ونفعه وصلاحه العاجل المحدود الآجل الممدود ، فكيف يخالف ؟ ! وكيف يعاكس ؟ !

لقد كان يجب أن يطاع ولا يعصى ، ويذكر ولا ينسى ، ولكنها الاهواء عمت فأعمت .

فللقرءان اذن هدايتان : هداية عامة لكل الناس ، وهي للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا « وانك لتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ، الا الى الله تصير الامور » (الشورى) وهداية خاصة بالمتفتحين المتطلعين المستعدين ، وهذه ليست للنبي صلى الله عليه وسلم « انك لا تهدي من احببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو اعلم بالمهتدين » (القصص) ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء » (البقرة) .

فلا تناقض بين ان يثبت الهدي للنبي صلى الله عليه وسلم تارة وينفي عنه اخرى في القرءان ما دام النفي والاثبات لم يتواردا على شيء واحد من حيث المعنى والمدلول .

والهدي بمعنى التوفيق والاسعاف هو الذي يطلبه المؤمن من ربه في كل صلواته حين يقرأ في الفاتحة : « اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ثم يطلب الاستجابة ؛ فيقول في خشوع وتطلع : « آمين » .

اما الهدي بمعنى الدعوة والبيان فهو حاصل ، قد من الله به على خلقه فاعطاهم اياه قبل ان يسألوه ، ولذلك لا يظهر ما تحمل به العلامة ابن القيم لجعل هذا الطلب شاملا للهدي العام في كتابه : (بدائع الفوائد) ج 2 ص 37 — 39 ط. المنيرية .

فالمؤمن بعد أن يظهر استعدادا وقابلية : فيتلبس بما امر به من طاعة وعبادة واخلاص يتوجه الى الله سبحانه سائلا منه ان يوصله الى مراده ويحقق له مبتغاه ، وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه بجوف الليل : « اللهم دعوتني فاجبت وامرتني فاطعت ، وهذا سحر فاغفر لي » .

فالهدي الخاص يعطيه الله سبحانه لمن تطلع في شوق ، فسعى وبذل الجهد للحصول عليه « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » (يونس) « ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يومن بالله يهد قلبه » (التغابن) .

اما من اعرض وادبر ، او استخف واستهزا فلا يحق ان يتساءل : لماذا لم يهدني القرءان ؟ لماذا لم يجعلني الله ضمن المهتدين الموفقين ؟ . كما لا يحق له بحال ان يحتج بمثل قوله سبحانه : « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » ولكن ليقرا بدل ذلك « يضل به كثيرا ، ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون » (البقرة) .

فهاته تفسر تلك وتبين المراد منها واضحا جليا . « ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار » (الزمر) « ان الله لا يهدي القوم الظالمين » (الاحقاف) « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » (غافر) « والله لا يهدي القوم الفاسقين » (الصف) « كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم » (آل عمران) « ان الذين لا يومنون بآيات الله لا يهديهم الله ، ولهم عذاب اليم » (النحل) .

فالله سبحانه علم من عباده مدى استعدادهم وقابليتهم للعمل بما دعاهم اليه وامرهم او نهاهم عنه ؛ فاعطى لكل واحد حسب ما علم من حاله « ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » (ن) « ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين » (القصص) « ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمين اعد لهم عذابا اليما » (الانسان) .

وهدي القرءان العام بمعنى النصح والتبيان كما يكون بصريح العبارة يكون بالاشارة والاسلوب وطريقة العرض ، ولهذا كان معجزا لكل الناس بل وحتى للجن ... « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الاسراء) .

وعاجز الله به فصحاء العرب وبلغاءهم ، وتحداهم ان ياتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا مع حرصهم الشديد على مناهضته واظهار أنه ليس بوحي من الله.

لقد اقسم الله فى القرءان باشياء كثيرة من مخلوقاته ؛ فاقسم بالكواكب والسماء ، واقسم بالوقت كالفجر والضحى والعصر والليل والنهار . واقسم بالقلم والكتابة فى أول سورة من القرءان على ما يراه بعض المفسرين ، وذلك فى قوله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون » واقسم ببعض الفواكه والاشجار كالتين والزيتون . اقسم بذلك اشارة الى ما لهذه المخلوقات من الاهمية بالنسبة الينا ، لما لنا فيها من الفوائد والمصالح التي يجب ان نبحث منها والا تفوتنا .

وهذا ان ذهبنا على أن الواو فى مثل قوله سبحانه : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والارض وما طحاها » هي واو القسم . وهذا ما عليه جمهور المفسرين . اما اذا ذهبنا على ان الواو هناك واو اللفت : لفت الابصار .. كما تراه استاذتنا الفاضلة الدكتورة عائشة عبد الرحمن فان الامر اشد وضوحا فى هذا المعنى حينئذ ، اذ يكون الله سبحانه قد اتى بتلك الواوات ومدخولاتهاليلفت ابصارنا وينبه عقولنا وبصائرنا الى ما أودعه فى تلك المخلوقات من اشياء تهمنا كثيرا ؛ فيجب ان نعرفها ونجد فى الاستفادة منها واستغلالها بحيث لا تضيع.

ولو عملنا بهذا الهدي ما سبقنا احد لدراسة الكواكب والكشف عن حقائقها وحركاتها وابعادها وتاثيرها وما قد تحتوي عليه من اسرار ومخبآت ، ولكنا نحن من يغزو الفضاء ويرتاد جوانبه ومجاهله .

لو عملنا بهذا الهدي لما كان للامية والجهل والتاخر الفكري ذكر بين افراد الجماعات الاسلامية ، ولكنا نحن المسلمين فى طليعة المتعلمين والعالمين ، بل لكنا اساتذة الارض وعلماءها .

وانه حقيقة لعجب ان تكون الامية منتشرة ، والجهل فاشيا ، والفكر راكدا فى امة اول ما انزل من كتابها الامر بالقراءة مؤكدا ، وذكر التعليم مكررا ، قال تعالى : « اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

لو اهتدينا بهدي هاته الاشارات الكريمة ما ضهانا احد فى ميدان الزراعة والانبات وتطوير النباتات وتدجينها واصلاح الاراضي وتجويدها .

لو كنا حقا امة القرءان لسبقنا الناس كل الناس الى اكتشاف اعماق البحار والمحيطات ودراستها واستخراج محتوياتها والانتفاع بها فيما بيننا ، وفيما بيننا وبين الآخرين .

ان هدي القرءان مما لا تمكن الاحاطة به والتحدث عنه في مثل هاته المقالة المتواضعة والاسطر القليلة التي تكون احدى مواد مجلة فكرية اسلامية ؛ لان ذلك مما يستحيل ؛ فالقرءان كله هدى وهدي .

فالقرءان هدي فيما يدعو اليه من عقائد ، وهو هدي فيما يدعو اليه من أحكام ، وهو هدي فيما يدعو اليه من عبادات وطقوس ، وهو هدي فيما يعرض له من قصص واخبار ، وهو هدي فيما يدعو اليه من اخلاق وآداب ، وهو هدي في اشاراته وايحاءاته واسلوبه وطريقة عرضه ، فهو قطعة هدي .

واذا كان علماء الاصول قد عرفوا القرءان بانه الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه . المتعبد بتلاوته .

فان منزله جلت قدرته قد وصفه بانه هدي ، وبانه رحمة ، وبانه شفاء ، وبانه موعظة ، وبانه تذكرة ، وبانه نور للعالمين .

نعم ؛ بالله فكتابك القرءان هدى يدل ويوضح ، ويدعو وينصح ، ويزيد ؛ فييسر ويساعد . ويأخذ بيد من يظهر استعدادا وقابلية للعمل بنصائحه وارشاداته واتباع دلالاته وبياناته ، وهو رحمة تطمئن بتعاليمه النفوس ، ويزول ما بها من ضيق وقنوط وقلق ويأس ، وتتفتح امامها مجالات الخير رحبة واسعة .

وهو شفاء للارواح ؛ يبعد عنها الحيرة ، ويحررها من قيود طغيان المادة وثقل عبئها ، ثم هو شفاء للاجسام لما بين الروح والجسم من ترابط واتصال من جهة ، ولما أودع الله فيه من أسرار تقصر عن ادراكها عقول البشر وافهامهم .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كنا في مسير لنا ؛ فنزلنا على حي من احياء العرب فاستضفناهم فأبوا أن يضيفونا ، فجاءت جارية فقالت : ان سيد الحي سليم (أي لديغ بعقرب) وان نفرنا غيب (1) ، فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل (هو أبو سعيد الخدري كما في مسلم) ما كنا نأبنه(2) فرقاه فبرأ (3) ؛ فأمر له بثلاثين شاة ، وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي ؟ قال : ما رقيت (4) الا بأم الكتاب . قلنا : لا تحدثوا شيئا حتى نأتي او نسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال : وما كان يدريه انها رقية . اقسموا واضربوا لي بسهم » البخاري ومسلم والترمذي والدارقطني (5) .

وهو موعظة وتذكرة ؛ يتعظ ويتذكر بتعاليمه وقصصه أولوا الالباب . وهو نور بين يسير على هديه من تمسك به واعتصم ؛ فلا يضل ولا يشقى .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين » رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه .

لقد رفع الله بالقرءان سلفنا الصالح ؛ فكانوا سادة الارض . وكانوا علماءها ، ومخترعيها ، وكانوا الذين لا يشق لهم غبار في كل حركة واتجاه ومضمار ، وها نحن ابناء اولئك السادة قد تفرقنا شذر مذر ، واصابنا ما اصابنا من الفشل والانحسار . فلماذا ؟ الجواب واضح ، لان اولئك اخذوا بالقرءان ، اتبعوا اوامره ، واجتنبوا نواهيه ، وجعلوا منه المصباح الذي يضيء كل ركن ودرب من حياتهم ، اما نحن فقد نبذنا القرءان ، وابتغينا الهدى في غيره من مذاهب بشرية لا تخلو من خطا وزيف ، وتهافت واغراض ، وجهل وضلال ، فكان ما نحن فيه وما نحن عليه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى » اخرجه الترمذي وغيره .

---

(1) بفتح الغين المعجمة والتحتية جمع غائب كخادم وخدم ، وفي رواية غيب بضم الغين وتشديد الياء المفتوحة كراكع وركع .

(2) نأبنه بنون فهمزة ساكنة فموحدة مضمومة وتكسر فنون اي ما كنا نتهم .

(3) برأ من المرض من بابي نفع وتعب ، وبرؤ برءا من باب قرب شفي .

(4) رقيت ارقي رقيا من باب رمى عوذته بالله ، والاسم الرقيا على وزن فعلى ، والمرة رقية .

(5) انصح القارىء الكريم بالرجوع الى كتاب : « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » للعلامة شيخ الاسلام ابن قيم الجوزية ؛ ففيه الشيء الكثير عن الاستشفاء بالقرءان وبالفاتحة خاصة : وما يتطلبه ذلك من شروط .

على ضفاف وادي المخازن

للأستاذ عبد العلي الوزاني

لا استطيع الكتابة عن معركة وادي المخازن بحياد المؤرخين ، بعد ان انزل بدرجة حرارتي الى مستوى تزول معه الحدة من لساني ، والوهج من كلماتي ، والانحياز من قلمي .. ها هنا لا قدرة لي على اقامة منطقة عازلة بين عقلي وقلبي ، وتجريد عواطفي من جواز المرور الى مناخ العقل البارد ، في الوقت الذي تطالبني فيه كل ذرة من كياني بمزاولة حقوقها الطبيعية .. وانا لا استطيع محاصرة نفسي ، ومنعها من الذهاب الى ملتقى غرامها بالتاريخ .. ولا قبل لي بوضع خواطري تحت (دوش) بارد ، حين تحرض هذه الخواطر على نبضها السريع ، الزائد على المستوى العادي ..

عندما اقتحم الفارس المغربي ارض اسبانيا ، واباح لحوافر فرسه ان تختال فوق اديمها الموشى الجميل ، وليده ان تمتد نحو فاكهتها المدلاة من حانيات الاغصان ، ولقدمه ان تمشي فوق سجاد قصورها العجمي ، اشتعل قلب اوربا غضبا .. وتولت اعصابها هزة كلفتها ارقا طويلا ، وحولت ايامها الى ليل ما له من آخر .. ولم يكن الفارس المغربي ضابطا في عصابات هولاكو .. ولا قائد كتيبة في جيش جنكيز خان الهمجي .. وانما كان سليل قوم توارثوا الشرف كابر عن كابر ، وتادبوا بروائع دين عطر شذاها سائر الآفاق . فلم يات اسبانيا اعصارا يحطم الاشجار ويعيث فسادا في زينة الطبيعة ، ولا زلزالا يضرب المباني ويردم معالم الحضارة ، ولكن اتاها شاعرا يهيم بقطرات الندى ، واجنحة الفرشات، ودقائق الحصى اذ تترقرق في صفاء الغدران .. فلم تمض على اقامته بها بضع عقود من السنين ، حتى جعل من تلك البلاد اجمل هدية من المغرب الاسلامي الى الغرب المسيحي .. وكانت الهدية من الروعة بحيث اذهلت الكثيرين ، فاستكثروا على المغربي ان تكون اقامته في اسبانيا بكل هذه الروعة والرقة والشاعرية ، وهو الذي يحمل في برنسه نثار الرمال، وفوق جبينه بقايا من غبار المعارك .. تعجبوا ، كيف تنبت الزهور في الكف الخشنة ، وكيف تتفجر العيون من بين الاصابع الغليظة ، وكيف تخضر الارض تحت الاقدام المحروقة بنار المواقع .. ومن ثم فانهم بيتوا للفارس المغربي الشر المستطير . اقسموا جهد ايمانهم ان يشعلوا النار في ثيابه ، وغرفة نومه، واوراقه الخاصة ، ويسمموا المياه التي يشرب ، والفاكهة التي ياكل ، والهواء الذي يستنشق ، وان ياسروا زوجاته ، وبناته ، ويردوه الى البحث عن منفذ للخلاص . لم يشفع له عندهم انه جعل البناء أشد ارتفاعا ، والفن اوفر ابداعا ، والحرف انقى جمالا ، وانه حول اسبانيا الشاعرة ، اسبانيا الفتانة ، الى عاصمة لكل البلاد الاوروبية ، تشع عليها فنا وعلما وادبا . تريها ازياء الحضارة زيا بعد زي ، وتبهرها بفنون العيش فنا بعد فن ، وتتحفها بآيات الجمال آية بعد آية ، حتى غدت اسبانيا تحفة مغربية عربية اسلامية . لم يشفع له كل ذلك ، اذ عز عليهم ان

تمطرهم سحب قادمة من سماء بلاد اسلامية ، وتنشر عليهم حضارة منبثقة من روائع الاسلام ، ويقف بينهم رجل منحدر من ارض العروبة ، لا تحمل يداه الدمار والخراب ، ولا تنبعث عنهما السنة النار ، وانما تسيل منهما الجداول ، وتصدر عنهما القصائد، وتنساب رقائق البيان ، ويرتفع بديع المعمار والبنيان ..

كان هذا اول عهد اوروبا بالحقد على المغرب ، ومن يومها وهي تستعدي عليه الصلبان ، وتؤلب ضده المسيح ، وتشي به لدى القساوسة والرهبان .. نكاية فيه كفرت بفضيلة المحبة ، جففت ينبوعها ، احرقت اغصانها ، ابادت خبزها ، سممت ماءها ، حتى لوت المسيحية عن قصدها النبيل ، ونشرت البشاعة فى وجهها الجميل ، واثارت الشبهات حول سمعتها العطرة .. والمغرب لم يفعل شيئا سوى انه قام بدوره التاريخي . كانت الظروف قد هيأته للقيام به . ولم يكن فى وسعه التخلي عنه ، لانه كان له قدرا ومصيرا .. والحياة رواية يقوم فيها البعض بالادوار الثانوية ، كي يترك للبعض الاخر دور البطولة. وهو لا يسند الا لمن برزت مواهبه فى الاداء .. وكان اقدر على الاستفادة من امكانياته . ولقد كان دور البطولة يومئذ من نصيب المغرب ، بينما تركت الادوار الثانوية للاخرين . ولم يكن هو الذي رشح نفسه للبطولة ، وانما التاريخ هو الذي رشحه لها . وهو لا يستطيع ان يرفض ، لان الظروف كلها كانت قد هيأته للاضطلاع بدور البطل . واحيانا تكون البطولة قدرا لا مفر منه ، فلا يملك من انيطت به الا ان يفي بما تفرضه من التزامات .. والمغرب بتاريخه وحضارته، واخلاقياته ، وموقعه الجغرافي ، كان مهيا ليصبح مركز التحولات السياسية فى الشمال الافريقي وفيما جاوره من بلاد اوروبا . ولم يكن فى امكانه ان يكف شخصيته عن الامتداد ، وان يصد يده عن الاستطالة، وان يطفىء فى حضارته مصابيح الاشعاع ، لانها تفعل ذلك من تلقاء نفسها ، ودون استئذان احد ، طالما كان ذلك جزءا من طبيعتها ..

وبالرغم من ان قضية الاندلس كانت قد دخلت سجل الامجاد المغربية القديمة ، والاحزان المغربية القديمة ، واستقرت فى وجدان الامة العربية كلها ، فصارت مجرد اغنية يترنم بها فى فاس ودمشق والقاهرة وديار نجد .. بكل ما تحمله من شجن وحنين الى الفردوس المفقود ، وبالرغم من ان المغرب كان قد كتم جروحه ونزيفه الداخلي بعد الفاجعة الاندلسية ، فان الحاقدين عليه كانوا ما زالوا يطرحون القضية المفروغ منها بالحاح شديد، ويحتدون فى مخاصمة المغرب بناء على انه العدو التقليدي رقم واحد . ومن ثم اخذوا يجربون فيه نزواتهم الآثمة ، وينشرون على اشجاره غسيلهم القذر ، ويرمون ازبالهم ونفاياتهم فوق مراسيه وشواطئه الجميلة .. ثم لم يلبثوا ان اعملوا اضراسهم فى لحمه ، فانكسرت الاضراس ولما يتحول اللحم الى لقمة سائغة .. لم يجدوا لحم المغرب كلحم الارانب او الغزلان ، ولكن وجدوه كلحم الاسود والجوارح ، فخاب املهم فى الوجبة التي يسيل لها اللعاب . وازداد حقدهم على اللحم الصلب الصعب المراس ، فاستبدلوا المدى والسكاكين بالاضراس المكسورة.. ولكن اللحم كان قد تحصن وراء قشرة سميكة تجرح احيانا وتنزف دما ، ولكنها لا تتحول ابدا الى حطام فى شدق ، ولا الى نفاية فى جوف طعمها شديد المرارة، وبشرتها خشنة الملمس ، شائكة الاديم ، كانها مزروعة بالحصى الحاد الزوايا او برؤوس المسامير .. كل من جرب قدرته فيها على اكل لحم الشعوب ، امتلأ فمه دما ، ودمره غثيان لا يطاق ، وفضل المجاعة على خطر الغداء من لحم الاسود ..

واستمر الحقد على المغرب يتضخم ، ويمتلىء بالصديد، وبالدم الفاسد ، الى ان وقع الانفجار بوادي المخازن، وخرج الجندي المغربي من المعركة منتصرا ، فانحنى النخيل فى بلادنا ساجدا لله ، وتمنت كل زوجة ان تلد ذكرا ، وتحول الحصى الى لآلىء تلتمع ، والتفت التاريخ ماخوذا الى هذه الناحية من العالم العربي ، وتساءلت جبال الحجاز : ما بال جبال الريف وجبال الاطلس المغربية تقيم الافراح ، وترفع قممها اكثر مما فعلت فى يوم من الايام .. ؟

فى معركة وادي المخازن ، قاتل المغاربة تحت راية القرءان ، وقاتل النصارى تحت ثالوث الصليب، فاثبت القرءان مرة اخرى انه اكبر ثروة يعتز بها المسلمون ، واعظم قوة فرضت لهم مكانتهم العتيدة من التاريخ . فالالوية التي قرئت عليها مائة ختمة من القرءان فى مراكش القادحة عيناها بالشرر ، قبل توجه جموع الابطال نحو ساحة المعركة ، بقيت تبارك المقاتلين ، وترفرف كالمظلة فوق رؤوسهم ، الى ان عادوا بها مهللين مكبرين ، وهي تنتقل من ساعد الى

ساعد ، مدينة القامة ، يسعها الفضاء من غبطة وانشراح ..

من معركة وادي المخازن خرج رجالنا الاشاوش ، خروج ابطال المسلمين من معركة بدر ، يقبلون ايديهم ويقلبونها ظهرا لبطن ، ويرطبون السنتهم بحمد الله ، ويحسون بمسؤولية جسيمة القت بثقلها فوق كواهلهم ، وهي لا تنوء بكلكلها الاعلى ظهور الرجال الذين هيأهم القدر للنهوض باضخم التبعات . ان الرجال الذين اذكت قلوبهم حرارة الايمان ، ظلوا يحتفظون بذكاء قلوبهم وحرارتها من ايام فتح الاندلس ، الى ايام معركة وادي المخازن . لم تنزل درجة هذه الحرارة عن مستواها المشبوب طيلة هذه المدة ، تشعلهم فى اية لحظة حرجة ، وتدفع قلوبهم الى التوثب والتلذذ بالاحتراق على ارض الجهاد ..

حارب الجيش المغربي بوادي المخازن ، برسالة كوماندو اسلامي ، قرر ان يعود بالنصر مهما كان الثمن . والثمن هنا رخيص مهما كبر . ولذلك خاضها حربا لا تحتمل الا معنى واحدا هو الظفر براس العدو ، وليست لها سوى غاية واحدة ، هي ان تظل جبهة المغرب اكثر اشراقا ، وقممه أعلى شموخا ، وزنده اشد قوة .. كل جندي من جنودنا البواسل ، كان يعرف — وهو يقتحم المعركة كسيف من سيوف الله — انه يقاتل عن الابقار المتهادية فى الحقول ، والسنابل المشرئبة فى المزارع ، والنساء المحجبات داخل البيوت ، وآيات القرءان المحفورة فى محاريب المساجد .. ومن يدري .. فربما اخر البناء بابنة عمه المشوقة ليشتري سلاحه وفرسه ومؤونته ، وربما اقسم ان يكون صداقه المقترح ، راس اكبر فارس من فرسان العدو المغير ، وربما اسف لانه لم يحضر الزلاقة ، فذوب اسفه فى وادي المخازن ..

جاء الجندي البرتغالي الى القصر الكبير . ورأسه محصن ضد اي فهم صحيح ، لحقيقة المواجهة المسلحة مع المغرب ، لان جدران هذا الراس مشغولة بخرائط المناطق المغربية التي تم احتلالها . وتصميمات المناطق التي يراها محتلة مستقبلا . والمغرورون دائما يخطئون فى الحساب ، لان غرورهم ينتزع منهم القدرة على الرؤية الواضحة ، ويزين لهم خداع النفس ، والثقة باكاذيبها الى ابعد الحدود . جاء وفي تصوره ان راكب الجمل لا قبل له بالصمود امام راكب الاسطول .. وان صاحب النخلة والخيمة والساقية لا شيء امام صاحب تجارة الرقيق .. ومالك مناجم الذهب .. والمتوسد أذرع المحظيات .. غير ملق بالا الى ان عطش الرمال كثيرا ما يمتص خضرة الروابي .. وان عناد النخيل قد يقهر عاتيات الرياح .. وان زهور البراري اصلب عودا من زهور البساتين الطرية الاديم ..

هناك فرق بين المقاتل المزود بآيات القرءان والمقاتل المزود بقنينة خمر .. بين من يحارب بغية الشهادة .. ومن يحارب بغية التشفي .. بين من يستانس فى حربه بصورة ميراندا .. ومن يستانس بسورة الفتح .. بين من يرى مثله الاعلى فى سبستيان .. ومن يراه فى يوسف بن تاشفين ..

لقد تعلم المحاربون المغاربة اسلوب احراق المراكب منذ ايام طارق بن زياد .. حتى يخوضوا المعركة بدون عقد ولا مركبات .. وهذه المرة لم تكن لهم مراكب يحرقونها ، فاحرقوا مركب العدو ، وهو الجسر الذي كان له حزام امن ، وطوق نجاة .. احرقوا مركبه ليخلصوه من نقض وعده باللقاء الدموي الرائع .. والجسور كانت وما تزال مصدر متاعب أو مسرات للمقاتلين ، والفائز هو من يحطم الجسر فى اللحظة المناسبة ، وكل الجسور عرضة للتحطيم فى ايام الحروب ، لانها المعابر التي تصل بين جناحي المعركة . فغيرها تمر السنة اللهب ، واليها يرتد المهزوم المنكسف ، وتحتها يختفي الرعد يد الجبان.

كنا نود ان يكون لقاؤنا باوروبا فى معارك الحضارة ، على مستوى العلم ، وعلى مستوى الفن ، على غرار غرامنا القديم بالاندلس ، حيث اعطاها المغرب ساعده القوي ، لتتكىء عليه ، وقدم لها ابناءه ليكونوا واجهته الفنية المفتوحة على العالم . ولكن شهوة الغزو كانت يومئذ اقوى من نزعة الفن ، ومن نزعة العلم ، فزينت لبعض الشعوب ان تمتلك جبين الشمس ، وتضع رجلا فى الشرق ، واخرى فى الغرب، وتتوسع كنقطة الزيت فى قطعة قماش .. وكنا يومئذ غير مستعدين للتنازل عن أى جزء من مساحة شخصيتنا .. ولا عن اي صخرة من صخور شواطئنا، او غيمة من غيوم سمائنا ، او سمكة من أسماك مياهنا الاقليمية .. رفضنا ان نكون بلادا مفتوحة ، وقد تعودنا على أن نكون الفاتحين منذ ايام طارق وموسى بن نصير ، وان نصبح فى بلادنا مواطنين من الدرجة الثانية او الثالثة . لم نقبل ان يتحول تلاميذنا

فى الفروسية ، وفى الحضارة ، الى أساتذة لنا ، بعد ان كنا نقدر لهم الدرجات ، ونمنحهم الجوائز المدرسية ، والشهادات العلمية .. وحيث انهم واجهونا فى ساحة المعركة ، بعيدا عن حجرة الدرس ، فقد أضطررنا الى ترك سمت الاساتذة ، والدخول فى لبوس المقاتلين .. فأمسكنا السيف عوض القلم .. ولم نحتفظ من صور البيان الا بآيات القرءان وقصائد الحماسة .. محولين الجانب الحربي منها الى واقع .. يبدأ من لمعان السيوف .. وفوهات البنادق .. لينتهي الى صدر العدو ..

وقد كان من عادة المغربي الا يفرط فى سلاحه، حتى عندما يكون شبح الحرب لا وجود له ، يزين به صدر بيته ، ويجعله قرين الصلابة فى الزند ، والشهامة فى الراس ، والاعتداد فى الشارب .. ما ما يفتأ يوليه من عنايته الشيء الكثير . يلمعه ، ويصقله ، ويشرب كؤوس الشاي المنعنع ، وهو يقلبه بين يديه ، ويختبر قدرته على الضربة الفاصلة، والحسم السريع .. كل مغربي كان يومئذ فارسا بالوراثة .. الفروسية جزء من نظام حياته اليومي ، كما ان تحويم النسور فوق قمم الجبال جزء من نظام حياتها اليومي .. ولذلك شهدت معركة وادي المخازن تحول كل المغاربة الى مقاتلين .. لا فرق بين الفقيه والاديب ، والشاعر ، والتاجر ، والفلاح . كل واحد منهم عاد الى سلاحه القديم ، فحمله من صدر البيت الى ساحة المعركة ، ونقله من معنى الاثاث الثمين يزين الدار ، وبروق الضيف ، الى معنى الاداة القاطعة ، توجه الاحداث ، وتمزق العدو ...

عند ما قاتلنا بوادي المخازن كنا نقوم بعملية تحجيم للجيش المغير .. ونحن خبراء فى هذه العملية .. انجزناها مرات عديدة .. وكانت دائما تكلل بالنجاح ، حتى أشتهر المحجم المغربي فى كل الآفاق .. بمبضعه القاطع .. العامل بخفة طيف ... ورشاقة سيف .. كلما دعي لهذه العملية حمل ادوات العمل وذهب لانجازها بدقة ومهارة .. والمحجمون الذين أجراها عليهم اذا لقوه يوما طأطأوا رؤوسهم ، وتولاهم الخجل من انفسهم ، وتلوت فى اعماقهم عقدة الشعور بالنقص ، واخذهم ما يشبه الاحساس بالذنب .. ونحن لا نخصي خصومنا .. وانما نحجمهم فقط ، حتى لا يقال عنا اننا ضد عوامل الاثمار والاخصاب .. والتحجيم الذي اجريناه بوادي المخازن ، تأخر عن موعده المناسب .. لدرجة ان المحجم كان قد استغلظ فاستوى على سوقه ..

واحتاج الى عملية قيصرية .. لتحجيمه بنجاح تام .. وفعلا فاننا احضرنا اقطع مباضعنا ، وامضى أمواسنا .. واشد رجالنا ، حتى نضمن قدرتنا على المرور بالعملية من المراحل الصعبة ، ونثبت مرة اخرى اننا ماهرون فى تحجيم من يعتدون على شرفنا .. لازالة الدم الفاسد ..

واخذ الجيش المغير ينزف بوادي المخازن بعد اجراء العملية .. ولكن النزيف لم يستمر الا يوما واحدا .. ولو تركناه يمتد الى اكثر من ذلك ، ، لكان نجاح العملية امرا مشكوكا فيه .. واستمرار النزيف يوما كاملا كان كافيا لتحويل الوادي الى نهر من الدم .. من الدم الازرق .. الذي لوث كل منحنيات الوادي .. فاضطرت الاشجار والكروم والزهور الى الشرب من مائه القذر مدة غير قصيرة .. وكفت الصبايا عن النزول الى ضفافه .. ليغمسن فيه اطرافهن .. ويملان منه جرارهن .. ويقرأن فى صفحته اخبار فرسان الاحلام القادمين .. وحزنت مدينة القصر الكبير .. واحتارت بين فرحة النصر ومصابها فى الوادي .. الوادي الذي كان لها واجهة جميلة خارجية .. ومصدر هبات ثمينة لا تنتهي .. يهبها زهورا تنثرها على سريرها .. وحللا تختال بها فوق بساطها .. وما ينفك يحيط عنقها بالقلائد .. ويرمي على خاصرتها اطواق الياسمين ، ويضع على رأسها اكاليل الورد .. الوادي الذي كان يتحفها بكل ذلك قد تسمم .. وتعرضت مياهه لجرثومة التلوث .. وسكنته الاشباح .. واستوطنته المردة والشياطين .. واقسم الناس انهم كانوا يشاهدون كل ليلة خيولا مخيفة تخرج منه .. وقد اضاء فى محاجرها ما يشبه الجمر المتوهج .. وعليها فرسان مخيفون .. تلوح منهم احيانا ملامح كريهة ترعب الناظرين .. ما يفتأون يركضون بخيولهم العجيبة تلك ، حتى تواريهم أمواج الظلام ..

كان وادي المخازن فيما مضى من تاريخه مجرد واد من أودية المغرب العديدة .. شريانا من شرايينه التي توزع دورته الدموية .. وتحكم الصلات بين شرقه وغربه ، وشماله وجنوبه .. ولا احد يفكر فى ان يسوق اليها كلمة شكر ، او يقيم لها حفل تكريم .. اعترافا بجميلها العميم .. كما لا احد يفكر فى شكر عينه اذ تعكس الضوء .. او يده اذ تجلب الرزق .. او رئته اذ تختزن الاوكسجين .. الى ان شهد الوادي المعركة ذات الصيت البعيد ، وانحازت مياهه لسكان الارض التي يجري فوقها .. وضحت

قنطرته من اجلهم بوجودها الذاتي .. وائتمرت ضفتاه بالاعداء المهاجمين .. فتحول الوادي من خط باللون الطبيعي ، يشق لوحة من أجمل ما ابدعت الطبيعة .. الى معلمة تاريخية توسدت اكبر صفحات التاريخ .. ونافست مثيلاتها فى شرف المجد ، وجاذبتها ثوب الخلود . ومن ثم صارت له سيرة أزكى عطرا من سيرة الرياحين ، وانقلبت كل قطرة من مياهه الى ماسة متلالئة ، فى ذاكرة الادب والتاريخ..

الوادي الذكرى .. الوادي الامل .. الوادي المقبرة .. الوادي الخرافة .. الوادي المسحور .. ذلك ما يكون الظلال النفسية لوادي المخازن . بعض هذه الظلال شفاف ، رقيق ، وبعضها مغرق فى العتمة ، ذاهب الى أعمق متاهات الغموض . لقد غير الوادي مجراه عدة مرات .. مرة انجذب نحو مياه التاريخ الشديدة الانحدار .. ومرة انعطف نحو مروج الادب الخضراء .. فقطف من زهورها قبل مواصلة رحلته الابدية .. ومرة عرج على المخيلة الشعبية ، فرأى نفسه فى مرآتها عجيب الشكل ، غريب الاطوار .. ومرات رفض لونه التقليدي .. وفضل الوان العيون المطلة عليه خلال ادوار التاريخ .. ولذلك شوهدت مياهه تارة زرقاء .. وتارة عسلية .. وتارة رمادية .. كأنها تمل لونها باستمرار .. فما تنفك تنقلب عليه بين الحين والحين .. وها هو الوادي العجيب يصل الينا نحن ابناء هذا الزمن :

مسافر زاده الخيال
والسحر والعطر والظلال

ظمآن والكأس فى يديه
والحب والفن والجمال (1)

ونحن نستقبل المسافر الحبيب ، الآتي من رحلته الطويلة .. راكبين اليه كل القطارات ، وكل السيارات ، وسيرا على الاقدام .. نحمل فى ايدينا اغصان الزيتون ، وفى لهواتنا كلمات الشعر ، وفى قلوبنا عواطف الاعزاز وفى مخيلتنا صور الماضي الاغر . قبل اليوم ، وفى وقت معين من الاسبوع والشهر والسنة ، ذهبنا الى وادي المخازن مقاتلين موتورين ، لان أسوار دارنا كانت تحترق .. وسوالف تخيلنا كانت تحترق .. وصمامات قلوبنا كانت تحترق .. اتينا الوادي بعد ان امضينا وثيقة تنازلنا عن حياتنا وتحللنا من كافة ارتباطاتنا .. والغينا كل تعهداتنا .. لان التعهد الذي نحن بصدده اولى بالتقديم من جميع تعهداتنا الاخرى . ولم نترك وراءنا اي شخص يرضى منا بغير النصر النهائي .. او الموت النهائي .. لا أب يستطيع لقاء ابن منهزم .. لا زوجة تستطيع احتضان زوج منهزم لا أخ يستطيع استقبال أخ منهزم .. الشعب المغربي كله لا قبل له بايواء اي محارب ألقى سلاحه وهرب .. لذلك كان مقاتلونا فرقة انتحارية .. لا تدخل النجاة فى حسابها الا اذا انتهت من انجاز مهمتها بنجاح تام ..

كذلك ذهبنا الى وادي المخازن فى وقت مضى. وها نحن نتجه نحوه اليوم ، ولكن بروح مختلف .. اتيناه هذه المرة بلهفة عاشق ذاهب الى موعد غرام.. وغرامنا خرج من حدود الآني ، واندمج فى المطلق.. لانه مشبع بجلال القدم ، متحد بخلايا الامة ، سابح فى الدورة الدموية للوطن ..

واما وادي المخازن نستطيع ان نذكر امورا كثيرة .. أرضنا الملتهبة .. افقنا الراعف .. سواعدنا الغاضبة .. خيولنا الراجعة من المعركة وقد علا أشداقها الزبد .. ونضحت مسامها بالعرق .. غير مقتنعة بأن المعركة قد انتهت .. فما تكف عن التوثب براكبيها ، تتطوح بهم هنا وهناك .. وتندفع بهم فى كل الاتجاهات .. لان لديها فضلا من طاقة .. وبقية من عزم جموح .. تكفيها لخوض معركة ثانية فى حجم المعركة المنتهية .. ولان الفارس لا بد ان يتأثر باخلاق فرسه .. مثلما يكون الامر فى الاتجاه المضاد ، فان الفرسان المغاربة لم يسعهم الا ان يضعوا انفسهم فى حوافر خيولهم .. مجاراة لها فى خوض معركة وهمية .. جمرها يتوهج فى الاحداق .. ويلتهب بين الحنايا والاكباد ..

الخيول العائدة من وادي المخازن صارت اجمل الخيول المغربية .. وأعز الخيول المغربية .. واعتبرت سلالتها انقى سلالات الخيول بهذه الديار. حرصت على امتلاكها قبائل الشمال .. وقبائل الجنوب .. والحظيرة الخالية من بعض أفرادها تلحق بحظائر الحمير والبغال .. ومن لم يركب فرسا

(1) البيتان لعلي محمود طه .

شهد وادي المخازن فى يومه الكبيـــر .. يعتبـــر فروسيته ما زالت تتلقى دروسها الاولية ..

لقد اهدت فاس لهذه الخيول مروجها المطرزة بخيوط الحرير المذهبة .. وتقدمت اليهـــا مراكش بامهر الخدم .. واكفا الساسة .. وتولت نســـاء البوادي تضفير اعناقها ونواصيهـــا .. وتوشيــة اطرافها بالحناء .. وكانت كل الخيول تتودد اليها .. وتحتك بها .. وتمشي خلفها .. وحـــرص جميـــع العرسان على ان يزفوا الى عرائسهم ممتطين بعـــض خيول وادي المخازن .. بينما تيمن الحجاج بركوبها قبل التوجه نحو الديار المقدسة .. واعفيت مـــن اكثر ما كانت تؤديه بقية الخيول من خدمـــات .. واوشكت ان تتخصص فى حمل زعماء القبائل اثنـاء مواسمها الكبيرة .. ولولا ان المغربي بطبعه يمقت التدليل .. لترك لها الحرية المطلقة فى التجوال عبر المزارع والحقول .. كابقـــار الهند المقدســـة .. ولاعفاها من سائر الخدمات .. قاصرا اياهـــا على ممارسة الغزل .. بين جنبات الطبيعة ..

لقد سبق ان قدمت اعتذارا لقارئي .. عـــن ارتفاع درجة حرارتي عند كتابة هـــذه الكلمـــات . ذلك اني لا استطيع الكتابة عن وادي المخازن بحياد المؤرخين .. فانا منحاز منذ اللحظة الاولـــى .. مغربـــي مائـــة بالمائـــة .. واذا كنـــت قـــد بدوت غير منحـــاز فى بعـــض ما كتبت فى هـــذا الموضوع ، فالحقيقة اني منحاز حتى فى هذا ، كل ما هناك اني حاولت اخفاء انحيازي ، ولكن فضحتني عبارات ندت عن قلمي فى هذا الموضوع او ذاك ..

فى وادي المخازن قاتلنا عن العروبة من موقعنا الخاص .. كما تقاتل الاسود عن مجموع الغاب مـــن عرينها الخاص .. ومثلما تردد الغابة زئير الاسود فقد هزت اصداؤنا كل بلاد العروبـــة .. فالتمعـــت عيون فى ديار نجد .. وحمحمت خيول فى بلاد الشام .. ورقصت قدود بارض الكنانة .. وكل الاخـــوة ابناء العمومة شكرونـــا .. لان لصوصا كانوا قـــد دخلوا بعض غرف البيت العربي .. فاجليناهم عنها .. واعدنا للبيت حصانته العتيدة .. وديدن العروبة ان تحتفل بالابطال .. لان ولادتها كانـــت على فـــراش البطولة .. ودرجت بين صفوف طويلـــة من كبـــار الرجال .. تلقت درسها الرياضـــي الاول فـــوق هضبات صدورهم .. وعلى ربـــوات زنودهـــم ..

واشتقت كلمات الحماسة من صيحاتهم .. وشمـــم الانف من كبرياء أنوفهم .. وفصاحة اللسان من رائع بيانهم .. ولذلك تعشقت الرجولـــة .. وهامـــت بحجب الابطال . فالبطل هو رجلها .. وهو والدها .. وهو ابنها .. وهو اخوها .. صلتها بكل واحد منهم ان يكون رجلا .. ورجلا فقط .. ومتـــى تخلـــت الرجولة عن واحد منهم .. ورفضت ان تكون له طبعه وخلقا .. لم تسمح له العروبـــة برؤية وجههـــا .. ولمس يدها .. والتدفؤ بعطفها ..

لقد كان انتصارنا بوادي المخازن مفخرة لكـــل القبائل العربية .. ليس ذلك لاننا محدثو نصر .. ولا لاننا كنا نتوقع الهزيمة فجاءنا النصر هدية مـــن هدايا الصدفة .. فنحن قوم لا نرضى بنصر مجاني .. ونرفضه متى رزقناه كالصدقة .. نحن كادحون فى ساح العالم .. وفى ساح التاريخ .. نعرق لنعيش .. ونعطي من ذات انفسنا الكثير ، لنحصل على مقعد فى صفوف الخالدين .. لم يكن نصرنا مفخرة لاجل ذلك، بل لان عائلة عربية صغيرة .. قامـــت بالحراســـة الشاملة لسلاسل الجبال العربية ، والاودية العربية ، والصحاري العربية .. وادت ضريبة الدم .. لتسهر سائر مدن الوطن العربي .. منصتـــة الى ربابـــة الشاعر .. ماخوذة باحاديث السامر .. قريرة العين .. رضية النفس .. يذهب اولادها الى اللعب .. وتثرثر نساؤها فى مداخل البيوت .. ويسمر رجالها سمرهم الممتع .. فلولا وقفتنـــا البطوليـــة بوادي المخازن ، لكانت العروبة مهددة بالوقوع فى الاسر .. ولربما اخذت خادمة فى بيت اعجمي .. ولربما ارغم ابناؤها على ان يشتغلوا رعاة للخنازير .. او سقاة فى خمارات العجم .. ولكن قطف راس سبستيان بوادي المخازن حسم الموقف .. واتاح للعربي ان يمـــد رجليه .. وان يضيف الى ديوان الحماسة .. وان يلعب بفرسه فى حلبة القبيلة .. مزهوا بنفســـه .. ومن بعيد ترقبه عيون ماخوذة عارمة الاشواق ...

عند رجوعنا من وادي المخازن طالت المسافة بيننا وبين بيوتنا اكثر من اللازم .. حتى لقد بـــدا الطريق وكانه بدون نهاية .. ذلك ان كل البيـــوت صارت بيوتنا .. وكل المغاربة صاروا اهلنا .. كل قرية مررنا بها احتضنتنا .. وقرات على رؤوسنـــا آية الكرسي .. واحاطتنا بالمعودتين .. والقت علينا بمسحوق الملح .. وكل مدينة اردنـــا اجتيازهـــا اعترضت سبيلنا .. وقادت اعنة خيولنا نحو احضانها

.. فاطعمتنا من راحة يدها .. وقطفت لنا من يانع زهرها .. وارتنا الوانا من فنها .. وما نكاد نرحل عنها رحيل الربيع عن الحقول .. حتى نجد في استقبالنا مدينة اخرى .. جميلة الزي .. مبسوطة الراحتين .. ممدودة الذراعين .. تقول : شرفونا يا ابطال .. ! دعونا نمسك بأعنة خيولكم .. ونداعب صلب سواعدكم .. ونتيه قليلا في محاسنكم .. لكم هنا متكا مريح .. ولسان شاكر فصيح .. ووداد رائع صريح ..

عودتنا من وادي المخازن كانت طريقها مفروشة بالقلوب والاكباد .. كل حجر رأيناه تحول الى غصن اخضر .. كل شبر وطئناه انشق عن نوار ازهر .. كل رابية اتكانا عليها احسسنا قلبها ينبض بقوة ... لقد كانت العودة أروع من كل ما كنا نتصور ... لاننا رفعنا المغرب فوق كاذبات الظنون .. وابعدناه عن مغرضات الاماني .. وحصناه ضد سافل الاطماع .. واوقفنا على ابوابه الكبيرة حراسا لا يغمض لهم جفن .. ولا يسهو لهم بال .. فطيوره تحلق آمنة .. وزهوره تبرعم وادعة .. واطفاله يتسلقون الاشجار ويقطفون الفاكهة .. لا يروعهم شيء .. ولا يتهددهم مكروه .. ومكروه يومئذ كان يظهر حيثما ظهرت القبعات الاجنبية .. والاحذية الاجنبية .. والبنادق الاجنبية .. حتى لقد تكونت لدينا عقدة تجاه هذه الاشياء .. اذ فضل الاجنبي ان يجيئنا غالبا وعلى كتفه بندقية .. وفي حزامه رصاص .. وفي يده الموت .. وبين عينيه ينعقد ما يشبه شبح الرعب ..

واستمر المغاربة يحتفظون زمنا طويلا بسلاحهم الذي عادوا به من معركة وادي المخازن .. يتوارثونه .. ويتهادونه .. ويبرمون حوله أوثق العهود .. ويقسمون بشرفه على انبل الغايات .. فهو فخر الاسرة ، ومجد القبيلة .. وشرف الامة .. وعز الوطن .. به يتصاول الانداد ويتفاخر الرجال ... وتتباهى ربات الحجال ..

عدنا من وادي المخازن بثروة معنوية غير قابلة للنفاذ ... واصبحت للوادي جداول بين كل قرية وقرية ... ومزرعة ومزرعة .. ودار ودار ... لقد كبر الوادي ، وامتدت شرايينه الى الكيان الوطني كله ... لانه بعد شهوده المعركة ، رفض اقليميته ... وفضل الانتساب الى كل شبر من ارض الوطن .. فكل فراشة تحط على فنن ، وكل وردة تتفتح في ايك ، وكل شحرور يغرد فوق غصن ، وكل نسمة تعبر الجو ، فيها شيء من هبات وادي المخازن .

فاس : عبد العلي الوزاني



التراث العربي

كمصدر في نظرية المعرفة والابداع في الشعر العربي المعاصر

عرض : محمد البوسرغيني

يتزايد في بغداد اليوم ، الاهتمام بالتراث العربي سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي تزايدا واضحا وملموسا الى حد كبير . وهو اهتمام فرضه الواقع الحضاري الذائع الصيت ، الذي ورثته العاصمة العراقية طيلة فتراتها الزاهية من تاريخها المجيد ، المليء بشتى الفعاليات والايجابيات على مستوى التاريخ الذهبي العام الذي رفرفت رايته خفاقة على الدولة العربية الاسلامية ، منذ ان انشأها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور سنة 145 هـ / 763 م ، لتكون عاصمة له ، تليق بدولة بني العباس الجديدة .

من بين الكتب الهامة التي وصلت الى المغرب مؤخرا ، كتاب الاستاذ طراد الكبيسي عن التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والابداع في الشعر العربي المعاصر من سلسلة « الموسوعة الصغيرة » التي تتناول مختلف العلوم والفنون والاداب الانسانية ، والتي تصدر بنجاح عن وزارة الثقافة والفنون العراقية .

يتساءل المؤلف في مقدمة كتابه :

— لماذا التراث ؟

بالفكر الواعي المحيط بالموضوع ، يجيب :

« تراث اية امة انما هو مجموع الخبرات التي حققتها عبر تاريخها الطويل في السياسة والادب والاقتصاد والقيادة والفلسفة وسائر العلوم الاخرى . كما انه يمثل وجدانها وعواطفها ومشاعرها وذوقها تجاه مختلف القضايا الانسانية والجمالية . فهو اذن شخصية الامة ووجودها التاريخي ماضيا وحاضرا ومستقبلا . وان تخلي امة عن تراثها فضلا عن انه امر مستحيل ، فهو يعني البداية من الصفر ، كما يسهل مهمة الغاء تراث الانسانية كله . والبداية من الصفر على فرض امكان ذلك ، والغاء تراث الانسانية يعني ايضا فيما يعنيه ، الغاء ملايين السنين من الاشواط التي قطعتها البشرية في مسيرة الحضارة . أي ان نبدأ من الفأس والمحراث اليدوي ، ونلغي التراكتور والحصادة ونعود الى البغال والحمير ! وندير ظهورنا لكل وسائط النقل الحديثة .

« ان الدعوات التي تطالب بتخلي الامة عن تراثها ، انما تطالب بتخلي الامة عن وجودها ، وتذويب شخصيتها في كيانات اخرى بعيدة عنها نفسيا واجتماعيا وتاريخيا . وهذا يعني أن تلقي بنفسها في الاغتراب . كما ان بعث التراث والمطالبة باعادة كتابة التاريخ العربي وتوجيه انظار الباحثين والدارسين والقارئين اليه ، ليس من أجل الحفظ بل الاستيعاب ، وليس من أجل التقليد بل الاستلهام وكسب الخبرة والمعرفة وتقدير الذات المبدعة ، والرد على المزاعم التي صنفت الامم والشعوب على أسس عنصرية الى امم مبدعة واخرى خاملة .

« فالتراث اذن ليس مجرد تراكم خبرات ومعارف ... وكتب . ولكنه اعتراف امام الذات والعالم ، اعتراف بوجود ، واعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي والنفسي .. الخ . ومن حقها ان تستقل وان تنمو ، وأن تشق طريقها وفق طبيعة ظروفها وارضها وتاريخها .. وعلى أساس وحدة شخصيتها القومية ،وتفاعلها الحر مع التراث الانساني الحضاري الشامل ، واعتراف أيضا بما حققه الماضي وما يمكن ان يحققه الحاضر والمستقبل من خلال اختبار وتقدير الطاقات الابداعية فى انسان هذه البيئة .

« يعني هذا ان التراث ليس شهادة على ما حققه الماضي وحسب ، بل وعلى ما يحققه الماضي للحاضر ، وما يقدر ان يحققه الحاضر للمستقبل . فالكاتب المعاصر بتعامله مع التراث كمصدر للتدليل على الحاضر قد توصل الى الايمان بأن الماضي والحاضر انما يتملكان نفس الخصائص الثابتة . وبأن النفس البشرية قد تخضع لنفس المشاكل والتناقضات في كل الازمنة » .

● ماهية التراث :

ان التراث هو تاريخ الامة السياسي والاجتماعي والنظم الاقتصادية والقانونية التي شرعتها ، ومجموع خبراتها الادبية ومنجزاتها فى الطب والكيمياء والفلك والفيزياء وعلم الاجتماع والنفس وفن التصوير والعمارة والتزيق ، يضاف الى هذا الخبرات المكتسبة عن طريق الممارسات اليومية والعلائق الاجتماعية التي كثيرا ما تصاغ فى حكايات وخرافات وامثال وحكم ومزح تجري على السنة الناس بأساليب تعبيرية متنوعة تعكس خبراتهم النفسية والوجدانية ونشاطاتهم التخيلية ومواقعهم الاجتماعية ومواقفهم السياسية .. الخ » .

لقد عرف الشاعر العربي على مد العصور موروثه واستفاد منه تضمينا واستلهاما وتشبيها ؛ كما عرف الموروث الانساني أو بعضا منه ، فأفاد منه فوائد متنوعة . ولكن الموروث بالنسبة للشاعر العربي الحديث ، والموقف منه ، يكاد يكون متميزا بحكم تطور وعي الشاعر : موقفه ومفهومه للثقافة ؛ والثقافة فى الشعر ومعنى الحداثة والاستلهام والاستيحاء . كما لا نستطيع ان نعزل موقف الشاعر هذا عن التحديات التي واجهتها الامة العربية من قبل الاستعمار والصهيونية ، ومحاولة طمس التراث العربي الاصيل ، وايجاد القطيعة مع الماضي ، وعزل الجماهير عن تراثها الفكري والعلمي والنضالي ، وتشويه عبقريتها فى الشعر والفكر واللغة ، حيث (وصلت الدعوة بالبعض الى محاربة كل ما هو وطني وتبني الابجدية اللاتينية) .

ويقدم الاستاذ الكبيسي ثلاثة حلول لكي يصير التراث العربي جزء من تجربة الشاعر المعاصر وداخلا فى ثوابته الفكرية والابداعية وهذه الحلول هي :

● **اولا : رؤية ذاتية نقدية متسعة :** التراث ليس شيئا نقرؤه ونحفظه ، بل نحياه ونمارسه . ولذا لا بد من أن ننخله ونهضمه ونرتقي به الى مستوى قضايانا المعاصرة .

● **ثانيا : تحقيق العلاقة الجدلية** بين الموضوعة التاريخية والموضوعة المعاصرة الموظف لها .

● **ثالثا : تكافؤ العلاقة بين الرؤية الذاتية** والتقدير الشخصي من جهة ، وبين الحقيقة الموضوعية فى اطارها التاريخي من جهة أخرى .

يعني ان التراث بما هو بالنسبة للمبدع : رموز وحيوات مليئة بالنشاط ، ومصدر للمعرفة ، وحافز على الابداع :

1 ـ ليس المطلوب اعادة تسجيله (وتضمينه) رغم ان بعض التضمينات توحي بالتناقض بين الماضي والحاضر ، أو قد تجيء وكأنها جزء من سياق القصيدة وطبيعتها أو توحي بأن الحاضر اذ يشير الى الماضي انما يحاول تجاوز نفسه . ولكن المطلوب اكتشاف القدرات الملهمة فيه للانسان المعاصر لاجتياز وضع أو ازمة مثلا كما حصل بعد نكسة يونيو 1967 ، حيث اصبحت العودة الى التراث متكأ يستند اليه الوعي لتجاوز وضع نفسي معين .

2 ـ كما ان كون التراث يشكل مصدرا فى نظرية المعرفة لدى الشاعر المعاصر لا يعني ذلك اننا

تجعل من الشاعر عارضا نظريات أو مخترع افكار أو ببلوغرافيا لثقافات الامم وفلسفتها وميثولوجيا الشعوب .

فالثقافة في الشعر رؤى وليس نظريات تتغلغل في الوعي وتتسرب الى القارىء دون قصد، وبصورة تلقائية كما تتسرب المياه الجوفية تحت قشرة الارض فتمصها جذور الشجر والنبات . ولا تقتصر الثقافة على الافكار ومعرفة الحوادث والتاريخ واتجاهات الفلسفة واحوال المجتمع ... بل تتعدى وتتبدى كذلك في الاساليب وادراك ما هو مستنفذ منها ، وما تزال فيه حيوية ، وفي اللغة ايضا حيث هي وسيلة وهدفه الاول للتغيير .

* * *

بالاضافة الى المقدمة ، ينقسم كتاب الاستاذ طراد الكبيسي الى ثلاثة اقسام :

● **القسم الال :** ويتناول الملاحم والاساطير والخرافات والحكايات وقصص الخلق والخصب والنماء ، وسيرة عنترة بن شداد الشعبية ، وقصص الف ليلة وليلة ، وبني هلال . هذا فضلا عن تاريخ هذه الحضارات القديمة ، مما يدخل جميعا تحت مصطلح (الفولكلور) .

لقد افاد الشاعر المعاصر من موروثه القديم : قصصا وملاحم واساطير ، افادات متنوعة تضمينا واقتباسا ، احتواء واستيحاء ، كالشاعر حسب الشيخ جعفر الذي استفاد من اسطورتين واغنيتين قديمتين سومريتين ، وكذلك عبد الوهاب البياتي ، وبدر شاكر السياب ، وخليل حاوي ، وادونيس . ان الشاعر وموقفه من العالم والاشياء هو صورة عن نظام ابداعي جديد يرتكز على حس عميق بالتاريخ ، ورؤيا توحد بين الازمنة والامكنة والحضارات .

● **القسم الثاني :** الموروث العربي قبل وبعد الاسلام وذلك من خلال بعض النماذج الشعرية عند كل من البياتي والسياب وحميد سعيد وسامي المهدي وادونيس وصلاح عبد الصبور في الخمسينات والستينات والسبعينات ، لان نتاج هؤلاء الشعراء غني بموروث المنطقة العربية ، فهو يضج به ، ويتضمنه ، ويفوح بروائحه لغة وصورا وجوا وروحا .. بحيث من العسير فرز بعضه عن بعضه ، فهو متلبس به ، متماسك معه اقتباسا وتضمينا .

● **القسم الثالث :** البحث عن الحرفيات الاسلوبية والجمالية واللغوية مما يمكن ان يشكل الجانب الجمالي المستوحى من التراث في نظرية الابداع الفني في الشعر العربي الحديث .

لقد ظفر التراث من قبل حركة التجديد الشعري الحديثة ، بتقدير لم يسبق له مثيل . ذلك ما لم يعد يخاصم فيه احد . واندحرت كل التهم التي وجهت الى الحركة في بدايتها حتى غدت اضحوكة اليوم . ولكن هذا التقدير لا يعني أن نجعل من الشعر المعاصر صورة للماضي او ان النواحي المتفردة فيه ، انما هي تلك التي وضع عليها اسلاف الشاعر المعاصر طابع خلودهم بأسطع الالوان .

ان الصلة مع التراث كمصدر في نظرية المعرفة وكحافز في سيكولوجية الابداع لا تأتي — في نظر المؤلف — الا من خلال المعاناة المستمرة للتراث : فهمه واستيعابه بوعي — تقدي تاريخي عال ، واستلهام المنابع الحية فيه : الجمالية والفكرية بموهبة ومخيلة نشطة فاعلة ومنفعلة لا بالسخرية منه والكذب عليه .. ولا باعادة (حليب النوق .. وسروج الخيل ... والنخوة العشائرية ..) .

اما التقدير التاريخي والابداعي لتراث الحضارات القديمة السابقة للحضارات العربية الاسلامية ، فيأتي من كون هذا التراث قد اغنى هذه الحضارة ، وكان رافدا مهما من روافد رقيها . وهو اليوم يكتسب حيويته ايضا من كونه ما يزال ينطوي على كثير من المؤثرات الابداعية التي تصب في مجرى التطور والنهوض الحضاري العربي المعاصر . وذلك أن دراسة الانثربولوجية اليوم ، وبالمناهج العلمية المقارنة ، تشكل البوابة التي ننفذ منها غالبا الى عالم الشعر المعاصر كما قال جورج كوبلر . لا لان هذه الدراسة للانثربولوجية تقترن عادة بالمعاني والخبرات التقليدية ، ولكن لانها تبرز المهارة العملية للفنان لاعادة ترتيب المادة التاريخية ... واغنائها ضمن حدود قدراته الابداعية وهذا لا ينسحب على

الانثربولوجية وحسب ، بل وعلى دراسة التراث كله سواء ما كان منه عمليا أو أسطوريا ، تاريخيا معاشا ام انثروبولوجيا تاريخية . لذا فان القول بان اعادة النظر فى التراث بشكله الايجابي والابداعـي جاءت مصاحبة لحركة الابداع الشعري قول صحيح جدا .

وتأسيس رؤية ابداعية ومعرفية مستمدة مـن التراث العربي لا يعني التقليل من اهميـة الموروث الانساني والثقافة المعاصرة . بل هي امتداد لهما ، وتأسيس بضوئهما أيضا . كما لا يعني التقليل مـن اهمية الموهبة الفردية ان لم تكن هي اخصاب لهـا ، وتحفيز وضمان للنبع الابداعي مـن أن ينضـب .

واذا ادركنا أن العناصر الايجابية فى التراث هي دائما سبق للزمن وتخط له ، ادركنا أن الموهبـة الحقة هي القادرة على التقاط هذا السبق الزمني فى الماضي واحالته الى سبق زمنـي فى الحاضـر . فالعمل الفني العظيم هو دائما خارج الزمن ـ الوقت. اي أنه طموح الانسان ومجاهدته للارتقاء على الواقـع والفناء والتقليد ، والذي يقرأ التـراث ولا يصيـب معرفة او لا يدركه التغيير فى أفكـاره وخصوبـة مخيلته ، فكأنه غير قارىء أو قارىء ولكـن بباصرة عمياء . ولست مع أولئك القائليـن بأن استمـداد الشاعر لعناصر التراث فى ادبه خطر على شخصيته وحسابه الخاص . فلئن تخصب التربـة بالسمـاد خير من أن تترك لذاتها حتى يصيبها العقم . ولئـن نتصرف على خلاف ما عرفناه خير من أن نتصرف عن عمى أو عدم وضوح . فالتراث اذا ما قرىء كما ينبغي لا شك « سيمنحنا فرصة كبيرة لتوسيع اقتناصنـا الخيالي لكثير من نواحي التجربة الانسانيـة ، واذا اردنا أن نتصرف بطريقة حسنة فيما بعد ، فقد نكون قادرين على أن نفعل ذلك بمرونة اكثر وبصيرة أنفذ ».

وحسبنا قد أوفينا هذا الكتاب القيـم مـا يستحقه من الاهتمام والتقييم والاعتبار . ومع أنـه أول بحث يتناول هذا الموضوع ، فالامل وطيد لاعادة كتابته بتوسع أكبر ليستمد لا منطقة الشرق ، بل كل الوطن العربي من محيطه الى خليجه .

وتهنئة للزميل طراد الكبيسي على ريادته هذا البحث الشاق ، وعلى توليه أمور تسييـر هـذه الموسوعة التي نتمنى لها المزيد مـن التوفيـق . والنجـاح تلو النجـاح .





للأستاذ : عبد القادر زمامه

767 — 751

751 — زكندر وفضة المغرب :

وجدت في كتاب « آثار البلاد واخبار العباد » تاليف زكرياء القزويني ص 199 ط بيروت 1969 م

« زكندر : مدينة بالمغرب من بلاد بربر . بينها وبين مراكش ست مراحل ... حدثني الفقيه علي بن عبد الله المغربي الجنحاني انها مدينة كبيرة مسورة كثيرة الخيرات والثمرات . اهلها برابر مسلمون .. بها معادن الفضة عامة . كل من اراد يعالجها وهي غيران تحت الارض . فيها خلق كثير . يعملون ابدا . ومن عادات اهل المدينة أن من جنى جناية او وجب عليه حق فدخل شيئا من تلك الغيران . سقط عنه الطلب . حتى يخرج منها . وفيها أسواق ومساكن فلعل الخائف يعمل فيها مدة وينفق فلا يخرج حتى يسهل الله أمره ...

وذكر انهم اذا نزلوا عشرين ذراعا نزل الماء فالسلطان ينصب عليها الدواليب ويسقي ماءها ليظهر الطين . فيخرجه الفعلة الى ظاهر الارض ويغسلونها. وانما يفعل ذلك لياخذ خمس النيل . وماؤها يستقى ثلاث دفعات .... ! لان من وجه الارض الى الماء عشرين ذراعا ... فينصب دولابا في الغار على وجه الماء فيستقي ويصب في حوض كبير . وينصب على ذلك الحوض دولابا آخر فيستقي ويصب في حوض آخر . ثم ينصب الى ذلك الحوض دولابا ثالثا فيستقي ويجري على وجه الارض الى المزارع والبساتين ...

وذكروا ان هذه المعاملة لا تصح الا من صاحب مال كثير له ءالاف ... يقعد على باب الغار ويكري الصناع والعملة . فيخرجون الطين ويغسلونه بين يديه . حتى اذا تم العمل اخرج خمس السلطان . وسلم الباقي له فربما يكون أصغر مما أنفق . وربما يكون دونه على قدر جد الرجل .... !! »

752 — قياس أبي حنيفة ... !

وجدت في كتاب « الاخبار الموفقيات » تاليف الزبير بن بكار ص. 75) ط. بغداد ، 1972 م .

قال ابن شبرمة : دخلت انا وابو حنيفة على جعفر بن محمد بن علي . فسلمت ، وكنت له صديقا ، ثم اقبلت على جعفر فقلت له : امتع الله بك ! هذا رجل من اهل العراق ، له فقه وعلم . فقال لي جعفر : لعله الذي يقيس الدين برايه .. ! ثم اقبل علي فقال : هو النعمان بن ثابت . قال : ولم اعرف اسمه الا ذلك اليوم .. ! فقال له ابو حنيفة :

— نعم أصلحك الله ... ! فقال له جعفر :

— اتق الله . ولا تقس الدين برايك . فان أول من قاس ابليس .. ! اذ أمره الله تعالى بالسجود لآدم فقال :

— « انا خير منه . خلقتني من نار . وخلقته من طيـــن » .
ثم قال لـــه جعفـــر :

— هل تحسن ان تقيس راسك من جسدك .. ؟
فقال : لا . فقال :

— اخبرني عن الملوحة في العينين ... ! وعن المرارة في الاذنين ! وعن الماء في المنخرين .! وعن العذوبة في الشفتين .. ! ولاي شيء جعل ذلك ... ؟ قال : لا ادري . قال له جعفر :

— ان الله تبارك وتعالى خلق العينين ، فجعلهمـــا شحمتين . وجعل الملوحة فيهما منا على ابـــن آدم . ولولا ذلك لذابتا ـ فذهبتا . وجعـــل المرارة في الاذنين منا منه عليه ، فلولا ذلـــك لهجمت الدواب فاكلت دماغه .. ! وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينـــزل . ويجد منه الريح الطيبة من الريح الردية ... ! وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه ... ! ثم قال لابي حنيفة :

— اخبرني عن كلمة ، أولها شرك ، وآخرها ايمان ، ما هي ..؟
قال : لا ادري .... قال :

— قول الرجل : « لا اله الا الله » . فلـــو قال : لا اله ، ثم امسك . كان مشركا ... ! تهـــذه كلمة أولها شرك وآخرها ايمان ... ! ثم قال : ويحـــك ... !

— ايهما اعظم عند الله تعالى . قتل النفس التي حرم الله . ام الزنا ... ؟ قـــال :

— لا ... بل قتل النفس ... قال له جعفر :

— ان الله تبارك اسمه . قد رضي وقبل في قتل النفس بشاهدين ... ولم يقبل في الزنـــا الا اربعة ... ! فكيف يقوم لك قيـــاس ... ؟ ثـــم قـــال :

— ايما اعظم عند الله . الصوم او الصلاة ... ؟ قـــال :

— لا ... بـــل الصلاة ... قـــال :

— فما بال المراة ، ان حاضت ، تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة ... ؟ اتق الله يا عبد الله ... ! ولا تقس . نقف نحن غدا وانت ومن خالفنا . بين يدي الله عز وجل ، فنقول :

— قال الله عز وجل ... ! قال رسول الله صلى عليه وآله وصحبـــه ... ! وتقـــول أنـــت واصحابـــك ...

— سمعنا ورأينا ... ! فيعمـــل بنـــا وبكـــم ما يشـــاء ... !

753 — راع يترجم شعر زنجي ... ؟

وجدت في كتاب « الاخبار الموفقيات » للزبير ابن بكار ، ص 517 ، ط. بغداد ، 1972 م .

« حدثني الزبير قال : حدثني محمد بن الحسن قال : اخبرني هبيرة بن مرة القشيري . قال :

كان لي غلام يسوق ناطحا لي . فكان يرطـــن بالزنجية ، بشيء شبه الشعر ... ولا اعرفه ... ! فجاءنا راع يتفصح ، فقلت له : تروي ما يقول هذا ! . واخبرنا به . قال : فانه يقول :

فقلت لها اني اهتديت لفتية
اناخوا بعجماج قلائص سهما

فقالت : كذاك العاشقون ومن يخف
عيون الاعادي يجعل الليل سلما

754 — شفعـــوي المذهـــب ... ؟

وجدت في النصوص المطبوعـــة باســـم : « سؤلات الحافظ السلفي لخميس الحوزي عن جماعة من اهل واسط » ص 26 ، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق 1976 م

« وسالته عن ابى الحسن عبد السلام بن عبد الملك بن حبيب البزاز فقال : لم ار له سماعا الا من ابي غانم سهل ابن اسماعيل بن بلبل الفقيه الخطاحي.

وكان ابو غانم صدوقا صحيح السماع (شفعوي المذهب) » (1) .

755 — اعلام من بني جهور القرطبيين في مدينة واسط العراقية

وجدت في النصوص المطبوعة باسم « سؤالات الحافظ السلفي لخميس الحوزي عن جماعة من اهل واسط » ص 56 ، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1976 م .

« الكلام عن ثلاثة من اعلام بني جهور القرطبيين الذين رحلوا عن الاندلس الى المشرق واستقروا في مدينة واسط العراقية بعد انهيار دولتهم في قرطبة ... ! وهم :

1 - ابو تغلب ...

2 - ابو الفضل ...

3 - ابو المجد ...

756 — ليس في الهيشات قود .... !!

وجدت في كتاب «الوسيط في تراجم ادباء شنقيط» في ترجمة باب بن احمد بيب . ص 37 من الطبعة الثانية . القاهرة 1958 .

« ومن عجيب استحضاره أنه في وقعة (لميلح) بين ادوعل ، وادا ولبحسن . سعت بينهم وفود الزوايا في الصلح . فتراضوا بحكم الشرع . وحكموا عالما ديمانيا فاستظهر ان يقتل اربعة من ادوعل ، باربعة من ادو بلحسن . قتلوا في تلك المعركة ...

فقال صاحب الترجمة : ان مثل هذا لا قصاص فيه ... !

فقال القاضي : ان هذا لا يوجد في كتاب ....
فقال هو : لم يخل منه كتاب ... !

فقال القاضي هذا القاموس ... ! « يعني انه يدخل في عموم كتاب » فتناول صاحب الترجمة القاموس واول ما وقع نظره عليه :

« والهيشة . الفتنة . وام حبين ... وليس في الهيشات قود ... !!

اي في القتيل في الفتنة لا يدري قاتله ... ! فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في ذلك الوقت المحرج » .

757 — اندر « سنغال »

وجدت في كتاب « الوسيط في تراجم ادباء شنقيط » ص 422 الطبعة الثانية . القاهرة 1958 م عند كلام المؤلف على حدود شنقيط :

« ويحده غربا بلاد سنكال او سنغال المعروفة عند اهل شنقيط باندر ... وهي خارجة عنه ... »

758 — يكرم العكاكزة ... !

وجدت في محاضرات اليوسي الطبعة الحجرية ص 145 :

« حدثني الاستاذ المقري الفاضل ابو عبد الله الشرقي بن ابي بكر الدلائي عن والده سيدي ابي بكر . انه كان ذات يوم هربت العكاكزة أولاد عبد الحق بن المنزول ... من بلادهم فنزلوا بساحته . وهم جياع . ووجدوا زرع زاويته محصودا مجموعا فقال لهم :

— ادرسوا . وكلوا ...

فقام اليه ولده الكبير ابو عبد الله محمد بن ابي بكر فانكر ذلك عليه . وقال :

— ان هؤلاء فساق . او كفار . لم هم ظلام محاربون ... !! فكيف تعينهم .. ؟ وتبيح لهم زرع المساكين ... ؟

فقال له ابوه ... :

— اني اريد ان اتخذ عندهم يدا . فاذا استلبوا مسكينا يوما ما وجاء الي يشتكي كتبت اليهم

(1) انظر ما كتبه الشيخ مرتضى عن هذه الكلمة في تاج العروس مادة (شفع) .

كتابا فلا بد ان يراعوا هذا الخير فيردوا عليه متاعه ... !

فانا انما فعلت هذا لحق المساكين ... !! »

759 — ابو الجند ... !

وجدت في كتاب « بغداد مدينة السلام » لمؤلفه ابن الفقيه المهمداني ص 65 طبعة باريز سنة 1977 م .

« ثم نزلها (سامرا) المعتصم مدة من خلافته ثم شخص عنها الى القاطول . فنزل قصرا كان الرشيد بناه وحفر بها قاطوله الذي سماه ابا الجند لكثرة ما كان يسقي من الارضين وكان قد جعله لارزاق جنده ... ! »

760 — صاحب سقارته ... !

وجدت في كتاب « ممتع الاسماع » طبعة حجرية بفاس . في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي النيار الاندلسي :

« وكان صاحب سقارته (الشيخ المجذوب) اذا غلب على الشيخ الحال ، امسك بيده عودا والآخر كذلك ثم جعلا (يتساقران) حتى يفيق الشيخ مما هو فيه ويرجع الى الوجود ... !!! »

761 — العراقية ...

ووجدت في كتاب « ممتع الاسماع » نقلا عن كتاب « تحفة الاخوان » للمرابي ...

« واراني بعض الناس قلنسوة بيضاء من قطن او كتان تعرف بالعراقية تلبس غالبا زمن الحر ... وقال : انها لسيدي عبد الله الغزواني ... ! »

762 — الافراجة ... !

وجدت في كتاب « تعطير البساط » لابي عبد الله بن جندار ، المطبوع بالرباط ، في ترجمة القاضي ابي عبد الله عاشور المتوفى بمراكش في حدود الستين ومائتين والف :

« ووقفت على تاليف ينسب اليه في تزييف العوائد التي تقام بمراكش أيام عاشوراء الفه للسلطان ابي الربيع . قال فيه :

من امور احدثوها وسموها « الافراجة » . تشتمل على مناكر هي لهدم بنائها وقلعها محتاجة . وذلك كتشبه الرجال بالنساء . وتشبه الرجال باليهود وكالمحاكاة لاناس معينين من قبيلة أو من بلد وكاتخاذ الصور . وضرب آلات اللهو من اجوالات ومزاهير وغيرها . واخذهم بذلك اموالا من غير طيب نفس اهلها . بل يعطونها حماية للعرض . وتوقيا من الضرب والشتم وسائر انواع الاذايات . وكاخذ الكراء على تدوير الصبيان وغيرهم بالنواعير . وما ينشأ عن ذلك من الضرر والحراجات ..... !! »

763 — دابة ... !

وجدت في مخطوطة « ايراد اللآل من انشاد الضوال وارشاد السؤال لابن خاتمة :

« دابه : لفظ اعجمي تقوله العامة بمعنى الساعة ... والآن ... وليس من كلام العرب »

764 — قبقاب ... !

ووجدت في المخطوطة المذكورة :

قبقاب : لفظ اعجمي تقوله العامة لما يصنع من الخشب على هيئة النعل . وانما القبقاب عند العرب الرجل الكثير الكلام »

765 — جلفاط ... !

ووجدت في المخطوطة المذكورة :

« جلفاط : والجمع جلافيط وجلافطة وصناعته الجلفطة . وهي من معالجة السفن ... ! »

766 — الطـــرطـــــــار ... !

وجدت في نوازل المسناوي ، ص 133 ، ط. حجريـــة بفـــاس :

« ... وذلك ان المازري لما تكلم عن الخمر اذا تحجرت . وهي المسماة بالطرطار . وانها تكون طاهرة. قال : وهذا اذا ذهب منه الاسكار ... »

767 — خروفـــة وفقوســـة ... !

وجدت في كتاب « علماء افريقيـة » لمؤلفـه محمد بن الحارث الخشني . في ترجمة القاضـــي سليمان بن عمران الملقب خروفة ... !

« دخل عليه رجل يلقب بالفقوسة ... ! فقال له سليمان :

— كنت أعرف لكم مقثاة . فما صنـــع الله بهـــا ... ؟

فقال له الرجـــل :

— كانت حسنة . لولا خروفـــة دخلتهـــا فأفسدتهـــا ... ! »

فاس : عبد القادر زمامـــة

من قصائـــد العـــدد القـــادم

● يمينـــك يا شعـــب المسيـــرة صـــادق

● زارع الاطيـــاف ● الى الامام الفزالـــي ..

مجلة دعوة الحق

نافذة على الثقافة والفكر في المغرب منذ الاستقلال

●● في اطار احتفالات الاذاعة الوطنية بالذكرى الخمسينية لتاسيسها قدمت برنامجا خاصا عن الحياة الفكرية في المغرب في سنة 1957 . ولما كان العدد الاول من هذه المجلة صدر في نفس السنة فقد قدمت عرضا خاصا عن الدور الثقافي والفكري الذي قامت به « دعوة الحق » ولا تزال كواجهة ثقافية واسلامية لها تاثيرها الفعال ●●

تعتبر مجلة « دعوة الحق » التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اول مجلة مغربية تواظب على الصدور طيلة عشرين سنة متتابعة دون انقطاع فلم يسبق في المغرب ان استمرت مجلة ثقافية او غير ثقافية في الصدور المنتظم طيلة هذه المدة .

لقد صدر العدد الاول من مجلة دعوة الحق في يوليوز سنة 1957 مفتتحا بكلمة قيمة بخط جلالة الملك المغفور له محمد الخامس مع صورته الشريفة وقد كتب تحتها : الى وزارة عموم الاوقاف تقديرا لمجهوداتها الاصلاحية في الميدانين الديني والاجتماعي محمد بن يوسف — في 14 جمادى الثانية 1376 الموافق 16 يناير سنة 1957 ويستفاد من هذا التاريخ ان التفكير في اصدار مجلة اسلامية في المغرب تتبناها وزارة الاوقاف بدأ منذ السنة الاولى من الاستقلال ولم يتحقق الا في اوائل صيف 1957 .

لقد كانت كلمة جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه التي تصدرت العدد الاول من دعوة الحق توضيحا لخطها الفكري ، وتحديدا لمهامها في حقل الثقافة والدعوة الاسلامية .

ومما جاء في الكلمة الملكية السامية :

« الحمد لله ...

اصبح من آكد الواجبات المنوطة في فجر نهضتها الشاملة ان نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية ونعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والاوهام التي تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف .

ان حرصنا على الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه والسير على سننه ليعد احد العوامل

الاساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقيل وما منينا به من أهوال وخطوب ، وسيظل عاملا اساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كأمة تواقة الى حياة راقية كريمة .

ولذلك يقول جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه سرنا ان تتولى وزارة الاوقاف اصدار مجلة جامعة تعني بصفة خاصة بناحية الاصلاح الديني كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية ولنا وطيد الامل في آن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والاصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير اداء . والسلام . محمد بن يوسف »

ويمكن القول من خلال مراجعة شاملة لمجموعة سنوات المجلة من عام 1957 ، الى يومنا هذا ان « دعوة الحق » التزمت دائما بالتوجيهات الملكية السامية وحرصت على ان تكون اداة لتحرير العقول ومعالجة مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية .

واذا كانت كلمة المغفور له محمد الخامس قد تصدرت العدد الاول فان جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله واعزه ابى الا ان يخص العدد الثاني الصادر في غشت 1957 بمقال تحت عنوان الاسلام والنهضة المغربية تحدث فيه حفظه الله عن واقع العالم الاسلامي ودقة المرحلة التي يجتازها الان وبشائر الانبعاث وآفاق التطور الذي من شانه ان يخدم الانسانية كافة .

ومما جاء في هذا المقال الملكي القيم :

« ... والناظر في نهضة المغرب الحديثة المراقب لتطورها يدرك انها نهضات تهدف الى اقامة مجتمع سليم على مثال ما دعت اليه تعاليم الاسلام النقية الطاهرة ، تلك التعاليم الداعية الى الايمان بالله والعمل على ما فيه سعادة الدارين ، والحكم العادل الذي يربط الحاكم بالمحكومين برباط الالفة والمودة والتعاون على تحقيق الخير للمجموع ، وضمان حرية العقيدة والفكر والتصرف في حدود القانون وحماية كل ما يعتز به الانسان من أسرة ووطن وتراث مادي ومعنوي ، واستثمار الموارد الطبيعية التي سخرها الله لنا وجعل التمتع بها حلالا طيبا ... »

ويلاحظ ان مقال جلالة الملك الحسن الثاني ـ وهو بعد ولي العهد ـ يضع في ثقة وقوة وايمان برنامجا عاما للعمل الوطني الاسلامي يصح ان يكون نواة دستور وقاعدة فكرية للانطلاق .

وكان جلالته حفظه الله اراد ان يعطي المثل بنفسه لكتاب المجلة في التفتح والوعي والنضج . ويوضح الاساس الاول للصحافة الاسلامية .

وعلى هذا الاساس انطلقت مجلة (دعوة الحق) تؤدي دورها المجدد وهدفها المرسوم وتخلق مدرسة جديدة في الصحافة الاسلامية الفكرية في بلادنا وفي العالم العربي والاسلامي تقوم على أساس التوفيق بين الاصالة والمعاصرة وسلوك سبيل الاعتدال شكلا ومضمونا ، محافظة بذلك على طابع الوقار العلمي والموضوعية والرسوخ الثقافي ، وقد اكسب المجلة هذا الاسلوب ثقة جمهور واسع من المفكرين والمثقفين ورجال البحث والنظر والكتاب والادباء واساتذة الجامعات والعلماء والمستشرقين وقادة الفكر والدعوة في المغرب والوطن العربي والاسلامي وعدد لا باس به من الدول الاوربية والاسيوية والامريكية ويشهد على ذلك حجم توزيع المجلة بالخارج اذ تصل الى مختلف العواصم العالمية من موسكو الى واشنطن الى بيكين الى طوكيو الى باريس وبرلين ولندن ومدريد وروما ولشبونة وكراتشي والى كل عاصمة عربية واسلامية بدون استثناء .

ولقد كانت هذه المجلة ولا تزال منتدى الاقلام الحية وملتقى لجيلين من الكتاب والباحثين ، فاذا كان العدد الاول من سنتها الاولى تضمن مقالات للاساتذة : علال الفاسي ، عبد الله كنون ، مصطفى احمد الزرقاء ، محمد الحمداوي ، رشيد الدرقاوي ، عبد الوهاب بنمنصور ، عبد الكريم التواتي ، الحسن بوعياد ، عبد الهادي التازي ، الفاروقي الرحالي ، محمد الحبيب ، محمد الروداني ، محمد بنونة ، عبد القادر الصحراوي ، عبد المجيد بنجلون . فان العدد الثاني ضم كتابا جددا هم الاساتذة : محمد المختار السوسي ، وعبد الرحمن الدكالي ، والحسن السائح ، ومحمد الطنجي ، والطاهر زنيبر .

وكان أول اثر ادبي نسوي ينشر في دعوة الحق قصيدة بعنوان « الى المجد » بتوقيع الآنسة وفاء . وتتسع دائرة كتاب المجلة فتنشر في العدد الثالث بحثا للمفكر الباكستاني الكبير الاستاذ أبو الاعلى

المودودي ، كما تنشر للاستاذ عبد الكريم غلاب مقالا بعنوان : ثورة الاوقاف ، ومقالا آخر للاستاذ محمد الحلوي الذي يبدو انه بدأ صلته بالمجلة كاتبا ليتحول الى شاعر مجيد .

ويجتمع حول المجلة عدد كبير من الكتاب والمفكرين من مختلف الاجيال ، بحيث يمكن القول ان معظم كتاب المغرب نشروا فى مجلة دعوة الحق ، ومنهم من انقطع عن الكتابة فيها وتحول الى منابر اخرى ومنهم من لا يزال يواصل النشر على صفحاتها.

ولقد واكبت دعوة الحق مختلف اطوار الفكر المغربي الحديث . وجرت مناقشات ومعارك أدبية متعددة على صفحاتها ، ونشر فيها عدد من الكتاب مؤلفاتهم فى حلقات متتابعة ، وهناك أكثر من عشرة كتب فى الخزانة المغربية نشرت كمقالات وابحاث فى « دعوة الحق » نذكر منها كتبا للاساتذة : عبد الله كنون وعبد القادر الصحراوي ومحمد الحمداوي ومحمد تقي الدين الهلالي وعبد الكريم التواتي .. الخ

وحرصت المجلة دائما على ابراز مظاهر الحياة الفكرية والتحولات المهمة فى المغرب ، فاصدرت اعدادا خاصة عن المساجد الكبرى فى المغرب ، ومؤتمر القمة الاسلامي الاول ، والمسيرة الخضراء ، والذكرى الاربعمائة لمعركة وادي المخازن ، كما تصدر المجلة اعدادا ممتازة بمناسبة عيد العرش والشباب تخلد فيها هاتين المناسبتين الوطنيتين وتبرز المواقف الخالدة والملاحم الكبرى للعرش العلوي المجيد .

واذا كان العدد الاول من دعوة الحق قد صدر فى اقل من اربعين صفحة ، فان اعدادها الحالية تصدر فى مائة وعشرين صفحة مزودة باخبار الفكر والثقافة .

ان مجلة « دعوة الحق » تعتبر بحق سجلا للثقافة المغربية منذ الاستقلال الى يومنا هذا .

● الدكتور عبد الله الطيب ينشر اولى مقالاته فى « دعوة الحق » حول القصيدة العربية ... اقرا العدد القادم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تحيي ذكرى الهجرة النبوية الشريفة

●● نظمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بعد عصر يوم الجمعة سابع محرم الحرام حفلا دينيا كبيرا بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أصدق الصلاة والسلام . تراسه نيابة عن السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور أحمد رمزي السيد محمد المرابط الكاتب العام للوزارة . وقد القى كلمة الدكتور احمد رمزي السيد محمد حدو الشيكر الوزير المكلف بالملاقات مع البرلمان تحدث فيها عن مغزى الهجرة ومدلولها وقد حضر الحفل سفراء بعض الدول العربية والاسلامية والعلماء والاساتذة وجمهور من المؤمنين والمؤمنات .

وكان الشيخ احمد عبد الرحيم عبد البر قد القى درسا دينيا بالمناسبة . كما انشد الشاعر رضا الله ابراهيم الالفي قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفيما يلي النص الكامل لكلمة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية التي القيت بالنيابة لسفره خارج المملكة في مهمة رسمية :

بسم الله الرحمن الرحيم
اصحاب السعادة :
حضرات السادة :

اود بادىء ذي بدء أن ارحب بكم ، واشكركم على تكرمكم ، باجابة دعوتنا للحضور في هذا الحفل الديني الذي اعتادت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية أن تقيمه في رحاب هذا المسجد العظيم ، لتمجد من خلاله حدث الهجرة الخالدة الذي كان نقطة تحول هام في مسيرة الايمان ، وفاتحة عهد الفتوحات والانتصارات العقدية والفكرية والسياسية التي حققتها دولة الاسلام الاولى ، باسم الله . لقد كانت هجرة الرسول الاكرم ـ أيها السادة ـ نصرا

للانسانية كلها ، حققت موعود الله ، في الارض واصلت جذور الاخاء والعدل والمساواة . وأذابت كل عوامل النفور والتفرقة بين الانسان والغت كل مقاييس التفاضل التي تعارف عليها بنو الانسان ، ولم يعد هناك سوى مقياس واحد يتفاضل الناس على أساسه وهو التقوى والعمل الصالح **« يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »** . **« لا فضل لعربي على عجمي ولا لابيض على أسود الا بالتقوى »** .

ولقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ تطبيقا عمليا عند ما آخى بين المسلمين ، من حيث ادخل فيه العربي والفارسي والرومي والحبشي. وقال عليه السلام : « بلال أول ثمار الحبشة . وسلمان أول ثمار الفرس »

حضرات السادة :

اننا مؤمنون بأن احياء الذكريات لا يمكن ان يتم فقط باظهار معالم الزينة وتحبير الخطب البليغة والكلمات الحماسية والقصائد البديعة ولكن ـ ايضا ـ بالعزم الصادق على تجديد معاني الذكريات ، والوفاء للقيم والمقدسات والمثل العليا التي فداها سلف هذه الامة الصالح بارواحهم ، وأموالهم . **« ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها »** .

حضرات السادة :

اذا كانت الهجرة في معناها المادي بمعنى الانتقال من مكة الى المدينة امتثالا لامر الله وامر رسوله قد انتهت بفتح مكة التي اصبحت دار السلام لقول المصطفى عليه السلام : **« لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية »** فان الهجرة في مفاهيمها ودلالتها الفكرية والاجتماعية والخلقية ما تزال قائمة ، « **فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه** » . وانا لقاءنا مع هذه الذكريات ليحفز هممنا على تحقيق مدلول الهجرة في اعماقنا . والهجرة التي يحتاج اليها عالم اليوم وبخاصة عالمنا الاسلامي هي التغيير : في المفاهيم والتصورات الجاهلية التي سيطرت على العقول واسرت الافكار ، والتغيير هو سبيلنا الى الحياة العزيزة الكريمة وهو الطريق الطبيعي الذي أمرنا الله بان نسلكه ، ان نغير حالنا من سيء الى حسن ، ومن حسن الى أحسن ، **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »** .

نسأله تعالى ان يعيننا على تغيير ما بانفسنا حتى يغير ما بنا . كما نسأله أن يعيد للمسلمين هيبتهم ووحدتهم وتضامنهم ، ليستردوا ما سلب منهم في ضعفهم وتفرقهم واختلافهم من مقدسات ، في طليعتها الارض المقدسة ومسجدها الاقصى الذي بارك الله من حوله وجعله قبلة المسلمين الاولى وجعله الله مسرى نبيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

اللهم انصر الاسلام والمسلمين ، واذل الشرك والمشركين ، وأدم اللهم عزة هذا الوطن بعزة وتأييد أمير المؤمنين جلالة الملك مولانا الحسن الثاني ووفقه لما فيه خير الاسلام ونصر المسلمين واحفظ اللهم ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد وصنوه سمو الامير مولاي رشيد وكل الامراء والاميرات وسائر آل بيته الطيبين انه سميع الدعاء .

المغـــــــــرب :

● يواصل الاستاذ العلامة عبد الله كنون اثــراء المكتبة المغربية بانتاجه الغزير ، فبعد ان صدرت له مؤخرا الطبعة الثانية من كتابه القيم « اسلام رائد » يظهر اليوم كتاب جديد بعنوان « معـــارك » يعكس جوانب من تاريخ المغرب الحديث ويبـــرز الكفـــاح الفكري والسياسي الذي خاضه المؤلف منذ الثلاثينيات بقلمه ولسانه ومواقفه الثابتة من المستعمرين ودعاة الغزو الفكري .

كتاب « **معارك** » يتضمن مجموعة من المقالات القيمة كتبها **المؤلف في جرائد « الحرية » و «الامة»** و « **الوحدة المغربيــــة** » و « منبــــر الشعــــب » و « الميثاق » ومجلة « لسان الدين » . جعل مـــا يتعلق منها بالقضية المغربية تحت عنوان : « المعركة الوطنية » ، وما يتعلق بالقضية الفلسطينية تحــت عنوان : « معركة فلسطين » ، وما يتعلق بالدفاع عن جامعة القرويين والتعليم الديني تحــت عنــوان : « معركة القرويين والتعليم الديني » ، وما يتعلــق بقضية التعريب تحت عنوان : « معركة التعريب » ، وما يتعلق بقضية محاكمة البهائيين تحت عنــوان : « معركة البهائية » ، **وما يتعلق بمحاربــة انتشــار الخمر** : « معركة الخمر » .

ولنا عودة الى الكتاب بحول الله .

● صدر الجزء الثاني من كتاب الدكتـــور محمد



حجي « الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين » . وهو من **منشورات دار المغرب للتاليف والترجمـة** والنشـر (سلسلة التاريخ 2) .

الكتاب تجزيه يشكل نص الاطروحة التي تقدم بها الدكتور محمد حجي لنيل درجـة الدكتوراه في التاريخ باللغة الفرنسية .

● أصدر الكاتب الاستاذ عبد المجيد بن جلـون كتابا جديدا **عن معركة وادي المخــازن بعنــوان** : « **معركة الوادي** » **تخليدا للذكرى الاربعمائة لهـذه** المعركة الفاصلة في تاريخ المغرب والعروبة والاسلام .

الاستاذ **بن جلون اهدى** كتابه القيـم الى روح المفكر المغربي الكبير المرحوم علال الفاسي .

● القى الدكتور **محمد بن شريفة** محاضرة بقاعة المحاضرات **بوزارة الدولة المكلفة** بالشؤون الثقافية حول موضوع « **مظاهر الحساسية الوطنيـــة عنـــد** الاندلسيين » .

● صدر في فاس كتاب « **الاغالبة وسياستهم** الخارجية : 184 ـ 296 هـ » للدكتــور محمــود اسماعيل الاستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بفـــاس .

● « الحركة النقابية في المغرب » كتاب جديــد للاستاذة فاطمة الزهراء باقة ترجمه من الفرنسية الى العربية الدكتور صلاح الدين هارون .

● صدر للاديب المغربي مبارك ربيع الجزء الثاني من رواية « الريح الشتوية » .

● حصل الطالب المغربي **السيد عز الوطن معنينو** على درجة الدكتوراه من جامعة بولونيا بايطاليــا في موضـوع « **تحرير الصحراء الغربية** » باللغة الايطالية . وتعتبر جامعة بولونيا اقدم جامعة في العالــم بعـد القرويين ، وتعد اطروحة الدكتور عز الوطن معنينـو الاولى من نوعها في موضوع الصحراء المغربية باللغة الايطاليــــة .

والدكتور عز الوطن نجل الاستاذ الحـاج احمد معنينو . وهو الآن يعكف على ترجمة اطروحتــه الى اللغتين العربية والفرنسية .

● صدرت مجموعة قصصية للاستاذ احمد عبد السلام البقالي ، بعنوان : « اماندا وبعدها الموت ، ودماغ المكروط » .

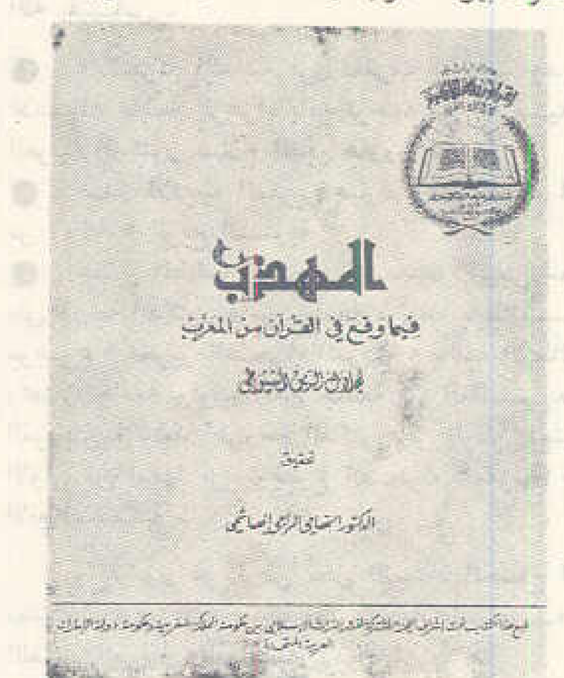
● صدر كتاب جديد للاستاذ مصطفى المهماه ، بعنوان : « المرأة المغربية والتصوف في القرن 11 هـ » .

● صدر كتاب ، بعنوان : « اتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من اخذت عنه من الشيوخ » ، للاستاذ محمد بن الفاطمي .

● صدر كتاب جديد تحت عنوان « مواقف الشرف : محمد الحسن الوزاني » يتضمن مجموعة من الوثائق والصور ومواقف وصحف المرحوم محمد الحسن الوزاني احد كبار رواد الحركة الوطنية والفكرية في بلادنا .

والكتاب مزدان بصور لمجموعة الجرائد التي اصدرها المرحوم باللغتين العربية والفرنسية ومنها جريدة « عمل الشعب » بالفرنسية التي كانت اول جريدة وطنية تصدر بالمغرب سنة 1933 بلغة المستعمر لتدافع عن حقوق الوطن والمواطنين .

● صدر عن صندوق احياء التراث الاسلامي المشترك بين المغرب واتحاد الامارات العربية كتاب



« المهذب فيما وقع في القرءان من المعرب » لجمال الدين السيوطي بتحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي . يقع الكتاب في 275 صفحة من القطع الكبير ومزود بالفهارس العامة .

● تأسست في مراكش جمعية لرعاية المسجد تضم مجموعة من المواطنين المهتمين بشؤون المسجد ورعايته وصيانته . يترأس الجمعية السيد عباس بن لحسن الدباغ .

● صدر العدد الثاني عشر من « المجلة التاريخية المغربية » التي يديرها الدكتور عبد الجليل التميمي.

تضم المجلة مجموعة من الدراسات التاريخية الجديدة كتبت باللغات العربية والفرنسية والانجليزية وتتعلق بتاريخ المغرب العربي الحديث . ومن الموضوعات الخاصة بالمغرب ، موضوع : « دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث » للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم استاذ بكلية البنات التابعة لجامعة الازهر . تحدث عن الدور الذي لعبه المغاربة في تاريخ مصر في العصر العثماني في مختلف مناحي الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

مصر :

● الباحث المصري الاستاذ انور الجندي صدرت له مؤخرا مجموعة كتب قيمة عن دار الاعتصام بالقاهرة :

— الطبعة الثانية من كتاب « طه حسين : حياته وفكره في ميزان الاسلام » .
— التفسير الاسلامي للفكر البشري : الايديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الاسلام .
— من التبعية الى الاصالة في مجال التعليم والقانون واللغة .
— هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام .
— التفسير الاسلامي للفكر البشري : الاسلام والفلسفات القديمة .
— الاسلام والحضارة .

الكتب من القطع الكبير ، كل منهما يقع فى حوالى 300 صفحة .

● الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) صدر لها عن دار المعارف كتاب بعنوان : « القرءان وقضايا الانسان » .

● حقق الباحث محمود حسين زناتي كتاب الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ لابي العلاء المعري .

● صدر فى القاهرة كتابان للدكتور شوقي ضيف، الاول بعنوان : « شوقي شاعر العصر الحديث » ، والثاني « فصول فى الشعر ونقده » .

● « البيان فى ضوء أساليب القرءان » كتاب جديد صدر عن دار المعارف للدكتور عبد الفتاح لاشين .

● صدر كتاب جديد فى الفلسفة الاسلامية ، للدكتور عاطف العراقي ، الاستاذ المساعد بجامعة القاهرة . يقدم الكتاب صورة شاملة عن الفكر الفلسفي .

● « قصص الحيوان فى القرءان » كتاب جديد صدر للكاتب أحمد بهجت يتناول فيه قصص الحيوان التي ورد ذكرها فى القرءان الكريم .

● الدكتور محمد صادق عفيفي صدر له كتاب « تطور الفكر العلمي عند المسلمين » .

● فى سلسلة « كتابك » صدر كتاب : « شوقي أمير الشعراء .. لماذا ؟ » لمؤلفه فتحي سعيد .

● صدر فى أوائل هذا الشهر كتاب للاستاذ محمد متولي الشعراوي ، بعنوان : « معجزة القرءان » والكتاب كان فى الاصل مجموعة مقالات كتبها الشيخ الشعراوي فى رمضان الماضي .

● صدر عن سلسلة المكتبة الثقافية ، للدكتور عبد الله شحاتة كتاب فى (علوم التفسير) مقسم الى ثلاثة فصول ؛ الفصل الاول ، يبحث موضوع (تاريخ التفسير) من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عصرنا الحالي ، والفصل الثاني يبحث موضوع (اعجاز القرءان) ، والفصل الثالث ، يبحث موضوع (علوم القرءان) .

اليمن :

● « القصة اليمنية المعاصرة من عام 1939 الى عام1976 » ؛ كتاب صدر ضمن سلسلة « الكلمة اليمنية » بقلم الدكتور عبد الحميد ابراهيم الاستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة صنعاء .

الكويت :

● صدر عن الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع ، كتاب (الفكر الاسلامي والتطور) لمؤلفه محمد فتحي عثمان ، ويقع فى 556 صفحة .

فرنسا :

● تشهد فرنسا حاليا اهتماما كبيرا بالفكر الاسلامي حيث ظهرت فى آن واحد ثلاثة كتب تتناول عدة موضوعات اسلامية . أولها كتاب للمستشرق جاك برك « من الفرات الى جبال الاطلس » وهو جزئين : الاول يتناول هذه المنطقة بالدراسة الجغرافية والتاريخية ، والثاني عن التاريخ والطبيعة

أما الكتاب الثاني الذي يتناول التغييرات التي طرأت على المجتمعات الاسلامية فقد ظهر تحت عنوان : « النظرة الاجتماعية الدينية للاسلام » من تأليف جان بو شارني .

والكتاب الثالث « مختارات من الصوفية » من تأليف دي فيتري وهو يتضمن تعريفا بأعلام التصوف.

● صدر في باريس الجزء الثالث من مذكرات الكاتبة الفرنسية جورج صاند : صاحبة اشهر صالون ادبي في القرن الماضي .

سوريـــا :

● عن وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق صدر للمؤلفين « حنا مينا » والدكتورة نجاح العطار كتاب « ادب الحرب » ويحوي الكتاب عدة فصول في ادب المعركة .

اسبانيـــا :

● صدر عن المعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد كتاب عن « المغرب في أواسط القرن الثامن عشر : الحياة الداخلية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والدينية في عهد السلطان محمد بن عبد الله » .

الاستاذ الحاج أحمد بناني في ذمة الله

● توفي الى رحمة الله تعالى الاستاذ الاديب والمؤرخ الحاج احمد بناني مدير التشريفات الملكية سابقا وأحد ألمع الكتاب والادباء المغاربة على مدى نصف قرن كامل .

وقد ابلى الفقيد البلاء الحسن في صفوف الوطنية المغربية الى جانب اخوانه المجاهدين من الرعيل الاول .

وكانت للفقيد مساهمات ادبية متميزة وكتابات وطنية مؤثرة ونشر في كبريات الصحف والمجلات المغربية . ومن اعماله المنشورة مجموعة قصص بعنوان : « فاس في سبع قصص » كتب مقدمتها المرحوم علال الفاسي .

وعلمنا ان المرحوم الحاج احمد بناني خلف كتابا مخطوطا عن تاريخ الحركة الوطنية وابحاثا قيمة عن التصوف والطرق الصوفية في بلادنا ابان عهد الحماية . وكان رحمه الله حجة في تاريخ المغرب الحديثة ومرجعا حيا لاهم احداثه وتطوراته وملابساته .

رحم الله الفقيد الحاج احمد بناني واسكنه فسيح جناته والهم ذويه الصبر والسلوان وانا لله وانا اليه راجعون ●

الفهرس العام
لموضوعات السنة 19

من

دعوة الحق

الخطـــــب الملكيــــــة

المـــــوضـــــوع	العـــدد	الصفحة
1) الخطاب الملكي بمناسبة المؤتمر الاول لوزراء العدل العرب بمراكش	2 – 3	9
2) الخطاب الملكي فى المناظرة الوطنية للجماعات المحليـة بمـراكش	2 – 3	12
3) خطاب العرش لسنـة 1978	4	7
4) الخطاب الملكي فى لقاء لجنة التربية والتعليم فى مجلس النواب فى ايفران	4	15
5) خطاب ملكي يوم 4 يونيو 1978 بفـاس	6 – 7	9
6) الرسالة الملكيـة الى مجلس النـواب	6 – 7	20
7) الخطاب الملكي بمناسبة عيـد الشباب (8 يوليوز 1978) .	8	13
8) الرسالة الملكية الى الحجـاج	9	6
9) الدرس الملكي الديني فى رمضان	9	9
10) الخطاب الملكي فى افتتاح الدورة البرلمانية (78 – 1979)	10	4

الافتتـاحيـــــة

العنـــــوان	الكـاتـــب	العـدد	الصفحة
1) وظيفة الاوقاف فى التغيير الاجتماعـي	دعـوة الحـق	1	1
2) عـرش الشعـب	دعـوة الحـق	2 – 3	5
3) خرافـة الفكـر العلمـي	دعـوة الحـق	4	1
4) الغـزو الاسلامـي المرتقـب	دعـوة الحـق	5	1
5) 49 سنة : جهاد واجتهاد وجهـد	دعـوة الحـق	6 – 7	5
6) معركة وادي المخازن بعيدا عن التفسير المادي للتاريـخ	دعـوة الحـق	8	1 3
7) حدود العقـل وحـدود الوهـم	دعـوة الحـق	9	1
8) الجوانب الفكريـة من المخطـط الثلاثـي	دعـوة الحـق	10	1

دراســـات اسلاميـــة

العنـــــوان	الكـاتـــب	العـدد	الصفحة
1) الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (11)	عبـد اللـه كنـون	1	6
2) منهجيـة التعليـم فى الاسـلام	محمـد المنونـي	1	13
3) الاسلام والنصر : درس فى بنـاء الرجـال من الرسـول القائـد	اللواء الركن محمود شيت خطاب	1	18
4) احاديـث شـاذة ومنكـرة	د. عبـد الله بن الصديـق	1	23
5) من اجـل مفهـوم اسلامـي للثقافـة	احمـد التـوكـي	1	31

6)	خطاب وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فى افتتاح الاجتماع – 3 – للجنة الخاصة باعداد الاحتفال بمطلع القرن 15 الهجري	د. أحمد رمزي	3 – 2	18
7)	خطاب وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة السنة الهجرية الجديدة 1398 هـ	د. أحمد رمزي	3 – 2	21
8)	بين يدي مصحف الحسن الثاني	سعيد اعراب	3 – 2	62
9)	الاسلام والنصر : الوحدة العسكرية فى التاريخ العربي والاسلامي	اللواء الركن محمود شيت خطاب	4	22
10)	المعتزلة والتحليل الماركسي	محمد العربي الناصر	4	26
11)	دراسات قرآنية : الحنيفية والحنفاء	اسماعيل الخطيب	4	36
12)	الرد القرآني على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (12)	عبد الله كنون	5	4
13)	حول الزيادة فى مقادير الزكوات	الرحالي الفاروقي	5	8
14)	اصول التشريع الاسلامي بين النزعة التقليدية وبين النزعة التجديدية	د. محمد كمال شبانة	5	43
15)	التطور والتصور الاسلامي	محمد العربي الناصر	5	57
16)	سلبيات الطفرة الصناعية الحديثة ودور المسلمين فى المجال التكنولوجي	محمد العربي الزكاري	7 – 6	28
17)	الاستثمار الاسلامي للاموال : وسائله التطبيقية	د. غريب الجمال « جدة »	7 – 6	32
18)	الكاتبون فى الدين	اللواء الركن محمود شيت خطاب	7 – 6	38
19)	لماذا الهجوم على ماضي الامة العربية وتراثها وما الهدف الايديولوجي منه	د. ادريس الكتاني	7 – 6	42
20)	الشباب المسلم ومسؤولية بناء المجتمع الاسلامي	عبد الفتاح امام	4	70
21)	الجملة القرآنية	د. محمد رجب البيومي	7 – 6	75
22)	هذا الدين جمال وجلال	محمد الادريسي	7 – 6	120
23)	الرد القرآني على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (13)	عبد الله كنون	9	4
24)	هدي الاسلام فى تنظيم الاقتصاد المنزلي	محمد المنوني	9	26
25)	اغلاط شائعة	د. عبد الله بن الصديق	9	71
26)	عطاء التربية الاسلامية	اسماعيل الخطيب	9	83
27)	التعدد دليل على صدق الرسول (ص)	ابراهيم محمد ابو الجمل	9	89
28)	الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (14)	عبد الله كنون	10	9
29)	حمل فرش فى مروى الامام ورش (1)	د. التهامي الراجي الهاشمي	10	35
30)	ما هي فتنة داود	د. عبد الله بن الصديق	10	52
31)	الجزية وما يثار حولها من اعداء الاسلام	حسين احمد العليمي	10	65
32)	القرآن كتاب هدي وهداية	عبد الرحمن العمراني الادريسي	10	70

ابحاث ودراسات

مكتبة دعوة الحق

العنوان	الكاتب	العدد	الصفحة
1 ـ ديوان ايامنا الخضراء (احمد عبد السلام البقالي)	حمادتي ماء العينين	1	82
2 ـ ديوان من وحي الاطلس (مفدي زكرياء)	محمد بن محمد العلمي	1	89
3 ـ مظاهر يقظة المغرب الحديث (محمد المنوني)	عبد الرحمان الزياني	4	88
4 ـ المكتبة المغربية من 3 مارس 1977 الى 3 مارس 1978	دعوة الحق	4	92
5 ـ حول الدليل الصحفي وصحافة المغرب	زين العابدين الكتاني	5	94
6 ـ الامام المغيلي وآثاره فى الحكومة الاسلامية فى القرون الوسطى بنيجيريا (لآدم عبد الله الالوري)	زين العابدين الكتاني	7 ـ 6	92
7 ـ كتاب فواصل الجمان (1)	الحسن الشاهدي	10	56
8 ـ التراث العربي كمصدر فى نظرية المعرفة والابداع	محمد البوسرغيني	10	81

ديوان المجلة

العنوان	الشاعر	العدد	الصفحة
1 ـ يفنى الجميع ويسلم العرش	رضا الله ابراهيم الالغي	3 ـ 2	85
2 ـ أمة وسط	محمد الكبير العلوي	3 ـ 2	127
3 ـ شعب المسيرة	احمد عبد السلام البقالي	3 ـ 2	135
4 ـ تحية اكبار	عبد الكريم التواتي	3 ـ 2	136
5 ـ بالحب سداد	عبد القادر المقدم	3 ـ 2	144
6 ـ ظلال العرش	وجيه فهمي صلاح	3 ـ 2	147
7 ـ ذكرى المسيرة الخضراء	المدني الحمراوي	3 ـ 2	150
8 ـ هذا المغرب	علي حافظ	3 ـ 2	157
9 ـ عشت لخير شعب	احمد بنشقرون	3 ـ 2	159
10 ـ صانع الامجاد	محمد الحلوي	4	100
11 ـ شعب صانع الابطال	محمد البوعناني	4	102
12 ـ مع أدباء الصحراء المغربية	رضا الله ابراهيم الالغي	5	94
13 ـ حياة الخلود	عبد الواحد اخريف	5	101
14 ـ تحية ووفاء	احمد بنشقرون	5	103
15 ـ دمعتي على مفدى	الحبيب شيبوب (تونس)	5	105
16 ـ بين يدي النبوة	كمال عبد الرحمن رشيد	5	107
17 ـ نظامنا الخير والقرآن منهجه	وجيه فهمي صلاح	7 ـ 6	65
18 ـ القائد الباسم	محمد بن محمد العلمي	7 ـ 6	83

قصص ومسرحيات

موضوعات عامة

إقرأ في العدد القادم

- القصيدة العربية — للدكتور عبد الله الطيب
- مناقشة هادئة لنظرية دخيلة على الفكر الاسلامي — للأستاذ محمد العربي الزكاري
- السلفية والتحليل الماركسي
- للأستاذ محمد العربي الناصر
- الندوة الاسلامية الرابعة بالقيروان — للأستاذ محمد المنوني
- التوعية التاريخية — للأستاذ محمد حمادي العزيز
- قراءة في أدب مغربي حديث — للأستاذ أحمد تسوكي

مطبعة فضالة — المحمدية (المغرب)



الثمن : 7.50 درهما